أحمد الكاتب

السنة والشيعة..

وحـدة الـدين

خلاف التاريخ والسياسة

الطبعة الأولى:٢٠٠٧

الطبعة الثانية:٢٠٠٨

الطبعة الثالثة (الترجمة التركية): ٢٠٠٩

الطبعة الرابعة:٢٠١٠

ahmad@alkatib.co.uk
www.alkatib.co.uk

بسم الله الرحمن الرحيم

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم

المقدمة

من هم الشيعة والسنة؟

قد يحلو للبعض تصوير الخلاف الشيعي السني وكأنه خلاف عقدي جذري وخالد لا يمكن معالجته الى يوم القيامة، ولكني اعتقد انه بالدرجة الأولى خلاف سياسي تجاوزه الزمن، وهو ان كان يتضمن معنى من معاني الخلاف السياسي في التاريخ السحيق، فانه قد فقد مبرر وجوده اليوم بعد حدوث تطورات هائلة في حياة المسلمين. ولم تبق منه سوى بعض الرواسب والمخلفات البسيطة التي لا تشكل مادة جدية للخلاف فضلا عن التناحر بين المسلمين. واذا كان ينبغي التخلص من تلك الرواسب التاريخية فانه يجدر أيضا مقارنة تلك الخلافات بعوامل الاختلاف العديدة الأخرى التي تحفل بها حياتنا اليومية، والتي يجب ان نعمل سوية من أجل التخلص منها أيضا، من أجل بناء وحدة اسلامية متينة.

لم يكن الخلاف الطائفي الشيعي – السني ، هو الخلاف الوحيد في تاريخنا الاسلامي وواقعنا المعاصر، فقد كانت ولا تزال هنالك خلافات مريرة داخل كل طائفة، داخل الشيعة والسنة، اضافة الى الخلافات

القومية والقبلية والطبقية والحزبية التي تفجرت عبر التاريخ وتتفجر هنا وهناك باستمرار. بحيث نستطيع القول ان الخلاف الشيعي – السني يتراجع الى درجة كبيرة أمام تلك الخلافات، وانه لا يوجد في الحقيقة خلاف جدي بين الطائفتين في الخارج، ما عدا بعض الحواجز النفسية والمسائل البسيطة. وما عدا بعض التوتر الطائفي الذي يعشش في صدور المتطرفين والغلاة من الفريقين، وهم على أية حال فئات صغيرة ومعزولة.

وقبل أن نسترسل في الحديث، يجدر بنا ان نحدد مصطلح "السنة" و"الشيعة" لنحدد عوامل الخلاف بينهما تمهيدا لتصفية ذلك الخلاف والتخلص من رواسبه. ومن المؤكد ان المعنى البسيط الظاهر المتبادر من المصطلح الأول "السنة" هو اتباع سنة الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو لا يمكن ان يتناقض مع التشيع لأهل البيت الذي يتضمن اتباع السنة، وبناء على ذلك فان السنة هم شيعة لأهل البيت وان الشيعة هم جزء لا يتجزأ من السنة. وقد مضى زمن في الصدر الأول قبل تكوُّن الطوائف، لم يكن أحد يشعر بوجود تناقض بين المفهومين أو الالتزام بهما. وربما كان شيعة الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يشكلون (أهل السنة والجماعة) في مواجهة الخارجين عليه. ولكن المصطلحين (الشيعة والسنة) افترقا فيما بعد ليشكلا علامتين على طائفتين أو طوائف من المسلمين. وقبل ان يستقر المصطلحان كما هما في الأذهان اليوم، كان مصطلح "السنة" يعني في القرن الثاني الهجري "الحديث النبوي" في مقابل ما كان يصطلح عليه "أهلُ الحديث" بالبدعة. وغلب في القرن الثالث على الحنابلة في مقابل المعتزلة والأحناف، في حين كان أئمة أهل السنة، أو أهل الحديث، يعتبرون أئمةَ أهل البيت أئمةً لأهل السنة أيضا. ولم يأخذ مصطلح أهل السنة دائرته الواسعة التي تضم المذاهب الأربعة المعروفة (الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة) الا في القرن الخامس الهجري، رغم استمرار الصراع والتنافس بين المذاهب السنية نفسها الى أمد طويل. وظل الحنابلة أو أهل الحديث يشككون بسنية الأحناف والأشاعرة والماتريدية (الذين يشكلون غالبية المسلمين السنة) الى هذا اليوم، ولا يعترفون بهم الا بمعنى عام في مقابل الشيعة وعلى أساس بعض المقاييس.

وبعد أن كان "الشيعة" يمثلون أنصار ومحبي وأتباع وجيش وجماهير الامام علي في أيام حكومته، حيث كانوا يشكلون غالبية المسلمين، تقلص مفهوم الاسم مع الزمن الى دوائر أضيق فأضيق، فاعتبر "شيعيا" من يقول بأفضلية الامام علي على غيره من الصحابة، أو من يقول بحقه الالهي في الخلافة، كما اعتبر شيعيا (أو رافضيا) من ينتقد معاوية بن أبي سفيان أو عثمان بن عفان أو أحدا من الصحابة. وهكذا خرج كثير من "أهل السنة" من دائرة "السنة" ليدخلوا في دائرة "الشيعة" رغم اختلاط الدائرتين لدى كثير من الناس وخاصة شيوخ أهل الحديث الذين كانوا يجمعون بين التسنن والتشيع في كثير من النقاط المشتركة.

ويكاد اسم الشيعة يطلق اليوم على من يقول بنظرية الامامة الالهية لأهل البيت من الإثني عشرية والاسماعيلية، وربما شمل أيضا الزيدية الذين يقولون بانحصار الامامة في سلالة الامام علي والحسن والحسين. بينما يطلق اسم السنة على من يقول بشرعية انتخاب أبي بكر على أساس الشورى والبيعة العامة من المسلمين.

ولم يكن هذا الخلاف النظري التاريخي ليشكل قاسما مفرقا بين المسلمين، لولا وجود بيئة مناسبة ونسبة عالية من الجهل والتعصب والطمع والاستبداد والتفكك الاجتماعي والانحطاط الخلقي والديني، وانعدام المؤسسات الدستورية والأجواء الديموقراطية التي تنظم عملية الصراع على السلطة بشكل سلمي وتحول دون انفجار المشكلة. وربما كانت الفتنة الكبرى التي تفجرت بين الجيل الأول من المسلمين، جيل الصحابة الكرام، تشكل دليلا واضحا على وجود تلك البيئة المساعدة على اشتعال الخلاف ، التي حدثت قبل نشوء الطوائف من السنة والشيعة. فلو كان ثمة دستور واضح ينظم عملية تبادل السلطة، ويضع قنوات شرعية للمعارضة لما تحولت عملية الاحتجاج على سياسة عثمان الى فتنة وأدت الى قتل الصحابي الجليل ونشوب الحروب المتتالية بين كبار الصحابة، رضي الله عنهم. وكذلك لم يكن الخلاف الطائفي الذي تفرع عن تلك الفتنة ليستمر طويلا أو ليحتدم بين آونة وأخرى، أو يتفجر دما في فتن مزمنة ومؤلمة ومؤسفة.

وأخيرا.. فان الخلاف الطائفي الشيعي – السني، اذا كان يحمل في نشأته اي معنى، فان جماهير المسلمين من الطائفتين لا يدركون اليوم له اي معنى أو مضمون، وآن له ان يدفن في مقابر التاريخ.

وفي الحقيقة لا يوجد اليوم مذهب شيعي أو سني متكامل أو نسخة واحدة رسمية لأي مذهب ، وانما المذاهب عرضة للزيادة والنقصان والآراء الفردية، ولا يوجد أحد ملزم بتبني جميع الآراء التي كتبها الرجال السابقون بالجملة في مختلف الأبواب العقدية والفقهية والتاريخية، وانما هو حر بانتقاء ما يجتهد فيه، وطبع نسخة خاصة به، قد لا تكون متطابقة مع أية نسخة أخرى، لان الانسان المسلم يلتزم بالعقيدة الاسلامية الواردة في القرآن الكريم، وفيما عدا ذلك فان كل شيء مظنون واجتهادي وخاص ومختلف فيه، ولذلك لا يجوز تكوين صورة كلية عن الطوائف والمذاهب وتطبيقها على أي انسان، وانما يجب التعرف على آراء كل شخص بصورة ذاتية. خاصة وان المجتمعات تتطور وتتغير ولا تبقى على حال واحدة.

وعموما فإن في الدين قواعد لا يجوز أن يختلف عليها الناس. واجتهادات مبنية على أدلة ظنية لا يجوز أن تكون سببا لاختلاف الأمة، وانما مدعاة للحوار والنقاش. والخلاف بين الشيعة والسنة لا يدور حول القواعد الثابتة، وانما يتعلق بالقضايا الاجتهادية القائمة على أساس الأدلة الظنية.

ان تكوين صورة الآخر سواء كان سنيا أو شيعيا، تتم أحيانا في أجواء الصراعات السياسية والأحقاد العاطفية الشخصية، التي تدفع باتجاه التقاط عيوب الآخرين من أجل التشهير بهم والتحريض ضدهم والتعبئة العسكرية من أجل محاربتهم، والقضاء عليهم، وفي هذه الاجواء لا يمكن وضع النقاط على الحروف أو تقييم السلبيات والإيجابيات، ومعرفة الانحرافات الكبيرة من الاجتهادات الصغيرة الهامشية الخاطئة، التي يمكن التسامح فيها، وانما يتم استغلال كل نقطة سلبية وتضخيمها ورفعها الى مصاف الاختلافات العقدية الجوهرية التي تبرر قتل المخالف ومحاربته وتصفيته.

وإذا كان القاريء الكريم يعيش هكذا أجواء حربية، فمن الأفضل له أن يطوي الكتاب ووضعه جانبا، ريثما تهدأ نفسه ويصبح مستعدا نفسيا لمعرفة الحق من الباطل. ولتقريب الأمر اضرب مثلا بزوجين في حالة خناقة عصبية وتبادل اللكمات والكلمات الجارحة، والإصرار المسبق على الطلاق، فان كل واحد منهما يحاول أن يستذكر سلبيات الطرف الآخر وتقديمها للمحكمة لاتخاذ القرار لصالحه، ولن يفيدهما التذكير بمحاسن الخصم، أما إذا كان لديهما قرار مسبق بالمحافظة على عش الزوجية، ويتحليان بهدوء نفسي وراحة أعصاب فيمكنهما بالطبع وضع الامور في نصابها، وتذكر الإيجابيات وتحديد السلبيات من أجل معالجتها بكل محبة ولطف. أي ان المهم هي إرادة التعايش وبعدها تهون الأمور. وكما ان من الخطأ في أية حياة زوجية ترك السلبيات تنمو وتتضخم لأنها قد تفجر الحياة المشتركة في المستقبل، فكذلك ان ترك الأمور السلبية بين الطوائف المختلفة ليس في صالح الوحدة والتعايش المشترك، ولا يجوز دفن الرؤوس في الرمال، وانما تجب المبادرة الى معالجتها بروح أخوية، بعيدا عن التضخيم و التهريج والحرب الإعلامية.

واذا كان التعرف على أية مشكلة هو طريق حلها، فانه ينبغي ان نقوم بدراسة المشكلة الطائفية بهدوء وموضوعية. ولكي نقوم بهذه العملية علينا أولاً أن نضع النقاط على الحروف في مسائل الخلاف، ونميز بين العناصر الجوهرية والقشرية، والبائدة والمعاصرة، والأصولية والفرعية، والموضوعية والخارجية، والحقيقية والمفتعلة والمضخمة.

وقد اقترح فكرة هذا الكتاب فضيلة الأخ الشيخ محمد المختار الشنقيطي الذي آلمه تفرق المسلمين، فدعاني قبل عام الى تأليف كتاب مشترك ندرس فيه نقاط الالتقاء بين الطائفتين الاسلاميتين الكبيرتين (الشيعة والسنة) ونقاط الاختلاف بينهما، وقد تضمن العنوان المعبر الذي وضعه هو أيضا إشارة الى اتفاقهما في الأصل والدين، واختلافهما في السياسة والتاريخ. وقد بادرت الى تقديم رؤيتي في حزيران من عام ٢٠٠٥ وانتظرت عاما كاملا ليقدم الأخ الشنقيطي رؤيته، حتى يتضمن الكتاب رؤيتينا معا، ولكني لم أعد أسمع من الأخ جوابا، فقررت نشر الجزء المتعلق بي، بانتظار أن يكمل الأخ الشنقيطي الجزء الثاني المتعلق به، وعدت في هذه الأثناء الى وثائق ندوة عقدت في اسطمبول من ١٣ – ١٥ أيلول من سنة ١٩٩٣ تحت عنوان (الندوة العلمية الدولية حول التشيع عبر التاريخ وفي يومنا هذا) تحت إشراف وقف الدراسات الاسلامية في تركيا، برئاسة الدكتور علي أوزك، ومشاركة ثلة من أساتذة الجامعات التركية

والعلماء السنة والشيعة. وكان لي شرف المشاركة في تلك الندوة، فاستفدت كثيرا من الملاحظات التي قدمها العلماء السنة في نقد مختلف الجوانب الفكرية الشيعية، كما استفدت من الردود والأجوبة التي قدمها العلماء الشيعة، واحتفظت بالطبع بآرائي النقدية لكل من السنة والشيعة، التي أرجو من الجميع أن ينظر فيها ويقدم ملاحظاته عليها، من أجل ترسيخ الوحدة الاسلامية والتقدم بالأمة الاسلامية نحو الأمام.

واسأل الله التوفيق

أحمد الكاتب

لندن، حزيران ٢٠٠٦

الباب الأول: وحدة الدين

الفصل الأول: العقائد

المبحث الأول: المتفق عليه في العقائد (أسس العقائد مثل التوحيد والنبوة والمعاد)

يحدد الله تعالى أسس العقيدة الإسلامية في بداية القرآن الكريم في أول سورة البقرة حيث يقول: "ألم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون، والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون. أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون". حيث تتضمن هذه الآيات المباركة أسس العقيدة الاسلامية : الإيمان بالله تعالى والنبوة والمعاد، والتي لا يوجد خلاف حولها بين أحد من المسلمين من أية طائفة. ومع أن هذه الأسس تكفي لتوطيد قاعدة الوحدة بين المسلمين، الا ان حدوث بعض الاختلاف حول تفاصيل موضوع التوحيد أو المعاد، مثل التنزيه والتجسيم، أو المعاد الجسماني والمعاد الروحاني، ومعنى توحيد الله وعبادته، أثار عبر التاريخ نوعا من الجدل ليس بين الشيعة والسنة، وانما بين مختلف الطوائف بصورة عامة ، وخصوصا بين أهل الحديث (أوائل السنة) وبين المعتزلة والأشاعرة الذين أصبحوا يشكلون فيما بعد العمود الفقري لأهل السنة، والذين وافقهم الشيعة في كثير من الأمور.

وربما كان التفسير السلفي أو الوهابي للتوحيد، وهو الذي يؤكد على توحيد العبادة بدلا من الاكتفاء بتوحيد الربوبية والخالقية، يشكل اليوم أكبر خلاف بين المسلمين، حيث يعتبر بعض الوهابية، على ضوئه، عامة المسلمين من السنة والشيعة الذين لا يتفقون معهم على التركيز على توحيد العبادة فقط، أو تفسيره بشكل معين، ويكتفون بتوحيد الربوبية، أو إعلان التوحيد بصورة عامة، مشركين وكفارا جاهليين.

وقد سار على خطى السلفية بعض قادة الحركات الاسلامية المعاصرة (كالمفكر المصري سيد قطب)، الذين اعتبروا المجتمعات الاسلامية مجتمعات جاهلية مشركة لأنها لا تلتزم بتوحيد العبادة في التشريع وتتبع أو توالي حكاما "كفارا" لا يحكمون بما أنزل الله.

واذا استثنينا موضوع تكفير الخوارج للامام علي بسبب التحكيم، وتكفيرهم لمرتكب الكبيرة، فان أول خلاف عقدي جدي عصف بالأمة الاسلامية، كان يدور حول القدر أو الجبر والتفويض، وهل الانسان مسير؟ أم مخير؟.. ومن المعروف أن هذا الخلاف نجم بين المسلمين قبل تبلور الفرق الاسلامية كطوائف. ثم حدث الخلاف الأكبر الذي أدى الى نشوء فرقة "أهل السنة" وولادتها على يدي الامام أحمد بن حنبل، وهو الخلاف الذي دار مع الامام ابي حنيفة الذي كان يقول بشرعية الرأي في مواجهة الأحاديث الضعيفة المتكاثرة المنسوبة الى النبي (ص)، والذي كان من آثاره القول بعدم خلق القرآن، خلافا لما كان يقوله الامام أبو حنيفة ومن ورائه المعتزلة. وقد أدى ذلك الخلاف العنيف الى تكفير الامام أحمد لمن يقول بخلق القرآن ووصمهم بأهل البدعة، في مقابل "أهل السنة". حيث أصر الامام أحمد على اعتبار القول بخلق القرآن بدعة ومخالفة للسنة، وبدَّع حتى من يقف في ذلك، فقال: "ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه قال: (لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله). فهذا صاحب بدعة مثل من قال: (هو مخلوق)، وإنما هو كلام الله ليس بمخلوق".[١]

ورغم تنازل "الأشاعرة" عن كثير من آرائهم "الاعتزالية" لصالح أهل الحديث، فان "السنة الأصليين" أي الحنابلة، ظلوا يعتبرونهم من أهل البدعة، ولم يقبلوا بهم في دائرة أهل السنة، الا على مضض ، وفي مقابل الشيعة.[٢]

---

[١] – اللالكائي، شرح اصول اعتقاد أهل السنة، فقرة رقم: ٤٥٠ والأشعري، الإبانة عن اصول الديانة،ص ٤٢ – ٤٣ وراجع أيضا: "السنة" للامام الخلال، ج٥ ص ١٢٧

[٢] – يقول الدكتور محمد بن سعيد القحطاني (محقق كتاب السنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل) : إن أهل الحديث والسنة المحضة ، لا يدخل في مصطلحهم "أهل السنة" الا من يثبت الصفات لله تعالى، ويقول: ان القرآن غير مخلوق، وان الله يرى في الآخرة ويثبت القدر، وغير ذلك من الأمور المعروفة عند أهل الحديث والسنة. لذا دأب كثير من المصنفين في

المبحث الثاني: المختلف عليه في العقائد (عقيدة الإمامة الالهية)

وفي تلك الأيام الأولى لنشوء المذاهب، لم يكن موضوع الامامة أو الخلافة يعتبر أصلا من أصول الدين، لأن القرآن الكريم لم يتحدث عنه بالتفصيل، ولكن مبادرة فريق من الشيعة عُرف بالإمامية، أو الرافضة، الى القول في القرن الثاني الهجري بموضوع النص من النبي على الامام علي بالخلافة، وانحصار الحق بها في البيت العلوي الحسيني، والاستدلال عليها بتأويلات معينة لبعض آيات القرآن الكريم، أو الاستعانة على ذلك بأحاديث عامة أو ضعيفة.. كل ذلك رفع موضوع الامامة الى مصاف العقيدة، وجعل الموضوع جزءا ملحقا بالنبوة وامتدادا لها.[٣] وهو ما استثار العقل السني لاعتبار أفضلية الخلفاء الراشدين وتسلسلهم في الفضل، جزءا من الأمور الاعتقادية، بالرغم من اعتراف السنة بعدم وجود نص صريح على الخلافة وترك الأمر شورى بين المسلمين.[٤]

وقد استعرض الدكتور علي أوزك، في الندوة العلمية الدولية حول الشيعة، التي عقدت في اسطمبول سنة ١٩٩٣ الخصائص المشتركة بين أهل السنة والشيعة، في كلمته التي حملت عنوان (رأي الشيعة الامامية الاثني عشرية في التفسير) فقال: ان الخصائص المشتركة هي:

العصور الأولى على تسمية كتبهم بالسنة ، أو شرح السنة، أو أصول السنة ، حتى يخرج بذلك الطوائف المبتدعة التي تخالفنا في الأمور التي ذكرها..." . ص ٥٧ مجلد ١

[٣] – وبعد رفع الشيعة موضوع الامامة الى مصاف العقيدة، كان لا بد أن ينعكس ذلك على الموقف من غير المؤمنين بها، تكفيرا وتفسيقا وتضليلا. وقد أثار الدكتور عوني إلخان، في الندوة العلمية العالمية عن الشيعة التي عقدت في اسطنبول سنة ١٩٩٣ موضوع تكفير المخالفين، فقال:"يزعم علماء الشيعة تكفير محاربي علي. وأما مخالفي علي في الامامة آراء مختلفة. وادعى بعض علمائهم كفر المخالفين وقال آخرون انهم فساق. وهذا الرأي أقوى وأرجح. ويقول الشيعة والمسلمون الذين لا يعتقدون أصول الامامة والعدل كاعتقاد الشيعة ليسوا كفارا بل هم مخطئون في التأويل فقط".

الندوة العلمية الدولية حول التشيع عبر التاريخ وفي الوقت الحاضر، ص ٤٤٠

[٤] – وفي هذا المجال يروي البربهاري عن طعمة بن عمرو وسفيان بن عيينة أنهما قالا: من وقف عند عثمان وعلي فهو شيعي، لا يعدّل، ولا يكلم، ولا يجالس. ومن قدم عليا على عثمان فهو رافضي، فقد رفض آثار اصحاب رسول الله (ص) ومن قدم الثلاثة على جماعتهم، وترحم على الباقين، وكف عن زللهم فهو على طريق الاستقامة والهدى في هذا الباب. (الإمام البربهاري، شرح السنة، ص ٤٩) ويقول الخلال:أخبرني محمد بن هارون ان اسحاق بن ابراهيم حدثهم قال: سألت ابا عبد الله (أحمد بن حنبل) عمن قدم عليا على عثمان فقال: **هذا رجل سوء**. (الخلال أبو بكر، السنة، ج ٢ ص ٣٨٢)

١- التوحيد: حيث لا فرق بين عقيدة الشيعة وأهل السنة في التوحيد. لأن الشيعة تؤمن بوجود الله تعالى ووحدانيته، الا انها أقرب الى المعتزلة في المسائل الاعتقادية والكلامية.

٢- النبوة: ان الشيعة تؤمن أيضا بنبوة محمد (ص)

٣- المعاد: أي الإيمان بالآخرة والبعث بعد الموت، والحساب والجنة والنار وأمثالها. فان هذه المسائل غير مختلف فيها بالكثير.

واستدرك قائلا:"أما المسائل التي تختلف الشيعة فيها مع أهل السنة فهي الامامة، وانما يقوم أساس اختلاف الفريقين على هذه المسألة، حيث ان فكرتهم حول مبدأ الامامة انما تمثل الفارقة الأساسية للشيعة. ان الشيعة الامامية الاثني عشرية يبنون كل شيء من عقائدهم على مبدء النبوة والامامة. فان الامام عندهم – أي عند الشيعة القدماء بالأخص – شارع (أي صالح للتشريع) كما ان النبي شارع. ويتلقى الامام الوحي مثل النبي، ويقوم بحل الأمور عن طريق الوحي. والأئمة مسؤولون عن الشؤون الادارية والسياسية والتعليمية والاقتصادية والاجتماعية للناس، فيقوم الامام ببيان الأحكام ويفتي ويفسر آيات الأحكام، ويؤولها حسب معتقداتهم. فبهذا الاعتبار يجب على الناس اتباعه مطلقا الا انه من حق الامام أيضا أن يلزم التقية حسب الأحوال والمصالح".[٥]

وأضاف:"إن التشيع نزعة سياسية أكثر من أن تكون عقيدة دينية، بيد ان هذه النزعة السياسية قد انقلبت الى عقيدة دينية مع الزمان، ولهذا يشترط على من يتمذهب بالتشيع أن يعتقد بأن الخلافة مقصورة على سلالة علي مطلقا. وفي الأصل فان اعتبار هذا المعتقد الذي لا يتعدى عن نزعة سياسية (اعتبارها عقيدة دينية) أمر يتناقض مع تعاليم القرآن والسنة في ذات الوقت. وهذا المعتقد قد اعتبر من الأسس التي يتوقف عليه اسلام المرء (أي يشترط عليه أن يعتنقه اذا أراد أن يكون مسلما) وذلك حسب المصادر القديمة للشيعة. غير ان آية الله مكارم شيرازي – أثناء لقائنا معه في شهر أيلول عام ١٩٩١ بمدينة قم – كان قد أفاد بأن عقيدة الامامة ليست من شروط الاسلام، وانما هي من شروط التشيع، وجاء يومئذ بتوضيحات معقولة وافية في ذلك.

إن عقيدة الامامة تعني أن رئيس الدولة يجب أن يكون معصوما كالأنبياء، وأن الامام يتلقى الوحي من الله مثلهم بالضبط كما انهم يمتازون بصفات الأنبياء ولهم من الحق وصلاحيات التصرف ما للأنبياء (حسب زعمهم) ونتيجة هذه العقيدة فيما يخص الامام ورئيس الدولة ان الشيعة تعتقد للامام شخصية متفوقة عن الطابع البشري، كما تعتقد ان كل عمل يقوم به الامام انه عمل صحيح ومقبول، ويجب التصديق على كل ما يأمر به وينهاه. وهي في حكمها كأوامر الدين ونواهيه. وبحكم الطبع ان هذه العقيدة تجتذب معها نزاعا، لأن عامة المسلمين تؤمن بأن محمدا (ص) هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما

---

[٥] – الندوة العلمية الدولية حول التشيع عبر التاريخ وفي الوقت الحاضر، ص ٢٤٢

تشهد على ذلك الآية ٣٠ من سورة الاحزاب وهو قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما). كذلك يؤمن المسلمون بأن الوحي مختوم أيضا. ولم يعد أحد ذا عصمة على وجه الأرض بعد محمد (ص) وهذا هو السبب الذي قد أدى الى نشوب معارك ضارية بين مؤيدي هذين الرأيين المتناقضين على امتداد التاريخ. **لذا يجب – أولا وقبل كل شيء – أن يتم ادخال المرونة على هذين الرأيين المتضاربين تمهيدا للاصلاح بينهما**. وحسب اعتقادنا ان أهم الفوارق التي تتميز بها الشيعة عن بقية الفرق هي مسألة الامامة".[٦]

وقال الدكتور أوزك:"ثمة حقيقة يعلمها الجمهور بأن الرسالة قد ختمت بمحمد صلى الله عليه وسلم، كما ختم الوحي، لذلك ان الناس سيتبعون ثلاثة أشياء الى قيام الساعة، وهي القرآن والسنة الشريفة والعقل السليم. لذا اذا صدقنا ما يزعمه الشيعة في هذا الأمر أفلا نكون قد خالفنا التعاليم العامة للقرآن والسنة التطبيقية للرسول صلى الله عليه وسلم؟ ثم اذا قلنا كما يزعم الشيعة : ان رسول الله أراد ان يستخلف عليا ولكنه لم يستطع، لأن الذين كانوا حوله منعوه من ذلك. ان هذا القول لغو كما انه يشير الى ان رسول الله قد كتم بعض الحقائق خوفا من بعض الناس، وذلك مخل لوصف النبوة، مع ان النبي معصوم ولا يستطيع اطلاقا أن يكتم شيئا من الحقائق الدينية بمنع الغير، والا عجز الرسول (ص) عن أداء مهمته الرسالية، وهذا أمر غير معقول".[٧]

وقد رد السيد مهدي الحسيني الروحاني، على كلمة الدكتور أوزك واشار الى قوله"ان الامام عند الشيعة شارع كما ان النبي شارع ويتلقى الامام الوحي مثل النبي" وقال:"هذه النسبة غير صحيحة الى الشيعة، فان أحاديث الشيعة متظافرة عن أئمتهم (ع) في أن كل ما يقولونه انما هو بروايتهم عن رسول الله (ص) مثل قول الباقر : يا جابر انا لو كنت حدثتكم برأينا وهوانا لكنا من الهالكين، ولكنا نحدثكم بأحاديث نكنزها عن رسول الله (ص) كما يكنز هؤلاء ذهبهم وفضتهم ، وفي رواية محمد بن شريح عن الصادق: والله ما نقول بأهوائنا ولا نقول برأينا ولا نقول الا ما قال ربنا. وروايات الشيعة في هذا المعنى كثيرة جدا ونسبة خلافها الى أئمة أهل البيت كذب وافتراء.

ومن العجيب ان الذي نسبه الكاتب (أوزك) الى الشيعة هو قول أهل السنة فهم الذين جعلوا حق التشريع للصحابة وجعلوا للصحابة سننا كسنن رسول الله ، فراجع أعلام الموقعين ج ٤ ص ١٢٠ حيث يذكر ما يزيد عن أربعين وجها لذلك، منها عليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهدين الراشدين تمسكوا بهما، فقال **قرن سنة خلفائه بسنته** (وسنة الخلفاء غير سنة النبي) والا كان ذلك سنة النبي".[٨]

---

[٦] – المصدر السابق ، ص٢٣٩

[٧] – المصدر السابق، ص ٢٤١

[٨] – المصدر السابق، ص ٢٥٥

وعلق الدكتور علي أوزك على رد الروحاني، فقال:"الحقيقة انني حينما أذكر أشياء قد وردت عن الشيعة في القديم أذكرها كأنها آراء اعتنق بها بعض الناس في الماضي ، وغايتي الآن هي الوصول الى طريق وسط يمشي فيه أهل السنة والشيعة لأن كل الناس مسؤولون عند الله وهؤلاء الذين سبقونا ليسوا مسؤولين عنا ونحن لسنا مسؤولين عنهم، لذلك يجب علينا أن ننصف ونتحد في أصل الدين ، لأن كل ما ذكرته موجود في كتب وتفاسير الشيعة وأهل السنة، وهم ماتوا ونحن الآن نعيش. كان المطلوب منا أن نجتمع ونتذاكر هذه الآراء ونأخذ ما كان صحيحا منها ، ونترك ما كان مختلفا فيه لنصل الى الحق وهو الاسلام الذي استند على كتاب الله وسنة رسوله (ص) الصحيحة".[٩]

المبحث الثالث:الغلو والغلاة

وربما كان الأمر يهون بالنسبة للإمامية الذين اعتقدوا بنظرية النص على الامام، إذا قسنا ذلك بالنسبة للغلاة الذين نشطوا في أواخر القرن الأول الهجري، واندسوا في صفوف الشيعة، وراحوا يبثون عقائدهم المنحرفة التي استوردوها من الأديان والحضارات السابقة على الاسلام، كالنصرانية واليهودية والمجوسية والهرمسية، باسم أهل البيت.

وتمحور غلوهم حول رفع أئمة أهل البيت من المستوى الانساني العادي، الى مستوى النبوة والألوهية. حيث كان البعض من الغلاة يرفض فكرة الخاتمية للنبي محمد (ص) ويقول بضرورة استمرار الوحي الى يوم القيامة، أو يقول بنظرية حلول الإله عز وجل في اشخاص الأئمة، وقيامهم بمهام الله تعالى في الدنيا والآخرة، من الرزق والخلق والموت والحساب وما الى ذلك. وهو ما يرفعهم الى درجة الألوهية.

وقد اشتهر من هؤلاء الغلاة:

١- عبد الله بن سبأ، الذي كان أول من أظهر الغلو في حياة الامام علي، وقال: حل في على جزء إلهى و اتحد بجسده و به يعلم الغيب، و أتي في الغمام، و الرعد صوته و البرق تبسمه و ينتقل هذا الجزء الالهى بنوع من التناسخ من إمام إلي إمام.

وهناك جدل حول حقيقة هذا الشخص وحجم الدور الذي لعبه في الفتنة الكبرى والثورة على عثمان، وفيما اذا كان شخصية حقيقية أو شخصية أسطورية، واذا كان من المبالغ فيه نسبة كل الحركات السياسية والحروب التي انخرط فيها كبار الصحابة وأهل المدينة ومصر والعراق الى رجل يهودي واحد، فانه لا يمكن إغفال ظاهرة التطرف والغلو التي انتشرت في الكوفة في أوساط السبئيين، وهم قسم من

---

[٩] - المصدر السابق، ص ٢٥٧

قبائل اليمن الشيعية التي استوطنت الكوفة. كما لا يمكن إنكار تذمر الشيعة وأئمة أهل البيت من (عبد الله بن سبأ) و (السبئية).

٢- بيان بن سمعان النهدي، في زمان الامام علي بن الحسين

٣- المغيرة بن سعيد، في زمان الامام الباقر

٤- حمزة بن عمارة البربري

٥ – الحارث الشامي

٦ – عبد الله بن الحارث

٤ - أبو الخطاب محمد بن أبي زينب الاسدى، الذي قال: إن جعفر الصادق هو إله زمانه، وقد قال الشهرستاني:قد بالغ الصادق في التبرى من أبي الخطاب و اللعن عليه.

وردت أسماء هؤلاء في حديث للامام جعفر بن محمد الصادق يلعنهم فيه، ويقول:" (هل أنبئكم على مَن تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم) قال : هم سبعة: المغيرة وبيان وصائد وحمزة بن عمارة البربري والحارث الشامي وعبد الله بن الحارث وأبو الخطاب". وقد تكونت من هؤلاء ومن غيرهم فرق متعددة كما يلي:البيانية والخطابية والشعيرية والمغيرية والبائية والغرابية والعليائية والمخمسة والبزيعية والمنصورية والمفوضة، وهم الذين قالوا: إن الله خلق الائمة، ثم اعتزل تاركا لهم خلق العالم، و تدبير شئونه .

وقد قام هؤلاء المفوضة بتأويل بعض آيات الله في القرآن الكريم التي تتحدث عن معاجز الأنبياء، كانقلاب العصا الى حية تسعى، بالنسبة للنبي موسى (ع) وإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، بالنسبة للنبي عيسى (ع) وإلانة الحديد، بالنسبة لداود (ع) وتسخير الرياح لسليمان (ع)، وخلق الطيور ودعائهن كما حدث بالنسبة للنبي ابراهيم (ع) حيث يقول النبي عيسى (ع) مثلا: "إني قد جئتكم بآية من ربكم أني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وابرئ الاكمه والابرص واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين".ال عمران، ٤٩ فقال الغلاة أن ذلك يعني تفويض الله للأنبياء التحكم في الكائنات والتصرف في الواقع الخارجي، ومنحهم الولاية التكوينية، لأن القرآن يتحدث عن تلك المعاجز وكأنها من فعل الانبياء بإذن الله (وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله) وان من يأتي بالآية أو المعجزة أو الأمر الخارق للعادة هو النبي بصريح القران ولكن بإذن الله، وهذا ما يدل بزعمهم على وجود مبدء الولاية التكوينية.

ثم انطلقوا من هذه النقطة ليثبتوا (الولاية التكوينية) لأئمة أهل البيت، وذلك بعد أن قاموا بقياسهم على أوصياء الأنبياء السابقين، أو الرجال الصالحين الذين كانوا حول الأنبياء مثل صاحب العفريت الجني أو صاحب النبي سليمان (ع) كما في الآية التالية:" قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن

يأتوني مسلمين. وقال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك" سورة النمل ٤٠

وقالوا: مادام وصي سليمان (آصف بن برخيا) أو العفريت الجني قادرين على التصرف بالكون، فإن أوصياء النبي محمد (ص) وهم أئمة أهل البيت قادرون على إتيان المعاجز والتصرف بالكون، إذن فلهم الولاية التكوينية من الله، وادعى الغلاة عددا من المعاجز لبعض الأئمة، كما ادعوا علمهم بالغيب من الله، وقالوا: ان وصي سليمان: آصف بن برخيا كان عنده شيء من علم الكتاب (وقال الذي عنده علم من الكتاب)، وأما الامام علي أو الأئمة الآخرون فان عندهم (علم الكتاب كله) واستندوا في دعواهم هذه على تأويل آية أخرى من القرآن الكريم، وهي:"وقل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب" التي يدعون أنها نزلت – حسب الروايات المتواترة من الخاصة والمخالفين – في علي وآل علي. وكما يقول أحدهم:"لا قياس بين بين علم آصف بن برخيا وبين علم مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه الا كما تقاس البعوضة التي تأخذ الماء من البحر بحسب تشبيه الامام الصادق عليه السلام عندما سئل عن النسبة بين العلمين".[١٠][13] ثم زعموا "أن أهل البيت عندهم علم الكتاب وعلم جميع الانبياء والمرسلين كما تواترت الروايات في تفسير الايات القرانية الكريمة النازلة بحقهم عليهم السلام".

وقد بنى الغلاة دعاواهم تلك على ضوء دعواهم الأولى بأن أئمة أهل البيت هم أوصياء النبي (ص) وانهم معينون من قبله لقيادة الأمة الاسلامية الى يوم القيامة، واعتبروا "المعاجز" المدعاة دليلا على صدقهم وعلامة على إمامتهم، بالرغم من انه لم يثبت قيام أحد من الأئمة بأية معجزة أو تحدث بالغيب. ولكن الغلاة صنعوا لهم حكايات وقصص وروايات وأحاديث على لسان أهل البيت، وصدقوها، لا بل اعتبروها روايات متواترة لا تقبل النقاش.

وعندما كان أئمة أهل البيت ينفون كل مقولات الغلاة تلك من العلم بالغيب أو نزول الوحي أو إتيان المعاجز، وينكرون نسبة أي طبيعية غير بشرية عادية لهم، كان الغلاة يتسترون بشعار التقية، ويقلبون أقوال الأئمة رأسا على عقب، ويدعون أنهم يسرون لهم بما لا يستطيعون البوح به أمام الناس.[١١][14]

ولعل في قصة أبي الخطاب الأسدي، أفضل شاهد على ذلك حيث لعنه الامام الصادق، لأنه كان يدعي له صفة الربوبية، وتبرأ منه، فما كان منه عندما وصله خبر اللعن، حتى قال بأن الامام يقصد رجلا آخر في البصرة يكنى بأبي الخطاب، ولكن الامام الصادق عاد فلعنه بالتحديد، ومع ذلك فان أبا الخطاب الذي كان يسكن الكوفة، لم يستسلم أمام هذا الموقف ، وانما قال: بان الامام الصادق يلعنه

أمام الناس لأنه يريد المحافظة على سلامة السفينة، كما أراد صاحب موسى الذي خرق السفينة لكي ينجيها من الملك الغاصب "اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت ان أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا ". الكهف ٧٩[١٢][15]

وفيما خرج معظم الغلاة الذين قالوا بألوهية الأئمة أو نبوتهم، عن دائرة الاسلام، فان (المفوضة) ظلوا يلصقون أنفسهم بالشيعة ويحاولون تسريب شبهاتهم الى صفوف الامامية.

واذا كان الشيعة بصورة عامة قد رفضوا دعاوى الغلو الصارخة والمتطرفة، فان بعضا من أفكارهم مثل استمرار نزول الوحي بشكل أو بآخر، على الأئمة، ودعوى علمهم بالغيب، وإتيانهم بالمعاجز، كعلامة من علامات الإمامة الإلهية، ومهمة من مهماتها، قد تسرب الى الفكر الامامي الذي استبعد بعض الغلاة فيه، انتهاء النبوة وقال بضرورة وجود العالم الرباني الذي يعلم الكتاب ويقدم للناس الأجوبة عما يحدث من مسائل جديدة، ليس بالاجتهاد ورواية الأحاديث النبوية، وانما بالعلم اليقين من الله.

وبالطبع فان هذا القول هو ليس قول كل الشيعة الامامية، ولكنه قول بعضهم، وهو ينطوي على درجة من الغلو، حيث يعتبر الأئمة شبه أنبياء يتنزل عليهم الوحي، وانهم يعلمون الغيب من الله، ويجترحون المعاجز، في حياتهم وبعد مماتهم.

وذهب بعض الإمامية الى اعطاء دور أكبر للأئمة من الخلافة السياسية (الظاهرية) وفضلهم لذلك على كثير من الأنبياء والمرسلين، ما عدا النبي محمد (ص).

وربما كان الخلط بين الفكر الامامي وأفكار الغلاة، هو سبب ما حصل ويحصل لدى كثير من الكتاب في نسبة جميع فرق الشيعة حتى الامامية الى الغلاة، مع أن الامامية يكفرون الغلاة ويتبرأون منهم ويلعنونهم، وذلك بسبب اختلاط الغلاة بالامامية، والارتفاع بالأئمة الى مستويات عليا فوق الدور الأساسي الأول الذي انطلق منه الكلام، وهو الدور السياسي التشريعي والتنفيذي، الذي يحتاج اليه المسلمون في كل زمان ومكان.

موقف أئمة أهل البيت من الغلاة

ونظرا لخطورة الغلاة بكل أصنافهم على حركة التشيع، فقد اتخذ أئمة أهل البيت أشد المواقف منهم، فقال الامام جعفر الصادق:" ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، و الله مالنا على الله من حجة، و لا معنا من الله براءة، وإنا لميتون و موقوفون ومسئولون، من أحب الغلاة فقد أبغضنا، ومن أبغضهم

فقد أحينا، الغلاة كفار و المفوضة مشركون، لعن الله الغلاة، ألا كانوا نصارى ألا كانوا قدرية! ألاكانوا مرجئة! ألا كانوا حرورية".[١٣][16]

وقال :" لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا ، وإليه مآبنا ومعادنا ، وبيده نواصينا".[١٤][17] وقال :" لعن الله عبدالله بن سبأ ، إنّه ادعى الربوبية في أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان والله أمير المؤمنين عليه السلام عبداً لله طائعاً ، الويل لمن كذب علينا ، وإنّ قوماً يقولون فينا ما لا نقوله في أنفسنا ، نبرأ إلى الله منهم ، نبرأ إلى الله منهم ".[١٥][18]

وقال له أحد أصحابه وهو سدير : إنّ قوماً يزعمون أنكم آلهة ، يتلون بذلك علينا قرآناً (وَهُوَ الَّذِي فِي السَّماءِ إِلَهٌ وفِي الأَرضِ إِلَهٌ)؟ فقال عليه السلام :" ياسدير ، سمعي وبصري وبشري ولحمي ودمي وشعري من هؤلاء براء ، وبريء الله منهم ، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي ، والله لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلاّ وهو ساخط عليهم ".[١٦][19]

وكان الامام الصادق يحذر الشيعة من الغلاة قائلا : " إحذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم ، فان الغلاة شرّ خلق الله ، يصغّرون عظمة الله ويدّعون الربوبية لعباد الله ، والله إنّ الغلاة شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا" .

وعندما قتل أبو الخطاب، قال الامام الصادق:" لعن الله أبا الخطاب ولعن الله مَن قُتِل معه ولعن اله مَن بقي منهم ولعن الله مَن دخل قلبه رحمة ".

وروى الكشي: أن الصادق (ع) قال لأحد أصحابه:"قل للغالية توبوا إلى الله فإنكم فسّاق كفّار مشركون".

وسأل رجل الامام الرضا عليه السلام : ما تقول في التفويض؟ قال: ان الله تبارك وتعالى فوض الى نبيه أمر دينه ، فقال :" وما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا" فأما الخلق و الرزق فلا ، ثم قال: ان الله عز وجل يقول:" الله خالق كل شيء" وهو يقول:" الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ سبحانه و تعالى عما يشركون".

وروى ابو هاشم الجعفري ، قال سألت أبا الحسن الرضا عن الغلاة و المفوضة ، فقال: الغلاة كفار و المفوضة مشركون ، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زاوجهم أو تزوج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عز وجل وولاية رسوله وولايتنا أهل البيت".

وقال في حديث آخر:"الإمام يولد ويلد، ويصح ويمرض، ويأكل ويشرب، ويبول ويتغوط، وينكح وينام، وينسى ويسهو، ويفرح ويحزن، ويضحك ويبكي، ويحيا ويموت، ويُقبر ويُزار، ويُحشر ويُوقف، ويُعرض ويُسأل،ويُثاب ويُكرم، ويشفع".

وروى الكشي: أن الإمام الرضا (ع) قال:"كان بنان يكذب على علي بن الحسين (ع) فأذاقه الله حرّ الحديد، وكان المغيرة بن سعيد يكذب على أبي جعفر (ع) فأذاقه الله حر الحديد".

وعقد المجلسي في موسوعته (بحار الأنوار) باباً تحت عنوان (نفي الغلو في النبي والأئمة صلوات الله عليه وعليهم وبيان معاني التفويض وما لا ينبغي أن ينسب إليهم منها وما ينبغي) أورد فيه أربعاً وتسعين رواية عنهم (ع) في نفي الغلو وأربعاً وعشرين رواية في التفويض، كما أورد آراء بعض شيوخ الشيعة.

موقف الشيعة من الغلاة

ومن هنا قال الشيخ الصدوق (– ٣٨١هـ):"اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله جل جلاله وأنهم شرّ من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة، وأنه ما صغر الله جل جلاله تصغيرهم شيء، وقال جل جلاله: (ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ، ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيأمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون) آل عمران، ٧٩، وقال الله عز وجل: (لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق) النساء، ١٧١. قيل للامام الرضا (ع): أن الامام يخلق و يرزق.؟.. فما كان من الامام الا أن قال وهو يدعو الله تعالى مستغفرا من مقالتهم تلك : " اللهم اني أبرأ اليك من الحول و القوة و لا حول و لا قوة الا بك ، اللهم اني أعوذ بك و أبرأ اليك من الذين ادعوا لنا ما ليس لنا بحق ، اللهم اني أبرأ اليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا ، اللهم لك الخلق و منك الرزق و اياك نعبد و اياك نستعين ، اللهم أنت خالقنا و خالق آبائنا الأولين و آبائنا الآخرين ، اللهم لا تليق الربوبية الا بك و لا تصلح الالهية الا لك ، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك و العن المضاهئين لقولهم من بريتك . اللهم انا عبيدك و أبناء عبيدك لا نملك لأنفسنا نفعا و لا ضرا و لا موتا و لا حياة و لا نشورا ، اللهم من زعم أنا أرباب فنحن منه براء ، و من زعم أن الينا الخلق و علينا الرزق فنحن اليك منه براء كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، اللهم انا لم ندعهم الى ما يزعمون ، فلا تؤاخذنا بما يقولون و اغفر لنا ما يزعمون " رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ، انك ان تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا الا فاجرا كفارا ".[١٧][20]

وقال الشيخ المفيد:"الغلو في الغلة: هو التجاوز عن الحد والخروج عن القصد. قال الله تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ...) النساء ١٧١، فنهى عن تجاوز الحد في المسيح وحذّر من الخروج عن القصد في القول وجعل ما ادعته النصارى فيه غلواً لتعديه الحد على بيناه، والغلاة من المتظاهرين بالإسلام هم الذين نسبوا أمير المؤمنين والأئمة من ذريته (ع) إلى الأُلوهية والنبوة ووصفوهم من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد، وهم ضُلاّل كفار حكم فيهم أمير المؤمنين (ع) بالقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمة (ع) عليهم بالإكفار والخروج عن الإسلام". وقال مبيناً حد الغلو في نسبة صفات الألوهية إلى البشر:"ويكفي في علامة الغلو نفي القائل (به) عن الأئمة سمات الحدوث وحكمه لهم بالإلهية والقِدَم، إذ قالوا بما يقتضي ذلك من خلق أعيان الأجسام واختراع الجواهر وما ليس بمقدور العباد من الأعراض". وقال:"المفوضة صنف من الغلاة وقولهم الذي فارقوا به من سواهم من الغلاة اعترافهم بحدوث الأئمة وخلقهم ونفي القدم عنهم وإضافة الخلق والرزق مع ذلك إليهم، ودعواهم أن الله سبحانه وتعالى تفرّد بخلقهم خاصة وأنه فوض إليهم خلق العالم بما فيه وجميع الأفعال".[١٨][21]

ومع ان الشيخ المفيد كان يعتقد بعدم استحالة نزول نوع من الوحي على الأئمة، وظهور المعجزات على أيديهم، حيث يقول:"إنّ العقل لا يمنع من نزول الوحي إليهم وإن كانوا أئمة غير أنبياء، فقد قال تعالى: (وأوحينا إلى أم موسى أنّ أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم). فعرفت صحة ذلك بالوحي وعملت به، ولم تكن نبياً ولا رسولاً ولا إماماً ولكنها كانت من عباد الله الصالحين،كما أنّ العقل لم يمنع من بعثة نبي بعد نبينا ونسخ شرعه" الا ان المفيد يرفض ذلك الاحتمال استنادا الى إجماع المسلمين، حيث يقول:" منع ذلك الإجماعُ والعلمُ بأنه خلاف دين النبي محمّد . صلى الله عليه وآله . من جهة اليقين وما يقارب الاضطرار. والإمامية جميعاً على ما ذكرت ليس بينها على ما وصفت خلاف".[١٩][22]

ولذلك اعتبر الشيخ المفيد نسبة النبوة أو الألوهية للأئمة غلوا ، لا يقول به الا المتظاهرون بالاسلام، كما رأينا قبل قليل. ورد على الغلاة الذين يتشبثون ببعض الأحاديث الضعيفة المنسوبة الى أهل البيت، فقال:"ما روي من خبر الواحد في هذا الباب ولو رواه ألف إنسان وألف ألف لما جاز أنّ يجعل ظاهره حجة في دفع الضرورات وارتكاب الجهالات بدفع المشاهدات". [٢٠][23]

ومع ان الشيخ المفيد نفى علم الأئمة بالغيب، الا انه قبل نسبته اليهم بتعليم الله لهم، وليس بصفة ذاتية فقال:"أما إطلاق القول عليهم (أي الأئمة) بأنهم يعلمون الغيب، فهو منكر بَيِّن الفساد، لأن الوصف بذلك إنما يستحقه من علم الأشياء بنفسه، لا بعلمٍ مستفاد، وهذا لا يكون إلا لله عز وجل، وعلى قولي هذا جماعة أهل الإمامة، إلا مَن شذّ عنهم من المفوضة ومَن انتمى إليهم من الغلاة". وحكى

بعض الإمامية عن رجل سأل الإمام علي (ع) : هل أُوتيت علم الغيب، فأجابه:"يا أخا كلب! ليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلّم من ذي علم". وهذا ما ينسجم مع ادعاء بعض الإمامية بعلم الأئمة بالغيب تعليما ، تبعا للرسول الذي أخبر الله تعالى باطلاعه على الغيب. وذلك في مجال استدلال الإمامية على ارتباط الأئمة (أو نوابهم) بالله تعالى.

وهذا في الحقيقة أيضا نوع من الغلو الذي يضطر الامامية للقول به، من أجل إنقاذ نظرية الامامة التي لا تقوم من دون تلك الدعاوى، وخاصة حين التحدث عن علم للأئمة (محمد الجواد، وعلي الهادي، والمهدي) الذين تركهم آباؤهم وهم أطفال صغار لم يتعلموا، مما يضطر الإمامية للادعاء بأنهم علموا العلوم كلها من الله مباشرة بدون معلم، وخشية من الاعتراف بتلقي العلم من أحد، لأن ذلك المعلم سوف يصبح أفضل منهم وأولى بالامامة.

وهذا ما يكشف عن أن الغلو كان مراتب ودرجات، ويختلف من رجل الى آخر، ومن جماعة الى أخرى، ففي الوقت الذي كان الامامية يتبرءون من المفوضة والغلاة الذين ينسبون صفات الله وأعماله الى الأئمة، كان بعضهم يسير في نفس الطريق الذي أدى بغيره الى المراتب العليا من الغلو، ولذلك وُجد عبر التاريخ نوع من التلازم بين القول بنظرية الامامة الالهية وبين الغلو، وخيم نوع من الغموض في الموقف من خاتمية النبي محمد، ودور الأئمة المكمل للنبوة، أو ضرورة استمرار نزول الوحي الى يوم القيامة. وان لم يكن الامامية يقولون بهذا القول بصراحة لأنه سوف يخرجهم من الدين الاسلامي ويضطرهم الى إنكار ضروري من ضروريات الدين وهو "الخاتمية". ولكنهم كانوا يوسعون دائرة الوحي ليشمل مثل الوحي الذي أنزل على أم موسى فيقولون بنزوله على الأئمة. حيث كانوا يفرقون بين كيفية نزول الملائكة على الأنبياء والأئمة فيدعون رؤية الأنبياء لهم وسماع الأئمة لأصواتهم فقط.

وإذا أثبتنا القول بحصول أي نوع من الوحي على الأئمة، حتى من قبيل وحي أم موسى، فاننا سوف نبني رابطة خاصة بينهم وبين السماء ترفعهم عن مستوى الناس العاديين الذين يتلقون علومهم عن طريق الرواية والتعليم أو الاجتهاد. وهذا بحد ذاته نوع من الغلو.

وبناء على اختلاف نظرية كل مجتهد شيعي، كان يختلف موقفه من الآخرين، فيعتبرهم غلاة أو مقصرين، أو في أي درجة من الغلو، فبينما كان معظم مشايخ الطائفة الشيعية الامامية (في القرنين الرابع والخامس) يعتبرون التفويض غلوا مكفرا مخرجا عن الملة، رأينا بعض المتأخرين كالوحيد الخراساني، يقبل به بسهولة.

وبينما كان موقف ابن الغضائري، وهو من علماء الرجال في القرن الخامس الهجري، موقفا سلبيا من المفضل بن عمر الجحفي (أحد أصحاب الامام الصادق) مثلا، حيث يقول عنه :"ضعيف متهافت. مرتفع القول خطابي وقد زيد عليه شيء كثير وحمل الغلاة في حديثه حملاً عظيماً لا يجوز أن يكتب حديثه". فان آخرين (كالخوئي) اتخذوا منه موقفا إيجابيا وقبلوا رواياته.

وكان علماء الشيعة الأولون في قم يعتبرون من لا يقول بسهو النبي مغاليا، بينما كان آخرون يعتبرون من يقول بذلك مقصرا. وذكر الكشي: أن الحسين بن عبيد الله القمي أُخرج من قم في وقت كانوا يخرجون منها مَن اتهموه بالغلو. وروى ابن الغضائري أن محمد بن علي الصيرفي الملقب بأبي سمينة دخل قم واشتهر أمره بها ونفاه أحمد بن عيسى الأشعري (رحمه الله) عنها ـ لغلوه ـ وكان شهيراً في الارتفاع، لا يُلتفت إليه ولا يُكتب حديثه. وقال النجاشي في ترجمة محمد بن أورمة القمي:" ذكره القميون وغمزوا عليه ورموه بالغلو، حتى دسّ عليه مَن يفتك به، فوجدوه يصلي من أول الليل إلى أخره فتوقفوا فيه".

ظاهرة الغلو الحديثة

ورغم انتهاء عهد الأئمة، ووصول نظرية الامامة الى طريق مسدود بوفاة الامام الحسن العسكري في أواسط القرن الثالث الهجري، دون خلف، حتى مع افتراض وجود ولد له غائب في السر، فان نظرية الامامة، وخصوصا في عصر الغيبة، واستحالة قيام الامام المهدي الغائب بممارسة دور الامامة، أي الخلافة والرئاسة، اتخذت طابعا مغاليا للتغطية على الفشل من ناحية ولإعطاء الإمام دورا عمليا يقوم به في ظل الغيبة، فكان أن أعطى الغلاة "المفوضة" دور إدارة الكون وحفظ الأرض وما الى ذلك من أساطير الغلاة.

وقد انتشرت الأفكار المغالية في موجة جديدة، مع انتشار الحركة الاخبارية في القرون القليلة الماضية ، قبل ان تتصدى لها المدرسة الأصولية التي أعادت التشيع الى توازنه واعتداله، ورفضت الكثير من خرافات الأخباريين، ومع ذلك فقد انبثقت من القرن التاسع عشر مدرسة أو حركة عرفت بالحركة الشيخية، التي انتمت الى المدرسة الأصولية في الفروع، ولكنها تشبثت بالمدرسة الأخبارية في العقائد والأصول.

وقد استطاعت المدرسة الأصولية التي ترعرعت في النجف وكربلاء في القرن التاسع عشر، أن تقضي على الحركة الأخبارية والشيخية، وتعزلهما في نطاق ضيق جدا، ولكنها شهدت أيضا بعض من يدعي الانتماء الى المدرسة الأصولية يميل الى النهج الأخباري الحشوي فيما يتعلق بنظرته الى أئمة أهل البيت. حيث أخذ بعض رجال الدين، يتلقف الروايات الضعيفة دون تمحيص أو نقد أو تأكد من مصادرها وأسانيدها، أو دراسة لرجالها، ولذلك وقع في فتنة الغلو، وأخذ ينسب صفات الربوبية الى أئمة أهل البيت، أو يدعي لهم مقامات عليا، وأدوارا فوق مستوى البشر، ومهمات من أعمال الله تعالى، كإدارة الكون أو الخلق والرزق وما الى ذلك، تحت غطاء نظرية (الولاية التكوينية) التي كان يقول بها المفوضة من قبل.

ويمكننا أن نأخذ أمثلة على ظاهرة الغلو الجديدة بعدد من المشايخ من أمثال: الشيخ محمد حسين الوحيد الخراساني، مدرس علم الأصول في قم، والذي يقول بصراحة بتفويض الله تعالى للأئمة الخلق و الرزق وما الى ذلك من أعمال الله تعالى ، وان الأئمة هم وسائط فعاليات مخلوقاته ، ويدعي أن هذا تفويض صحيح لا ينافي الايمان بالله تعالى. ومما يقوله الخراساني:"إن الأئمة هم **فاعلو** ما به الوجود ، وان الله **منه** الوجود. وان امام العصر صار عبدا ، وعندما صار عبدا **صار ربا** ، فالعبودية جوهرة كنهها الربوبية ، فمن ملك هذه الجوهرة **تحققت ربوبيته بالله** تعالى لا بالاستقلال ، بالنسبة الى الأشياء الأخرى".[٢١] والسيد محمد الشيرازي، الذي يعتقد بتفويض الله للنبي وللأئمة من أهل البيت الولاية التشريعية والولاية التكوينية، وذلك بمعنى ان زمام العالم بأيديهم فلهم التصرف فيه إيجادا وإعداما ، كما ان زمام الاماتة بيد عزرائيل ، وانهم الوسائط في خلق العالم والعلة الغائية له ، كما انهم سبب لطف الله تعالى وإفاضته على العالم واستمرار قيام العالم بهم .[٢٢]

وقد نشر مؤخرا كتاب نسب الى الامام الخميني تحت عنوان (مصباح الهداية الى الولاية والخلافة)[٢٣] ولم يتسن لي التأكد من صحته، لأنه كان مجهولا في حياة الامام ونشر بعد وفاته بأكثر من عشر سنين، وقد ورد فيه ما يلي:"إن لهم (للأئمة) مراتب متعددة مثل: مرتبة (ان أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله الا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد امتحن الله قلبه للايمان. ومرتبة (ان لنا حالات لا يحتملها لا ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا عبد ممتحن. ومرتبة (**ان لنا حالات مع الله نكون فيها هو نحن ونحن هو الا انه هو هو ونحن نحن**) والتي اشارت اليها **ادعية الناحية المقدسة في رجب** (**ولا فرق بينك وبينها الا انهم عبادك**) ...وكما ورد في **الزيارة الجامعة الشريفة** (**حساب الخلق عليكم وإيابهم اليكم** ..) او قول امير المؤمنين صلوات الله عليه: (**أنا الذي يدخل أهل الجنة لجنانهم** ...) فهو قسيم النار والجنة **كما ورد متواترا". و**" وبما علمناك من البيان وآتيناك من التبيان يمكن لك فهم قول مولى الموحدين وقدوة العارفين أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين :كنت **مع الانبياء باطنا ومع رسول الله ظاهرا** ، فانه صلوات الله عليه **صاحب الولاية المطلقة الكلية والولاية باطن الخلافة والولاية المطلقة الكلية باطن الخلافة الكذائية** فهو عليه السلام بمقام ولايته الكلية **قائم على كل نفس بما كسبت ومع كل الاشياء معية قيومية ظلية الهية، ظل المعية القيومية الحقة الالهية".**[٢٤]

---

[٢١] – الوحيد الخراساني، مقتطفات ولائية، محاضرة بتاريخ 13 شعبان ١٤١١ في قم، ص ٣٩

[٢٢] – الشيرازي ، محمد: من فقه الزهراء ص ١٠ – ١١ و١٧ ج١ نقلا عن كتاب : عوالم العلوم ومستدركاتها مجلد فاطمة ج١

[23] – http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef1.htm#imam

[٢٤] – الخميني، مصباح الهداية الى الخلافة والولاية ص ٨٤

وهذا ما ينسجم مع ما ورد في كتاب (الحكومة الاسلامية) الذي يقول فيه:"**ان من ضروريات مذهبنا ان لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل**، وبموجب ما لدينا من الروايات والأحاديث فان الرسول الاعظم (صلى الله عليه واله وسلم) والائمة (عليهم السلام) كانوا قبل هذا العالم أنوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلة والزلفى ما لا يعلمه الا الله، وقد قال جبرائيل – كما ورد في روايات المعراج – : لو دنوتُ أنملة لاحترقت. وقد ورد عنهم عليهم السلام: **ان لنا مع الله حالات لا يسعها ملك مقرب ولا نبي مرسل**". [25] وقوله: "ان **حقيقة التوحيد لا تكون تامة من غير ولايتهم** عليهم السلام". أو "ان ثبوت الولاية والحاكمية للامام لا تعني تجرده عن منزلته التي هي له عند الله ولا تجعله مثل من عداه من الحكام **فان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون**".[26]

ومما ورد في ذلك الكتاب المنسوب الى الامام الخميني، قوله:"واما السالكون على طريق الشريعة مع رفض الانانية بجملتها وترك العبودية لأنفسهم برمتها مع طهارتها وعدم التوجه الى اظهار القدرة والسلطنة والفرعونية فهم في أعلى مرتبة التوحيد والتقديس واجل مقامات التكثير ولم يكن التكثير حجابا لهم عن التوحيد ولا التوحيد عن التكثير لقوة سلوكهم وطهارة نفوسهم **وعدم ظهورهم بالربوبية** التي هي شأن الرب المطلق مع ان **هيولى عالم الامكان مسخرة تحت يدي الولي يقلبها كيف يشاء** وجاء لهم في هذا العالم الكتاب من الله العزيز الذي اخبر عنه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم على ما نقل مخاطبا لاهل الجنة من يكون مخاطبا له **من الحي القيوم الذي لا يموت الى الحي القيوم الذي لا يموت** اما بعد فاني اقول للشئ كن فيكون وقد جعلتك تقول للشئ كن فيكون فقال صلى الله عليه واله وسلم فلا يقول احد **من اهل الجنة للشئ كن الا ويكون**، ومن ذلك المقام إباء الانبياء المرسلين والاولياء الراشدين صلوات الله عليهم اجمعين عن اظهار المعجزات والكرامات التي **أصولها اظهار الربوبية والقدرة والسلطنة والولاية في العوالم العالية والسافلة** الا في موارد اقتضت المصلحة لاظهارها وفيها ايضا كانوا يصلون ويتوجهون الى رب الارباب باظهار الذلة والمسكنة والعبودية ورفض الانانية وايكال الامر الى بارئه واستدعاء الاظهار عن جاعله ومنشا علة قدرته مع **ان تلك الربوبية الظاهرة بايدهم عليهم السلام هي ربوبية الحق جل وعلا الا انهم عن اظهارها بايديهم ايضا يأبون** ..". [27]

---

[25] – الخميني، الحكومة الاسلامية ص ٥٢ –٥٣

[26] – المصدر السابق ، ص ٢٥

[27] – الخميني، مصباح الهداية ص ٥٣

وهناك قول آخر له في (كتاب الأربعين حديثا):" ان الأحاديث المأثورة في طينة ابدانهم وخلق ارواحهم ونفوسهم وفيما منحوا من الاسم الاعظم والعلوم الغيبية الالهية من علوم الانبياء والملائكة ومما هو اعظم مما لا يخطر على بال احد وهكذا الاخبار المنقولة في فضائلهم في مختلف الابواب من الكتب المعتبرة وخاصة كتاب اصول الكافي ان مثل هذه الاخبار الكثيرة بقدر تبعث على تحير العقول ولم يقف احد على حقائقهم واسرارهم عليهم السلام الا انفسهم".[٢٨]

كما وجدت في كتاب منسوب الى الشيخ مرتضى المطهري، تحت عنوان (الامامة) ما يلي من أفكار مغالية:

يقول :" الأئمة هم أشخاص متخصصون في الإسلام، بيد أن تخصصهم ومعرفتهم في الإسلام لم تكن انطلاقا من عقلهم واعتمادا على فكرهم، لأن معرفةً مثل هذه واختصاصا من هذا القبيل يداخله الخطأ بالضرورة، **بل إن الأئمة أخذوا علوم الإسلام من النبي (صلى الله عليه وآله) بطريق غيبي نجهله.** لقد تحولت المعرفة من النبي (صلى الله عليه وآله) إلى علي (عليه السلام)، ومنه بلغت الأئمة من بعده. وفي جميع أدوار الأئمة، كان هناك علم إسلامي معصوم لا يخطىء، يتحول من إمام إلى الذي يليه".[٢٩]

ويقول:"للإمامة درجة ومرتبة ثالثة (بالاضافة الى القيادة السياسية والعلمية)، هي ذروة مفهوم الإمامة. وكتب الشيعة مليئة بهذا المفهوم للإمامة، الذي يُعَدّ وجها مشتركا بين التشيّع والتصوّف... أن للولي الكامل الذي ينطوي على (صفات) الإنسانية بشكل تامّ وكامل، مقاماتٍ بعيدة كل البعد عن أذهاننا. من بين المقامات التي تذكر له، تسلّطه على الضمائر أي القلوب، انطلاقا من كونه روحا كلية يحيط بجميع الأرواح".[٣٠]

ويضيف:" ان مسألة الولاية تطرح عادة في الاعتقاد الشيعي بهذا المعنى نفسه، ولكن على نحو مكثف جدا. فهي تطرح بمعنى – أن يكون الولي– حجة الزمان، بحيث لا يكون ثمة زمان خالٍ من الحجة أبدا "ولولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها". ومؤداه أن الأرض لم تخل ولن تخلو من الإنسان الكامل أبدا. ويعتقد الشيعة أن هذا الإنسان الكامل ينطوي على مقامات ودرجات كثيرة. ونحن في أغلب التحيات والزيارات التي نقرأها، نقر بمثل هذه الولاية ونعترف بهذه الإمامة، أي أننا نعتقد أن للإمام مثل هذه

---

[٢٨] – الخميني، الأربعون حديثا، ص ٤٨٩ الحديث رقم ٣١ طبعة مؤسسة دار الكتاب الاسلامي تعريب محمد الغروي

[٢٩] – المطهري، الامامة، ص**٤٧**

http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef2.htm#motahari

[٣٠] – المصدر السابق، ص٥٢

الروح الكلية. نحن نقول في الزيارة التي نقرأها جميعا باستمرار، وهي جزء من أصول التشيع: "أشهد أنك تشهد مقامي وتسمع كلامي وترد سلامي". نحن نخاطبه بهذا الكلام وهو ميت، ولا فرق بالنسبة لنا– في تحلّيه بهذا المقام – بين حياته ومماته. وهذا لا يعنى أنه لم يكن كذلك في حياته، وأنها من مختصاته بعد مماته. فأقول– مثلا–:" السلام عليك ياعلي بن موسى الرضا" ثم أشهد له وأعترف أنه يسمع كلامي، ويردّ سلامي".[٣١]

ويؤكد المطهري هذا المعنى في الفصل الثاني من كتابه: (الإمامة ومهمة بيان الدين بعد النبي) فيقول:"حين نطرح الإمامة بمثل هذا التصور الساذج، ونختزلها في الحكم وحده، بحيث نقول إن الإمامة تساوي الحكومة وحسب، فعندئذ نجد أن نظرية أهل السنة وما يذهبون إليه في المسألة تتحلى بجاذبية أكبر من نظرية الشيعة وما يعتقدون به. علينا أن لا نرتكب أبدا مثل هذا الخطأ، بحيث ما إن تطرح مسألة الإمامة في السياق الشيعي، حتى نساويها بالحكومة، ونقول إنها تعني الحكم. فالوقوع في مثل هذا الخطأ يفضي إلى أن تكتسب الإمامة شكلا بسيطا ساذجا، تترتب عليه [منطقيا وموضوعيا] النتائج والفروع التي يجب أن تترتب على مثل هذا المنهج".[٣٢]

ويقول:"أما اليوم فكثيرا ما يكرر هذا الخطأ، فما إن تذكر الإمامة حتى تتجه الأذهان إلى الحكم كمرادفٍ لها، مع أنّ الحكومة من الفروع، وهي لا تعدو أن تكون شأنا صغيرا جدّاً من شؤون الإمامة. ما ينبغي الحذر منه هو الخلط بين هاتين القضيتين، بني الإمامة والحكومة وإذا كان الأمر كذلك، فما هي الإمامة إذن؟ الإمام خليفة النبي في بيان الدين. إنّ ما ينطوي على الأهمية الأولى في قضية الإمامة، هي خلافة النبي في بيان الدين وتبيينه من دون وحي (أي من دون أن يوحي إلى الإمام). **فممّا لا شك فيه أن الذي يوحي إليه هو الرسول الأكرم فقط، وبمغادرته الحياة انقطع الوحي وخُتِمت الرسالة**.

وعودة إلى السؤال: هل هناك بعد النبي شخص يعكس في موقعه ووجوده مرجعية أحكام الدين، تماما كما كان النبي مرجعاً ومبيِّناً ومفسّراً؟ هل ثمة وجود لإنسان كامل بمثل هذه المواصفات؟

في نهج البلاغة يتحدث الإمام علي (عليه السلام) عن رفقته النبي بحراء حين كان فتىً، وكيف سمع رنّة الشيطان حين نزل الوحي على رسول الله، فقال: يارسول الله ما هذه الرنة؟ فأجابه النبي (هذا الشيطان قد أيس من عبادته)، إنك تسمع ما أسمع، وترى ما أري، إلا أنك لست بنبي". (نهج البلاغة، الخطبة ١٩٢) (نجد نظير هذه الكلمات في مواطن أخرى كثيرة). [٣٣]

---

[٣١] – المصدر السابق، ص٥٢

[٣٢] – المصدر السابق، ص ٦٧ – ٦٨

[٣٣] – المصدر السابق، ص ٦٩ – ٧٢

ومع ان المطهري ينفى هنا بصراحة نزول الوحي على الامام علي، أو مشاركته للنبي في النبوة، الا انه يعود بشكل أو بآخر ليشركه في سماع ما يسمع ورؤية ما يرى. ثم يقول:"**الإمامة عند الشيعة مفهوم يناظر النبوّة**. ثَمَّ آية في القرآن عجيبة تقع في سياق مجموعة آيات عن الإمامة وهذه الآية ترتبط بشخص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بل هي تتصل بمسألة الإمامة نفسها، وفي نطاق المعنى الذي عرضناه ونعود للإشارة إليه مجددا".[٣٤]

"ذكرنا – فيما سبق – أنه خطأ كبير، ذلك الذي وقع به المتكلمون المسلمون منذ القديم، وهم يطرحون الإمامة في صيغة السؤال التالي: ما هي شرائط الإمامة؟ فهذه الصيغة في الطرح تستبطن فرضية فحواها أن أهل السنة يقبلون الإمامة كما نقبلها نحن الشيعة، وغاية ما هنالك أننا نختلف معهم في شرائطها، إذ نقول نحن بالعصمة والنص شرطين في الإمام، ولا يعتقد الطرف الثاني بهما. وواقع الحال أن الإمامة التي نعتقد بها نحن الشيعة لا يعتقد بها السنة أساسا، وما يعتقد به أهل السنة باسم الإمامة هو تعبير عن الشأن الدنيوي في الإمامة، الذي يُعدّ أحد شؤونها.

مثال ذلك: هو ما نلتقي به في مضمار النبوة، فأحد شؤون النبي أنه كان حاكما للمسلمين، بيدَ أن ذلك لا يعني أن تكون النبوة مساوية للحكم والحكومة، النبوة بحدّ ذاتها حقيقة تنطوي على آلاف القضايا، ولكن من شؤون النبي –كما أسلفنا– أنه بوجوده لا يحتاج المسلمون إلى حاكم آخر، لأنه هو الحاكم.

ما يذهب إليه أهل السنّة أن الإمامة تعني الحكومة (الإمامة تساوي الحكومة) وأن الإمام يعني الحاكم الذي يوجد بين المسلمين، وهو من الحيثية شخصٌ من المسلمين يجب عليهم انتخابه لممارسة الحكم.
وبهذه الصيغة لم يتعدَّ أهل السنّة في الإمامة أكثر من حدّ الحكومة. أمّا الإمامة عند الشيعة فهي تأتي تالي تلو النبوّة، بل هي أرفع من بعض درجات النبوة. فأُولو العزم من الأنبياء هم الذين جمعوا الإمامة إلى النبوة، وكثير من الأنبياء لم يكونوا أئمة، أما أولو العزم فقد بلغوا رتبة الإمامة في آخر المطاف".[٣٥]

" ومحل الشاهد في الكلام: أننا لا نسأل عن الحاكم من يكون في حال وجود النبي، ذلك أن للنبي جنبة فوق بشرية [في صلته بالسماء وانفتاح الغيب عليه] وكذلك لا معنى للسؤال عن شخص آخر يتولى زمام الحكم بوجود الإمام. إنما يمتلك الحديث عن هذا الشخص – مبرراته الموضوعية – في حال عدم وجود الإمام (وذلك بافتراض عدم وجوده مطلقا، أو لغيابه كما هو الحال في زماننا).

---

[٣٤] – المصدر السابق، ص ١٨٦

[٣٥] – المصدر السابق، ص ١٨٧

ما يجب أن نحذر منه هو خلط مسألة الإمامة بمسألة الحكومة، ثم أن نتساءل على أساس ذلك الخلط: ما هو موقف أهل السنة، وما هو موقفنا؟ فالإمامة مسألة أخرى غير الحكم، وهي عند الشيعة ظاهرة ومفهوم يناظر النبوة في أعلى درجاتها.

نخلص مما مرّ في الفارق بين الشيعة والسنة، إلى أننا نعتقد بالإمامة، والسنة لا يقولون بها من الأساس، وليس الأمر أنهم يعتقدون بها ويختلفون معنا في شروط الإمام، بأن يضعوا له شروطا غير التي نعتقد بها. **الإمامة في معناها المقصود هي تالي تلو النبوة، ولكن لا بالنحو الذي تعني فيه أنها أدنى مرتبة من أي نبوّة كانت. كلا، بل المقصود أنها أمر شبيه بنبوة الأنبياء العظام، وهم حازوا على الإمامة أيضا، وجمعوا بين النبوة والإمامة. إن الإمامة حالة معنوية".[٣٦]**

"ان ما انتهى بعد الرسول هو الرسالة والنبوة، فلن يأتي – بعد النبي الخاتم – إنسان يحمل للبشرية شريعة جديدة ودينا آخر. فليس هناك غير دين واحد هو الإسلام. وبنبي الإسلام خُتمت الرسالة والنبوة. أما الحجّة والإنسان الكامل – حيث كان الكائن البشري الأول إنساناً كاملا، وكذا ينبغي أن يكون الإنسان الأخير في خط الخليقة على الأرض – فهذا خطٌّ لم يغلق أبدا بين أفراد النوع البشري".[٣٧]

ومع ان موقف الشيخ المطهري لا يمثل موقف الشيعة الامامية العام ، كما يبدو من خلال تذمره من عدم فهم الشيعة له، الا انه يقدم نموذجا عن تأثر الفكر الامامي بشيء من الغلو، يرفع الامامة فوق الخلافة السياسية ، ويقربها من درجة النبوة أو يرفعها فوقها أحيانا.

ويمكن أن نجد شيئا من ذلك أيضا في كتاب للسيد محمد تقي المدرسي الذي يقول:"إن الإنسان الذي يعتقد بـ (الوحي) الذي هو تجلٍ من تجليات قدرة الله تعالى ورحمته بالإنسان، لابد له أن يعتقد بالإمام الحجة عليه السلام، لأن الذي ربط الأرض بالسماء بفضل الوحي تأبى رحمته ، ويأبى فضله العميم على الإنسان ، ويأبى لطفه أن يترك البشرية دون رابط يربطها بالسماء بعد وفاة خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله. فالأرض ومنذ أن وُجد فيها الإنسان وحتى مبعث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله لم تخلُ من حجّة إلهية، فكيف يترك الله جلّت أسماؤه، هذه الأرض من غير حجة، وهل كانت البشرية في السابق أقرب إليه تعالى لكي يبعث لها مائة وأربعة وعشرين ألف نبي عدا الأوصياء وثم يتركنا بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله دون أن تكون له حجة عليها؟.. إنّ الإنسان الذي يعتقد بالوحي لابد أن يؤمن أيضاً بامتداد هذا الوحي المتمثل في الأئمة عليهم السلام ،

---

[٣٦] – المصدر السابق، ص ٢١٣

[٣٧] – المصدر السابق، ص ٢٣٣

وانّ هذا الامتداد يتجسد، بل يرتفع، وينمو حتى يصل إلى قمته، وإلى ذروة امتداد الرسالة الإسلامية المتمثلة في الإمام الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه".[٣٨]

الغلاة والمنهج الأخباري

وكما هو ملاحظ بصورة بينة، فان الغلاة الجدد، القائلين بالتفويض يعتمدون على روايات موضوعة و ضعيفة مدسوسة في تراث أهل البيت ، كخطبة البيان المنسوبة الى الامام أمير المؤمنين عليه السلام ، و التي اعتبرها السيد كاظم الرشتي من الروايات **المتواترة بل المستفيضة** ، مع انها روايات غير مسندة ولا تُعرف مصادرها، وقد رفضها حتى صاحب (بحار الأنوار) الشيخ المجلسي، الذي جمع في كتابه ما هب ودب، حيث نوّه الى عدم وجود خطبة البيان الا في كتب الغلاة و أشباههم ، و قال :" لكن الأخبار الكثيرة مما أوردناها في كتاب بحار الأنوار يمنع من القول به فيما عدى المعجزات ظاهرا بل صريحا، مع أن القول به قول بما لا يعلم، إذ لم يرد ذلك في الأخبار المعتبرة فيما نعلم و ما ورد من الأخبار الدالة على ذلك كخطبة البيان، و أمثالها فلم توجد إلا في كتب الغلاة و أشباههم ". وقال صاحب كتاب (بشارة الاسلام) " السيد مصطفى آل السيد حيدر الكاظمى:" إنا لم نعثر على مستند صحيح لهذه الخطبة المسماة بالبيان، و لم يثبتها أحد من المحدثين كالشيخ الطوسى و الكلينى و نظائرهم و عدم ذكر المجلسى لها توهين لها لإحاطته بالأخبار و يبعد عدم اطلاعه عليها مع أنها غير بليغة كثيرة التكرار غير بينة الألفاظ". وكتب السيد جعفر مرتضى العاملي في موقع (الامام علي.نت) الذي تديره الحوزة العلمية في قم ، عن خطبة البيان ما يلي، فقال:"لقد أوردوا لهذه الخطبة ثلاثة نصوص تختلف فيما بينها بصورة كبيرة، و ليس لأي واحد منها سند يصح الاعتماد عليه... و أما بالنسبة لمتن الخطبة فهو أكثر إشكالا بل لا يكاد سطر منها يمر بدون إشكال أو أكثر" . و تحدث السيد العاملى عما جاء فيها من أكاذيب و أباطيل ودس و تحريف لأهداف شيطانية لا تخفى. وقال أيضا : كان ما ذكرناه من وجوه الإيراد على بعضي فقرات خطبة البيان غيظا من فيض و قطرة من بحر مما يمكن الإيراد به على هذه الفقرات و سواها من المئات بل الألوف مما خصت بها نصوصها الثلاثة... و قد يكون لبعض الغلاة، و الباطنية، و الصوفية و ربما لليهود أيضا اليد الطولى في هذا البلاء الذي حاق بها حيث وجد هؤلاء و أولئك فيها مرتعا خصبا، و مادة صالحة لإشاعة أضاليلهم و أباطيلهم. وقد قال السيد الخوئى عن هذه الخطبة الموضوعة المنسوبة للإمام على :" باسمه تعالى: لا أساس لها و الله العالم"... كما قال السيد على الحسيني السيستانى:"إنها لم تصح عنه صلوات الله و سلامه عليه". و الذي يدل على

[٣٨] – المدرسي، الامام المهدي قدوة الصديقين، ص ٩

ضعف هذه الرواية أو الخطبة و وهنها عدم ذكرها في نهج البلاغة، و هذا ان دل على شي فإنما يدل على أنها من وضع الغلاة. و أما بالنسبة لمتن الخطبة فهو أكثر إشكالا بل لا يكاد سطر منها يمر بدون إشكال أو أكثر. و ذلك لوجود الكثير من العبارات الصريحة الدالة عل الغلو و تفويض أمر الخلق للإمام على (عليه السلام) فهذه الصفات التي وصف الإمام على (عليه السلام) نفسه بها، كلها من صفات أفعاله سبحانه لا يشاركه فيها أحد من عباده و نحن نعلم بأن الإمام أمير المؤمنين و هو سيد الموحدين لايستجيز لنفسه أن يتصف بهذه الصفات المختصة بالله تعالى.[٣٩]

المبحث الرابع: موضوع تحريف القرآن

وقد تفرع عن موضوع الامامة ، ورفع منزلتها الى درجة (العقائد)، سؤال عن الحكمة وراء إغفال القرآن الكريم للنص بصراحة على إمامة أهل البيت اذا كانت تحتل تلك الأهمية في العقيدة الاسلامية؟ فقام بعض غلاة الامامية، وليس كلهم ولا كل الشيعة بالطبع، بادعاء تحريف القرآن الكريم وحذف الآيات الناصة بصراحة على الامام علي وأهل البيت. ولم يقدم أولئك الغلاة أي دليل على دعواهم الباطلة سوى روايات ضعيفة ومختلقة نسبوها لبعض أئمة أهل البيت، وهم منها براء. وقد ذكر تلك الروايات الكليني في (الكافي) ومحمد بن حسن الصفار القمي في (بصائر الدرجات) وعلي بن ابراهيم القمي في (تفسيره) وكذلك العياشي وابن فرات وغيرهم، ولكن هذا الرأي لم يصبح رأيا عاما ولا ملزما للشيعة الامامية الذين قام علماؤهم الأصوليون بنقد الأخبار وضرب ما يتعارض منها مع القرآن الكريم عرض الجدار. الا ان بعض خصومهم ظلوا عبر التاريخ يثيرون هذه التهمة التي أختلقها الغلاة، ضد الشيعة عموما، ويتخذون منها أداة لضربهم واتهامهم بالكفر وانحراف العقيدة.

وقد طرح الدكتور موسى كاظم يلماز، في ندوة اسطمبول حول الشيعة، موضوعا تحت عنوان (آراء الشيعة المتعلقة بعلوم القرآن) قال فيه:" يحسن بنا أن نقول ان علماء الشيعة المعتدلين رفضوا التحريف في القرآن لا سيما من عاش منهم بعد القرن الرابع والخامس الهجري. منهم الشيخ الصدوق صاحب كتاب

---

[٣٩] – جعفر مرتضى العاملى، دراسة في علامات الظهور، ط ١ بيروت دار البلاغة ١٩٩٢م صفحه ٩٥ – 94 و محمد باقر المجلسي، مرآة العقول ط ٢ طهران دار الكتب الإسلامية ١٣٦٣ه ج ٣ صفحه ١٤٣ – ١٤٢ و مصطفى آل السيد حيدر الكاظمي، بشارة الإسلام في علامات ظهور صاحب الزمان، بيروت دار الكتب إلا سلامي 1991م صفحه ٨٢ – ٨١ و مسائل عقائدية للدكتور السيد علاء الدين القزويني ص ٦١ . ٧٤ ، وللمزيد راجع موقع : الامام علي.نت

الاعتقادات المتوفى سنة ٣٨١ وشيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي صاحب تفسير التبيان المتوفى سنة ٤٦١ وأبو علي الطبرسي صاحب مجمع البيان، المتوفى سنة ٥٤٨ الا انه يؤسفنا جدا أنهم ينفون قطعا الزيادة في القرآن ولا ينفون النقيصة فيه بصراحة قطعية كذلك، بل قالوا بأن اسقاط بعض الآيات من القرآن أمر مختلف فيه ولكنهم يضيفون بأن الصحيح من مذهبهم خلافه، كما صرح به الطبرسي في تفسيره".

واستشهد يلماز يأقوال عدد من علماء الشيعة عبر التاريخ، ممن أكدوا على سلامة القرآن من التحريف، كالشيخ البهائي الذي قال:" احتلفوا في وقوع الزيادة والنقصان فيه ، والصحيح ان القرآن محفوظ عن ذلك زيادة ونقصانا".[٤٠] والطبرسي الذي نقل عن المرتضى قوله:" ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة".[٤١] ومحمد جواد البلاغي النجفي، العالم في القرن العشرين صاحب تفسير آلاء الرحمن، الذي صرح " بأن القرآن الذي بين أيدينا هو نفس القرآن الذي أنزله الله على محمد (ص) وليس بأكثر من ذلك، وأضاف قائلا: ان من نسب الينا انا نقول أكثر من ذلك فهو كاذب".[٤٢] و"ان جهد المحدث المعاصر (يعني به ميرزا حسين النوري) في كتابه فصل الخطاب باء بالفشل في جميع الروايات التي استدل بها على النقيصة في القرآن، حيث ان كل ما ذكره عبارة عن المراسيل عن الأئمة، مراسيل العياشي وفرات وغيرهما، الا ان المتتبع المحقق يجزم بأن تلك المراسيل مأخوذة من تلك المسانيد التي غالبها مما لا يمكن احتمال صدقها".[٤٣] وكذلك آية الله الخوئي الذي جزم " بأن المشهور بين علماء الشيعة هو القول بعدم التحريف. وأضاف قائلا: ذهب جماعة من المحدثين من الشيعة وجمع من علماء أهل السنة الى وقوع التحريف، الا ان كلا من هؤلاء ممن لا صناعة لهم الا الظن والتأويل".[٤٤] والمفسر المعاصر الطباطبائي، صاحب تفسير الميزان، الذي قال:" ذهب جماعة من محدثي الشيعة والحشوية وجماعة من محدثي أهل السنة الى وقوع التحريف، بمعنى النقص والتغيير في اللفظ أو الترتيب، دون الزيادة، فلم يذهب اليها أحد من المسلمين".[٤٥]

وأضاف الدكتور موسى كاظم يلماز:"أفاد العلماء الذين يرفضون التحريف أن قوله تعالى: انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون، نص صريح في صيانة القرآن عن التحريف والتغيير والتبديل... والضرورة التاريخية... والأخبار الواردة في لزوم التمسك بالقرآن، من أبرز ما يدل على عدم التحريف ومن أهمها

---

[٤٠] – (مقدمة محمد جواد البلاغي ص ٢٧)

[٤١] – (مجمع البيان ج١ ص ٨٣)

[٤٢] – (مقدمة البلاغي ص ٢٦)

[٤٣] – (مقدمة البلاغي ، ص ٢٧)

[٤٤] – (تفسير الخوئي ص ٢٠١)

[٤٥] – الندوة العلمية الدولية حول التشيع عبر التاريخ وفي الوقت الحاضر، ص ٢٠٠

حديث الثقلين.. ويعتبر هذا الحديث عند علماء الشيعة القائلين بعدم التحريف دليلا قويا في رفض التحريف، حيث أمر الرسول الأكرم (ص) الأمة بالتمسك بالكتاب والعترة أهل البيت، فوجود التمسك بالكتاب باق الى يوم القيامة، لصريح أخبار الثقلين، فيكون التحريف باطلا جزما.[٤٦] وان الروايات الواردة في التحريف لا يستدل بها، إذ ان الأخبار الواردة من عدة طرق الدالة على سقوط بعض الآيات، غالبها ضعيفة ليس فيها حديث متواتر ولا محفوف بقرائن قطعية تضطر العقل الى قبوله، بل كلها آحاد ، والصحاح منها غير مأمون فيه من الوضع والدس، فان من له أدنى تأمل يعلم ان مثل ما ورد في (فصل الخطاب) من أن ثلثي القرآن سقط بين الشرط والجزاء في قوله تعالى (فإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء...) موضوعة.[٤٧] ومما يعلم أنه ورد في روايات أهل البيت ان عليا جمع مصحفا، الا انه من المحقق ان جمع علي لا يدل على مخالفة ما جمعه لما جمعه أبو بكر رضي الله عنه، في شيء من الحقائق الدينية، الا ان يكون في شيء من ترتيب السور أو الآيات، ولو كان مصحفه مخالفا لما جمعه الأصحاب لعارضهم علي بالاحتجاج، ودافع فيه ولم يقنع بمجرد اعراضهم عما جمعه، ولم ينقل عنه رضي الله عنه فيما روي من احتجاجه أنه قرأ آية في ولايته.[٤٨] وهل يمكن لعاقل أن يدعي ان كل الآيات التي يرى الخصم سقوطها، كانت جميعها في الولاية أو كانت خفية على المسلمين عامة؟ أم هل يمكن أن يتصور أن عليا رضي الله عنه سكت عند تحريف القرآن حفظا لوحدة المسلمين وتحرزا من شق العصا؟ أليس التحريف هو أعظم الفتن في الدين؟".

وعلق الدكتور يلماز على ذلك قائلا:"يمكن للباحثين ملاحظة حركة قوية ضد التحريف والقائلين به بدأت بالشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨١ وهذه الحركة دامت الى يومنا هذا مع كثرة أتباعها قدما، والى جانبهم دام أيضا تمسك بعض الأخباريين منهم بالروايات الضعيفة الدالة على التحريف، الا ان العلماء المعارضين لهؤلاء يحاولون رد أقوالهم علميا، ولهذا كان القائلون بالتحريف لم يعارضوا أهل السنة فحسب، بل كانوا اضطروا الى المعارضة من علماء الشيعة أنفسهم. ورغم كل هذا فان إزالة فكرة عاشت وقويت طوال العصور في المجتمع الشيعي كفكرة تحريف القرآن لم يكن من السهل للمعتدلين من علماء الشيعة مقاومتها. فمن أجل ذلك من الممكن أن نلتقي مع أناس اذا كنا في مجتمع شيعي يعتقدون بتحريف القرآن حقا، ولكن من الصعب كما قلنا آنفا العثور على مثل هذه الآراء من علماء الشيعة، وهذا أمر يحبذه كل مسلم سليم العقيدة".[٤٩]

---

[٤٦] – (الخوئي ٢١١ – ٢١٠)

[٤٧] – (الميزان ، ١٢، ١١٦ ومكارم الشيرازي، تفسير نمونه ، ٢١، ٣٠)

[٤٨] – (الميزان ١٢، ١١٦)

[٤٩] – الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص ٢٠١ – ٢٠٢

وقد رد الدكتور محمد باقر حجتي، استاذ كلية الالهيات والمعارف الاسلامية في طهران، على الدكتور يلماز، فقدم ورقة تحت عنوان (جمع القرآن في عهد رسول الله (ص)) قال فيها:"ان استعمال كلمة المصحف في عهد رسول الله (ص) بلسانه ولسان معاصريه يوضح لنا بجلاء ما ذهب اليه كبار علماء الشيعة بشأن جمع القرآن في زمن النبي... الى غيرها من الروايات التي وردت فيها كلمة المصحف أو المصاحف، واستعملت في زمان حياة رسول الله ، وكلها تدل بصراحة أن القرآن جمع في حياته المباركة، لأن المصحف يعني المجموعة المدونة بين الدفتين... وان الرواية التي تتحدث عن النقاش الذي دار في زمن أبي بكر بشأن البحث عن اسم للقرآن في زمانه كاذبة، لأن الرواية تذكر أن كلمة المصحف أخذت من اللغة الحبشية".[٥٠]

واستعان الدكتور حجتي بما قاله الامام الخوئي حول موضوع تحريف القرآن، فقال:"من الضروري أن نذكر ملخص ما بينه الخوئي في هذا الصدد، إذ قال: علينا أن نبحث عن مداليل هذه الروايات، وهي طوائف:

الطائفة الأولى: الروايات التي تدل على التحريف بعنوانه، وأجيب عن هذه الروايات بأن الظاهر من بعضها تفسير التحريف باختلاف القراء، والمراد بالتحريف في بقية الروايات حمل الآيات على غير معانيها.

الطائفة الثانية: الروايات التي دلت على أن بعض الآيات قد ذكرت فيها أسماء الأئمة عليهم السلام، وهي كثيرة. أما الجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة ان بعض التنزيل فيها من قبيل التفسير وليس من القرآن نفسه، فلا بد من حمل هذه الروايات على ان ذكر أسماء الأئمة عليهم السلام في التنزيل من هذا القبيل، واذا لم يتم الحمل فلا بد من طرح هذه الروايات لمخالفتها للكتاب والسنة والأدلة النافية للتحريف.

الطائفة الثالثة: هي الروايات التي دلت على وقوع التحريف بالزيادة والنقصان، وان الأمة بعد النبي (ص) قد غيرت هذه الكلمات وجعلت مكانها كلمات أخرى. الجواب عن الاستدلال بهذه الروايات – بعد الغض عما في سندها من الضعف – انها مخالفة للكتاب والسنة، ولإجماع المسلمين على عدم الزيادة في القرآن، وان مجموع ما في الدفتين كله من القرآن. وممن ادعى الاجماع الشيخ المفيد والشيخ الطوسي والشيخ البهائي وغيرهم من أعاظم علماء الشيعة.

الطائفة الرابعة: هي الروايات التي دلت على التحريف في القرآن من حيث النقيصة فقط. والجواب عن الاستدلال بهذه الطائفة أنه لا بد من حملها على معنى الزيادة في مصحف أمير المؤمنين عليه السلام من أنها كانت تفسيرا بعنوان التأويل وما يؤول اليه الكلام، أو بعنوان التنزيل من الله شرحا للمراد.

---

[٥٠] – المصدر السابق، ص ٢٠٦

وان لم يمكن الحمل في جملة منها فلا بد من طرحها، لانها مخالفة للكتاب والسنة.

على أن أكثر هذه الروايات بل كثيرها، ضعيفة السند عند الشيعة، وان جملة منها قد نقلت من كتاب (التنزيل والتحريف) أو (القراءات) لأحمد بن محمد السياري الذي اتفق علماء الرجال من الشيعة على فساد مذهبه وانه ضعيف الحديث مجفو الرواية وكثير المراسيل، ويقول بالتناسخ، وأخذ المحدث النوري عنه كثيرا وأدرجه في كتاب (فصل الخطاب) فلهذا لا يعتد علماء الشيعة على ما في هذا الكتاب "من تحريف كتاب رب الأرباب" وحرموا طبع هذا الكتاب وكأنهم عدوه من جملة كتب الضلال... مضافا الى ذلك كله، عندنا عشرات من الكتب التي دونها علماء الشيعة الامامية في نفي التحريف أو رد من قال به".[٥١]

وأضاف الدكتور حجتي:" ان الروايات التي وردت في الجوامع الحديثية السنية في هذا الصدد كثيرة جدا، التي تدل بصراحة على أن القرآن أصيب بالتحريف في حد واسع، ولكنا نحن معاشر الشيعة لا نعتد بهذه الروايات السنية ولا الروايات التي نجدها في الجوامع الحديثية الشيعية لأن جل هذه الروايات بل كلها موضوعة أو مؤولة عند الفريقين، ولذلك لا نتهم أهل السنة بأنهم يقولون بالتحريف، كما ينبغي لأهل السنة ان لا يتهمونا بالقول بالتحريف.

وأخيرا أقول:لما كان المدى الزمني لنبوة الأنبياء عليهم السلام محدودا لم يبق شيء من كتبهم وصحفهم الأصلية، بل أبيدت كلها من صفحة الدهر، ولكن المدى الزمني لنبوة نبينا غير محدود، بل يستمر الى يوم القيامة بقي كتابه مصانا عن التحريف محفوظا من أي تصرف.

ان القرآن المجيد الذي هو سندنا في التدين بدين الاسلام واحد عندنا جميعا، وليس بيننا أي خلاف – مهما ضؤل – بشأن كتابنا السماوي، وعلى الرغم من أن بعضنا يتهم البعض الآخر بالاعتقاد بالتحريف فاننا عمليا نتلو قرآنا واحدا، ونعمل بقرآن واحد، ونستند الى قرآن واحد...

وليس بين أتباع الكتب السماوية سوى المسلمين الذين هم بالرغم من اختلافهم في الأسماء والمذاهب والفرق والطوائف – يحملون نظرة واحدة ومسلم بها بالنسبة لكتابهم السماوي القرآن المجيد الموجود عند جميع الفرق الاسلامية، والذي يفتخر باتباعه المسلمون كافة.

ان القرآن الذي يتلوه الشيعي ويتلوه السني، القرآن الذي يتلوه الشيعي الامامي والزيدي والاسماعيلي، وكذلك القرآن الذي يتلوه السني الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي هو لا يختلف في كلمة ولا حرف".[٥٢]

---

[٥١] – المصدر السابق، ص ٢٠٨

[٥٢] – المصدر السابق، ص ٢١٠

وتساءل قائلا:"أفلا نجد في بقاء القرآن محفوظا من كل تحريف عند جميع الفرق الاسلامية، ومصانا في وحدته بيننا نحن أمة الاسلام درسا نعتبر به يحملنا على أن نسعى في توحيد الكلمة؟ ألا تدفعنا تلك الحقيقة يعني وحدة القرآن الكريم عند جميع الفرق الاسلامية الى عدم التلويح والتشهير بالروايات المتحدثة عن التحريف المذكورة في كتب حديث الفريقين، والتي هي بعضها ضعيف وبعضها قابل للتأويل وان لا يتهم بعضنا بعضا بالتحريف. ونحن لا نرى من أقدم العصور الى الآن بين مصاحفنا أي اختلاف، وليس بين ظهرانينا نحن الشيعة والسنة أي مصحف آخر، واذا وجد في مصحف أي اختلاف مع المصاحف المتداولة نعتبره محرفا".[٥٣]

وقد أكد الدكتور علي أوزك، في الندوة العالمية حول الشيعة، التي عقدت في اسطمبول، ان الشيعة يؤمنون بالقرآن الذي انزل على محمد، ومع هذا فان هناك بعض اختلافات حول ثبوت القرآن ومحتواه. الا ان شيعة اليوم تؤمن بنفس المصحف الذي يجمع عليه في العالم الاسلامي. وقال:"إننا لم نعثر على نموذج يختلف محتواه مع القرآن الذي بين أيدينا، لا في ايران ولا في أي بلد آخر من خلال بحثنا الذي قمنا به. اذن ليس هناك خلاف بين أهل السنة والشيعة حول أصل القرآن، ولكن الخلاف في تأويله وتفسيره".[٥٤]

وكذلك أكد الدكتور عوني إلخان:" ان الشيعة الامامية يقبلون اليوم المصحف الموجود بين أيدينا من الحقيقة الظاهرة أيضا على أن خصوم الشيعة لا يستندون في مزاعمهم على أي دليل قوي. ومن الممكن ان سبب نشأة التهم بأن الشيعة لا يعتقدون المصحف الموجود قرآنا تاما روايات الكليني وما يشبهها انه "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الا كذاب ، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى الا علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة من بعده عليهم السلام".[٥٥] ولا شك ان حل هذه المشكلة ليس صعبا بشرط امعان النظر في كتب علماء الشيعة المعروفين. يقول الشيخ المفيد: وقد قال جماعة من أهل الامامة انه لم ينقص كلمة ولا آية ولا سورة ولكن حذف ما كان مثبتا في مصحف أمير المؤمنين (ع) من تأويله وتفسير معانيه على حقيقة تنزيله، وذلك كان ثابتا منزلا وان لم يكن من جملة كلام الله تعالى الذي هو القرآن المعجز، وقد يسمى تأويل القرآن قرآنا. (المفيد، أوائل المقالات، ٦٧، و٦٨).[٥٦]

وقد علق السيد مهدي الحسيني الروحاني، على كلام الدكتور عوني إلخان، وخاصة قوله:"بأن الشيعة الامامية يقبلون اليوم المصحف الموجود الخ..." فقال:" ان فيه إشعار بأن الامامية يقبلون اليوم المصحف الموجود وأما في قديم الزمان فكانوا لا يقبلونه، وهذا كذب وافتراء مأثور يكرره خصوم الشيعة فوصل الى

---

[٥٣] – المصدر السابق، ص ٢١١

[٥٤] – المصدر السابق، ص ٢٤٢

[٥٥] – الكليني ، الأصول من الكافي ١/ ٤٤١

[٥٦] ـ الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص ٤٣٦

كاتبنا فأظهر بعض الحق وبقي في ذهنه الافتراءات المأثورة، والحق أن يقال: ان الشيعة أولاً وآخراً لا يعرفون مصحفا غير ما بأيديهم وبأيدي سائر المسلمين".[٥٧]

ولا اعتقد ان دعوى قول الشيعة بتحريف القرآن، تستحق التوقف عندها، بعد نفي الشيعة عبر التاريخ لها ، واصرارهم على القول بسلامة القرآن وحفظه من قبل الله تعالى. وهكذا يمكن القول بقوة: إن جميع المسلمين والحمد لله ومن جميع الطوائف يشتركون بالالتزام بعقيدة واحدة ثابتة لا خلاف بينهم حولها.

المبحث الخامس: التقية

وبعد ان تحدثنا عن الغلو والغلاة، لا بد أن نشير الى موضوع مهم في العلاقات الشيعية السنية، وهو موضوع "التقية" الذي لعب دورا سلبيا في تعكير العلاقات بين الطرفين، وأصبح عقدة لدى الكثير من أهل السنة في التعامل مع اخوانهم الشيعة. حتى أن بعض السنة يتهمون أي شيعي يقترب منهم ويعلن تخليه عن الأفكار المتطرفة، أو يعلن احترامه للصحابة مثلا، بأنه يمارس التقية. وبالرغم من أني شخصيا أعلنت رفضي للفكر الامامي ولمبدأ التقية، وكتبت مفندا للكثير من النظريات الإمامية، فقد واجهت تشكيكا من بعض السنة بحقيقة موقفي. وقد أشار الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، في كلمته التي ألقاها في الندوة العلمية الدولية عن الشيعة والتشيع في اسطمبول، الى موضوع "التقية" وأزمة الثقة بين الطائفتين، وقال:" عندما لا تكون الثقة موفورة فان المساعي التي تبذل من اجل التقريب لن تكون ذات جدوى. ولكي تتحقق هذه الثقة. لا بد من شيء واحد لا ثاني له، **هو أن يعلن اخواننا الشيعة أن عهد التقية قد مضى وولى**. كانت التقية حاجة ضرورية في التاريخ وكان أمرا لا بد منه لا سيما في العهد الأموي، ذلك لأن الضرورات تبيح المحظورات ، واننا في يومنا هذا لا نحتاج اطلاقا الى أن نخفي شيئا ونظهر شيئا آخر. من أجل أن تشيع الثقة وتتألق فيما بيننا دعونا نتصارح وليكن عربون هذا التصالح أن نعلن ان عهد التقية قد ولى".[٥٨]

ولذلك فان من الضروري القاء الضوء على حقيقة "التقية". وهل تشكل لدى الشيعة مبدأ أساسيا أو جزءا من الدين؟ وهل لا يزالوا يمارسونها الى اليوم؟

---

[٥٧] - المصدر السابق، ص ٤٤٧

[٥٨] - المصدر السابق، ص ٧٢٧

يستند السنة في اتهامهم للشيعة بممارسة التقية، على حديث مشهور لديهم، وهو قول الامام الصادق :" التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له". ويبرر علماء الشيعة عادة هذا الحديث بأنه مبدأ قرآني وعقلي يلجأ اليه كل من يقع تحت ضغط شديد أو يخاف على نفسه أو ماله، وقد أعذر الله عمار بن ياسر الذي تفوه بكلمة الكفر أمام كفار قريش تحت التعذيب، فقال تعالى:" الا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان". النحل ١٠٦ وقال:" لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء الا ان تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه والى الله المصير". آل عمران ٢٨ وان الشيعة قد لجئوا الى "التقية" اضطرارا في ظروف خاصة، وانهم لم يحتاجوا الى ممارستها في ظروف أخرى، ولا يمارسونها اليوم.

وإذا كان الشيعة قد مارسوا "التقية" فعلا في ظروف غابرة، وعندما كانوا شلة صغيرة، فانه ليس من المعقول أن يستمروا في ممارسة "التقية" بعد أن أصبحوا طائفة كبيرة تضم الملايين، وشعوبا كبيرة. فان قوانين الأحزاب السرية لا تنطبق على قوانين الأمم. وماذا يمكن أن يخفوا؟ وقد نشروا كتبهم وأفكارهم ونظرياتهم منذ مئات السنين؟

ولكن المشكلة – في الحقيقة – لا تكمن هنا. ولا أعتقد ان الشيعة بصورة عامة كانوا يمارسون التقية ، أو يعرفونها، فضلا عن أئمتهم من أهل البيت. وانما الصقت بهم ظلما وعدوانا من قبل الغلاة الذين كانوا يدسون أنفسهم في صفوف الشيعة، ويدعون الانتماء الى مذهب أهل البيت، وهم منهم براء، حيث كانوا يحاولون نسبة مقولات متطرفة ونظريات مغالية الى أئمة أهل البيت كدعوى النبوة أو الالوهية، أو حتى الامامة الالهية، والعصمة وما شابه من الأمور التي لا يعرفها أهل البيت، وينكرونها أشد النكران علنا وأمام الناس، ويسيرون بسيرة مضادة لكل مقولات الغلاة من مختلف الأصناف. فكان هؤلاء يضطرون الى تبرير التناقض الظاهر بين أقوال الأئمة من أهل البيت وانكارهم السافر لمقولاتهم الباطلة، بالادعاء بأن أهل البيت يمارسون "التقية" ويعلنون غير ما يبطنون.

وحسبما يقول الدكتور موسى الموسوي في كلمته في ندوة اسطمبول عن الشيعة والتشيع:" ان أئمة أهل البيت لا يمكن أن يفكروا بالتقية بذلك المعنى ناهيك من أن تمر بخلدهم. وان التقية هي المصيبة التي انبثق منها كل اعوجاج وتحريف وبدعة، ظهرت في عقيدتنا نحن الشيعة الامامية، فبالتقية فسرنا ال"لا " ب "نعم" وال"نعم" ب "لا". وبالاستناد عليها جعلنا لظواهر الأعمال بواطنا، ولظواهر الكلام معان، لم يقصدها قائلها. وبها قضينا على حجية ظواهر الكتاب ونصوص القرآن وسنة الرسول وعمل الامام علي وأقواله وعمل الأئمة وأقوالهم وفسرنا النصوص الصريحة حسب رأينا ورغبتنا. ان "التقية" هو التكييف القانوني للاجتهاد أمام النص حسب الأهواء والنيات والأغراض ، وآخر ما استطيع أن أقوله في التقية ان

دور التقية في تحطيم الكيان الفكري للانسان هو دور المخدر في تحطيم الكيان الإرادي لدى الانسان، فكل من سلك طريق المخدرات يختلط عليه طريق الخير والشر، هكذا فان من يسلك طريق "التقية" فقد يختلط عليه طريق الحق من الباطل، ولذلك أرغب تسمية "التقية" ب "أفيون الشيعة".[٥٩]

واني اختلف مع الدكتور الموسوي، في نسبة التقية الى عموم الشيعة، وأحصرها تاريخيا بالغلاة والمتطرفين الذين كانوا يؤلفون لهم نظريات خاصة وينسبونها الى التشيع، ثم يقومون بقراءة التاريخ المضاد لنظرياتهم قراءة معكوسة، فيقلبون الأبيض أسودا والأسود أبيضا. ولا يوجد دليل على تبني عامة الشيعة لمقولاتهم عبر التاريخ، فضلا عن التزامهم بممارسة التقية في التعامل مع اخوانهم المسلمين.

ان من الخطأ الكبير تحميل جماهير الشيعة بمختلف تياراتهم وأحزابهم وطوائفهم مسئولية وجود حديث مزور وغير مفهوم عن "التقية" في كتب الحديث الغابرة، واعتبار ذلك مبدءا أساسيا وجزء من عقيدتهم، والنظر اليهم بشك وريبة الى يوم القيامة، وإغفال التطورات الهائلة والجذرية التي حدثت وتحدث في صفوفهم، وعدم تصديقهم في التخلي عن مبدأ التقية أو ممارسته.

وإذا كنا نبحث عن الثقة في العلاقات بين الشيعة والسنة، فلا يمكن أن ننتظر من الشيعة أن يصدروا بيانا يعلنون فيه تخليهم عن الإيمان بمبدأ التقية، كما طالب الشيخ البوطي، لأن الشيعة ليسوا حزبا سياسيا، أو عصابة صغيرة، أو فئة محدودة يلتزم جميع أعضائها بما يقرره الرئيس، وسوف نظل نرى من الشيعة من يردد ذلك الحديث، ولكن المهم هو نظرة الشيعة العامة الى مبدأ التقية وإمكانية اعتماده منهجا في تحليل التاريخ، وتقييم أقوال الأئمة من أهل البيت، وتصديق المواقف والسياسات الظاهرة لهم، أو عدم ذلك. وهذه قضية تهم الشيعة قبل غيرهم، لأنها تشكل أداة مهمة لفهم الفكر الشيعي والتعرف على تراث أهل البيت الحقيقي، وتمييزه عن النظريات الدخيلة.

الفصل الثاني: المصادر الأساسية للتشريع

١- القرآن الكريم

[٥٩] - المصدر السابق، ص ٧٤٣

إن عامة السنة والشيعة يكاد يكونون متفقين تماما على حجية القرآن الكريم ، فان القرآن الكريم يعتبر المصدر الأول والأقوى عند السنة والشيعة، الذي تعرض عليه الأدلة الأخرى ويضرب بعرض الجدار كل ما خالفه منها. ويشكل البحث حول حجية القرآن من أهم مباحث علم الأصول عند الشيعة، ولا سيما بحث ظواهر الألفاظ والمحكم والمتشابه والأمر والنهي والعام والخاص والمطلق والمبين والمفهوم والمنطوق، والناسخ والمنسوخ، وما الى ذلك.

وقد كان بعض الأخباريين في الزمن الأول يشكك في حجية العمل بظواهر القرآن، فلا يجيز التعامل المباشر معه وفهمه الا من خلال روايات أهل البيت وتفسيرهم له، ولكن نشوء المدرسة الأصولية (الاجتهادية) في القرن الخامس الهجري على يدي المشايخ الثلاثة المفيد والمرتضى والطوسي، وسيادة هذه المدرسة في القرون الأخيرة، أدى الى تراجع الأخباريين وتراجع القول بعدم حجية القرآن أو عدم جواز التعامل المباشر معه. وتعزيز القول باعتبار القرآن المصدر الأول والأساس للدين باعتباره مصدرا قطعيا متواترا لا يضاهيه أي مصدر آخر.

ومع الأسف الشديد فان كثيرا من الباحثين السنة لا يلتفتون في دراستهم للشيعة الى الصراع بين المدرستين الأخبارية والأصولية، والى تخلي الأصوليين، وهم الغالبية العظمى من الشيعة، منذ قرون عن كثير من مقولات الأخباريين. وربما كان من هؤلاء الدكتور علي أوزك الذي قال:"ان الشيعة قد تعمدوا تأويل الآيات والأحاديث حسب رأيهم كلما لم يجدوا في القرآن ما يؤيد آرائهم المذهبية من الأدلة...ان الشيعة تستند غالبا على ما تنقله من الروايات عن أهل البيت، لأنهم يعتقدون عصمة الأئمة وأهل البيت، ولهذا السبب يهتمون بروايات أهل البيت في تفسير القرآن ويقولون:ان الله قد أوكل مهمة تفسير القرآن الى الامام".[٦٠] وأضاف:" ان الشيعة الامامية الاثني عشرية ترى ان في القرآن ناسخا ومنسوخا ومحكما ومتشابها وخاصا وعاما ومقطوعا وموصولا وفرائض وأحكاما وسننا وآدابا وحلالا وحراما وعزيمة ورخصة وظارها وباطنا وحدا ومطلعا. أما العلم بهذه المفاهيم وتمييز أحدها من الآخر فلا يمكن لأحد الا لمن كان قد نزل الوحي في بيته، وهو ليس الا النبي وأهل بيته. وقد روى عن رسول الله (ص) انه قال: من فسر القرآن برأيه فقد هلك، وان أصاب الحق ، وفي رواية: فقد كفر". واستشهد أوزك بقول الملا محسن الكاشاني في المقدمة الثانية لتفسيره المسمى بالصافي:"ان علم القرآن عند أهل البيت... وفصل ما بينكم ونحن نعلمه... وباسناده عنه عليه السلام قال: نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله". وما رواه العياشي في تفسيره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "انا أهل البيت لم يزل الله يبعث فينا من يعلم كتابه من أوله الى آخره".[٦١]

---

[٦٠] – المصدر السابق، ص ٢٤٣

[٦١] – المصدر السابق، ص ٢٤٣

وبالرغم من وجود هذه الروايات التي تنسجم مع نظرية الامامة، والتي تعطي للأئمة من أهل البيت دور المفسر والمترجم للقرآن، فان الشيعة عبر التاريخ لم يلتزموا بتفسير خاص للقرآن، بعيدا عن اللغة العربية وظواهر القرآن، ولم يحتفظوا بتأويل خاص، الا في تفسير بعض المفردات القرآنية مثل (الكتاب) أو (الصراط المستقيم) .

وهذا ما يسجله الدكتور علي أوزك، عندما ينقل عن الطبرسي في تفسير قوله تعالى:"اهدنا الصراط المستقيم"، ان الصراط المستقيم هو النبي (ص) والأئمة الذين احتلوا مكانه. أو عندما ينقل عن صاحب (الصافي) أن معنى الصراط هو الامام، الذي يشكل الطريق الى معرفة الله في الدنيا. وكذلك عندما ينقل عن الطباطبائي ، الذي يفسر الصراط المستقيم برواية عن الصادق يقول: انه أمير المؤمنين علي عليه السلام.[٦٢]

ويضرب الدكتور أوزك أمثلة أخرى على التأويل الشيعي للقرآن، فينقل عن (الصافي) في تفسير قوله تعالى "ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين" نقلا عن الصادق: ان ذلك اشارة الى علي، والكتاب عبارة عنه. وان المراد بالكتاب هو كتاب علي. كما ينقل عنه أيضا في تأويل "هدى للمتقين" عن الصادق أنه قال: المتقون شيعتنا.[٦٣]

٢- السنّة النبوية

أما السنة ، فلا يوجد حولها خلاف بين المسلمين مبدئيا، حيث يتفق الشيعة والسنة على ضرورة الأخذ بما ثبت عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولكن الخلاف يدور حول طرق أخذ السنة، من الصحابة؟ أم من أئمة أهل البيت؟ وهل أن أحاديث أهل البيت ناقلة للسنة؟ أم جزء منها؟

ومن المعروف أن أهل السنة كانوا يختلفون فيما بينهم الى فريقين هما "أهل الرأي" بزعامة الامام أبي حنيفة، و"أهل الحديث" بزعامة الامام أحمد بن حنبل، وكانوا يختلفون حول إطار (السنة) هل انها تعني السنة العملية المتواترة القطعية فقط؟، أم تشمل السنة القولية، وأخبار الآحاد، أو الأخبار الضعيفة المشكوك فيها. واذا ما راجعنا كتب الحديث السنية فانا نجد بينها اختلافا كبيرا في كمية

[٦٢] - المصدر السابق، ص ٢٤٤

[٦٣] - المصدر السابق، ص ٢٤٤

الأحاديث التي تضمها بين عدة مئات أو عدة آلاف، أو عشرات بل مئات الألوف من الأحاديث. ورغم اتفاق أهل السنة على اعتبار كتب البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح، فانه لم يزل ولا يزال يوجد في أهل السنة من يشكك ببعض الأحاديث او ينتقد نسبتها الى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

أما الشيعة، فقد كانوا بصورة عامة يشككون بكثير من الروايات المنتشرة في العهد الأموي، ويرفضون خصوصا الأحاديث الواردة عن طريق أبي هريرة ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومروان بن الحكم، وسمرة بن جندب، وأبي الغادية قاتل عمار، ولم يكونوا يعتقدون بعدالة الصحابي بصورة مطلقة، بل يميزون بين العادل والفاسق والمؤمن والمنافق. ويروي الشيعة حديثا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في جواب سائل سأله عن أحاديث البدع، وعما في أيدي الناس من اختلاف الخبر، فقال: "إن في أيدي الناس حقاً وباطلاً، وصدقاً وكذباً، وناسخاً ومنسوخاً، وعاماً وخاصاً، ومحكماً ومتشابهاً، وحفظاً ووهماً. ولقد كُذِّبَ على رسول الله (**صلى الله عليه وآله وسلم**) على عهده، حتى قام خطيباً، فقال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. وإنما أتاك بالحديث أربعة رجال، ليس لهم خامس: رجل منافق مظهر للإيمان متصنع بالإسلام، لا يتأثم ولا يتحرج، يكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متعمداً. فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قوله. ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، رأى، وسمع منه، ولقف عنه، فيأخذون بقوله. وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك، ووصفهم بما وصفهم به لك. ثم بقوا بعده (عليه وآله السلام)، فتقربوا إلى أئمة الضلالة، والدعاة إلى النار بالزور والبهتان، فولوهم الأعمال، وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس، فأكلوا بهم الدنيا، وإنما الناس مع الملوك والدنيا، إلا من عصم الله".[٦٤]

ونظرا، لاتهام الشيعة الامامية لمعظم الصحابة، بالانقلاب على أهل البيت واغتصاب حقهم في الخلافة، فقد اتخذوا موقفا سلبيا منهم كطريق ناقل للسنة، وربما اتهموا بعض الصحابة والرواة وجامعي الأحاديث بكتمان الاحاديث المتعلقة بفضائل أهل البيت، أو بحقهم في الامامة. وفي هذا يقول الدكتور محمد جمال صوفو أوغلي ، المشارك في الندوة العلمية الدولية عن الشيعة، في ورقته عن (الحديث عند الشيعة الامامية): "ان الموضوع الذي يكاد يتفق عليه كثير من علماء الشيعة (كما يقول هاشم معروف الحسني، في دراسات ص ١٩، وصادق نجمي، في أضواء على الصحيحين، ص ٨٧) هو أن الخليفة عمر وبعده البخاري ومسلم وأمثالهما من علماء الحديث لم يودوا سماع جماهير الناس بعض الأحاديث الواردة في علي بن أبي طالب وأهل البيت. وأما عمر فقد تشدد وتحسس كثيرا في

---

[٦٤] – نهج البلاغة ج:٢ ص:١٨٨ . ١٨٩، واللفظ له. ينابيع المودة ج:٣ ص:٤٠٩ . ٤١٠.

موضوع رواية الحديث. وأما من ذكر في علماء الحديث فلم يدرجوا في كتبهم الاحاديث الواردة لصالح علي وأهل البيت".[٦٥]

ومن هنا قصروا تلقيهم للسنة على أئمة أهل البيت كالامام زين العابدين علي بن الحسين و ابنه الامام محمد الباقر، و ابنه الامام جعفر الصادق، فيما ذهب بعض الشيعة، وهم الامامية، الى اعتبار أقوال الأئمة من أهل البيت أو آرائهم الاجتهادية مكملا للسنة، باعتبار أن أهل البيت هم العترة أو أحد الثقلين اللذين أمر النبي باتباعهما الى جانب القرآن الكريم، حسبما يقول الحديث النبوي:" اني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي".

ويقول الدكتور أوغلي:" ان الشيعة يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يزور باستمرار ابنته فاطمة وزوجها عليا ويتحدث معهما، وكان الامام علي يكتب ما يقوله في صحيفة. وان صحيفة علي هي أصح كتب الحديث المتداولة، حيث ان هذا الكتاب قد انتقل فيما بعد الى الأئمة المعصومين. ومن حيث ان النبي (ص) أملى عليا عنه هذا الكتاب فهو يحتوي على كل شيء. ومن ثم ان الأئمة المعصومين يعلمون كل شيء. فلذلك لا مجال للشك في الأحاديث التي روتها الشيعة، فهي على زعمهم انتقلت الى الأئمة بشكلها الذي كتبه علي رضي الله عنه. ويرى بعضهم أن أول من قام بتدوين الأحاديث هو مولى النبي (ص) أبو رافع الذي هو من شخصيات الشيعة الممتازين. ويروى أن له كتابا سماه "كتاب السنن والأحكام والقضايا".[٦٦]

وقد قام الشيعة بتدوين أحاديث أهل البيت في زمانهم فيما يعرف بالأصول الأربعمائة، التي ضاع كثير منها، فقام الشيخ أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ) بجمع ما تيسر منها في القرن الرابع الهجري في كتابه: "الكافي". وهو يتألف من قسمين: الأصول والفروع، والأصول كما يفهم من اسمه يحتوي على الأحاديث التي تتعلق بالاعتقاد أو الإيمان. أما قسم الفروع فذكر فيه الأحاديث المتعلقة بالعمل والأحكام. ويحتوي مجموع الكتاب على ٣٤ كتابا و٣٤٦ بابا. وعلى حوالي ١٦ ألف حديث.[٦٧]

ثم قام من بعده الشيخ محمد بن علي بن بابويه الصدوق (ت ٣٨١هـ) بتأليف "من لا يحضره الفقيه". وهو يحتوي على أكثر من تسعة آلاف حديث، ويتميز بحذف الأسناد.

---

[٦٥] – الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص ٢٩١ – ٢٩٢

[٦٦] – المصدر السابق، ص ٢٩١ – ٢٩٢

[٦٧] – المصدر السابق، ص ٢٩٢

وجاء من بعدهما الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (٣٨٠ – ٤٦٠) فألف "تهذيب الأحكام" و"الاستبصار فيما اختلف من الأخبار". وقد ذكر فيهما بعض الاحاديث التي لم تذكر في الكافي.[٦٨]

وشكلت تلك الكتب مرجعاً مهما للفقهاء الشيعة إلى أن دونت في القرن الحادي عشر ثلاثة كتب مطولات، وهي: "وسائل الشيعة في أحكام الشريعة" لمحمد بن الحسن الحر العاملي (١١٠٤–١٠٣٢) وعليه المعوّل في الفقه منذ تأليفه و"الوافي" لمحمد محسن الفيض الكاشاني (توفي ١٠٩١) و"بحار الأنوار" لمحمد باقر المجلسي (١٠٢٧ – ١١١١) فضُمّت هذه الموسوعات الثلاث إلى تلك الكتب الأربعة، مع تفاوت بينها كما بين تلك الأربعة، فإن الكافي من بين الأربعة اختص بجمع الروايات في حقل العقيدة والشريعة، فيعتبر جامعاً كصحيح البخاري ومسلم والترمذي عند الجمهور، والثلاثة الباقية خاصة بالسنن والأحكام. ومن بين الثلاث المتأخرة كتاب "الوسائل" أيضا خاص بالسنن والأحكام، و"الوافي" جامع لأحاديث الكتب الأربعة فقط، فهو باعتبار اشتماله لروايات "الكافي" يعد جامعا، و"البحار" جمَع روايات غير الكتب الأربعة في جميع الأصعدة من الأحكام والعقائد والتاريخ والمغازي والأخلاق والآداب وغيرها، فهو يعد جامعا أيضا، إلا أن اصطلاح "الجامع" و"السنن" الشائع عند أهل السنة ليس متداولاً بين الإمامية.

وقد ضمت إلى تلك الكتب في القرن الرابع عشر الهجري موسوعة باسم "مستدرك الوسائل" للشيخ ميرزا حسين النوري (ت ١٣٢٠) استدرك فيه مافات صاحب "الوسائل" أو ما لم يرد ذكره من الأخبار، وموسوعة أخرى باسم "جامع الأحاديث الفقهية" ألفت باشراف الإمام البروجردي، وقد جمع فيها كل مافي تلك المجاميع مما يرتبط بالأحكام ، مع الجمع والإدغام بين الأسانيد والمتون.

وبينما كان الأخباريون من الشيعة يقبلون الأخبار بسهولة وتوسع، قام الأصوليون منهم بتنقية الروايات وتمحيصها والتدقيق فيها، ولم يقبلوا الأحاديث الا بشروط. وقد قسّموا الأحاديث إلى متواتر وغير متواتر، وغير المتواتر إلى خبر واحد ومستفيض أو مشهور أو ما قطع بصحته بقرائن، وقسموا خبر الواحد إلى صحيح وموثّق وحسن وضعيف. ونشأ لديهم علم خاص لمعرفة رجال الحديث سموه "علم الرجال" كما سموا علم مصطلح الحديث "علم الحديث" أو "علم الدراية". ولا يزال الباب مفتوحا لديهم أمام حركة النقد في الوقت الذي لا يعتبرون اي كتاب من كتب الحديث كتابا صحيحا ، وانما يخضع كل ما فيها للنقد والمراجعة والتمحيص، حسب اجتهاد كل مجتهد.

وقد دار في صفوف الشيعة الامامية نقاش طويل حول حجية خبر الواحد الذي ليس قطعياً – وأكثر الأحاديث عندهم من هذا القبيل – فاحتجوا لها بآيات من الكتاب وبما ثبت عندهم من

---

[٦٨] - المصدر السابق، ص ٢٩٣

السنة أو الإجماع – وقد طال البحث حوله نقضاً وإبراما، لما ثبت عند القدماء من الامامية "أن خبر الواحد لا يجدي علماً ولا عملا" أي لا اعتبار به لا في حقل العقيدة ولا في حقل الشريعة. وهذا مقابل رأي الاخباريين الذين كانوا يرون أن كل مافي الكتب الأربعة أي: الكافي ومن لا يحضره الفقيه و التهذيب والاستبصار، قطعي الصدور، حيث كان الأصوليون يرون ضرورة إثبات صحة ماجاء فيها أو في غيرها من كتب الحديث من الأحاديث غير القطعية. ولذلك ليس لدى الشيعة كتاب يسمى بـ "الصحيح" كما عند أهل السنة، بل كل حديث في هذه الكتب الأربعة أو في غيرها قابل للنقاش حتى تثبت صحته.

ويعترف الشيعة بأن كثيرا من الروايات الواردة في الكتب الأربعة، اذا لم يكن أكثرها، غير صحيح، أو ضعيف أو حسن. ورغم ذلك فان الشيعة يعتبرون الأحاديث الواردة في الكتب الأربعة من أصح الروايات بالنسبة الى الأحاديث الواردة في غيرها.

وإذا ألقينا نظرة على أحاديث الشيعة لوجدنا معظمها يصل الى الأئمة من أهل البيت، ولا توجد الا روايات قليلة جدا تنسب الى الرسول الأعظم، وذلك لأن الشيعة يعتبرون أئمة آل البيت (الإثني عشر) مصدرا من مصادر الفقه، وليسوا كمجتهدين يجوز للناس تقليدهم كما يقلدون أئمة المذاهب الآخرين ، بل يتبعونهم كأئمة من العترة الذين قال فيهم النبي (صلى الله عليه وآله) : "إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه وعترتي".[٦٩]

وهذه أهم نقطة خلافية في الحديث بين الشيعة والسنة، أما النقطة السلبية الأخرى التي يأخذها علماء السنة على الشيعة فهي في موضوع الترجيح بين الروايات ، والأخذ بما يخالف العامة ، حسب رواية عمر بن حنظلة التي يرويها عن الامام الصادق، والتي يقول فيها :" قلت: فاذا كان الخبران عنكم مشهورين قد رواهما الثقات عنكم؟ قال (الامام الصادق): ينظر فيما وافق حكمه حكم الكتاب والسنة ووافق العامة. قلت: جعلت فداك، أرأيت ان كان الفقيهان عرفا حكمه من الكتاب والسنة ووجدنا أحد

[٦٩] – ومن هنا نشأ المذهب الأخباري في القرن الرابع الهجري، الذي كان يحرم الاجتهاد ويقتصر على رواية أحاديث أهل البيت باعتبارهم مصدرا سماويا مستمرا لمعالجة الحوادث الواقعة واعطاء الرأي الشرعي فيها. ولكن انقطاع الأئمة بعد "غيبة" الامام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" الذي اعتقد الشيعة الاثنا عشرية بولادته وغيبته في أواسط القرن الثالث الهجري، ومُضي عشرات السنين دون استطاعتهم التواصل مع الامام الغائب المعصوم دفعهم الى فتح باب الاجتهاد واستعمال القياس المرفوض سابقا لديهم.

الخبرين موافقا للعامة، والآخر مخالفا لهم، بأي الخبرين يؤخذ؟ قال: **ما خالف العامة ففيه الرشاد**".[٧٠]
وهي رواية مكذوبة وتؤدي فعلا الى تكريس التفرقة بين المسلمين.[٧١]

وقد سجل الدكتور أوغلي هذه الملاحظات في بحثه عن (كتب الحديث عند الشيعة) المقدم الى الندوة العلمية الدولية عن الشيعة، وقال:" للشيعة رأي وفهم خاص في الحديث. فأقوال الأئمة الذين يعتقدون بعصمتهم تعتبر أحاديث عندهم، خلافا لأهل السنة. وهذا الفهم قد فتح في مجال الحديث منفذا غير قابل للضبط والتحديد. فقد ذكر في كتب الحديث للشيعة آلاف من الأحاديث التي **اخترعت** باسم الأئمة والتي اعتبرت أحاديث، وبالرغم من رفض العلماء الشيعة بعد الكليني، فقد ورد في كتابه الكافي بعض الروايات التي تتعلق بتحريف القرآن وتتضمن الافتراءات الشنيعة على الصحابة الذين ليس لهم أية علاقة بها، ولا أصل لها في الواقع. حيث **ان هذا يكون مانعا أساسيا من تأسيس الوحدة والتساند بين المسلمين**. ونحن نتمنى من علماء اليوم أن ينظروا في هذا الموضوع الهام تحت ضوء العقل السليم. وقد ظهر بعد الكليني بعض من العلماء يقولون ان القرآن الكريم ليس فيه تحريف، ولكن مع هذا ان كتاب الكافي لم يضع من قيمته شيئا. وغرضنا من النظر تحت ضوء العقل هو هذا: لا بد من إجراء دراسة جدية على كتاب الكافي حتى يتضح أن الأقوال التي اعتبرت فيه أحاديث ليست هي أحاديث في الواقع، بل عبارة عن أقوال مخترعة. وواضح ان دراسة قيمة مثل هذه سترى في العالم الاسلامي المزيد من حسن القبول والتقدير".[٧٢]

ورد عليه الشيخ محمد واعظ زاده الخراساني، وأقرَّ ببعض ملاحظاته، وقال:"ان الامامة عند الشيعة الامامية لها جانبان، الأول: سياسي، الثاني: علمي، ومعناه ان المسلمين يجب عليهم أن يرجعوا فيما

---

[٧٠] – أصول الكافي ، المجلد الأول، ص ٦٨ من كتاب "فضل العلم". والشيخ الطوسي ، التهذيب ٦ : ٣٠١ | ٨٤٥. والصدوق ، من لا يحضره الفقيه ٣ : ٥ | ٢. والطبرسي، الاحتجاج ، ص ٣٥٥

[٧١] - يقول الدكتور السيد موسى الموسوي:" ان هذه من الروايات الموضوعة التي نسبت الى الامام لأن عهد الامام لم يكن عهد العامة والخاصة، ولم يكن معروفا هذا الاصطلاح فلم يكن هناك شيء اسمه العامة التي تقابل الخاصة، المسلمون كانوا آنذاك أمة واحدة يجمعهم الكتاب والسنة ولا خاصة ولا عامة. وان اصطلاح العامة والخاصة من الاصطلاحات المتأخرة التي يعود تاريخها الى القرن الرابع الهجري، وهو نفس العصر الذي وضعت فيه هذه الروايات ونسبت الى الامام الصادق. ومن الجدير بالذكر ان الخلفاء العباسيين الذين عاصروا الامام الصادق وحتى الذين عاصروا أئمة الشيعة الى الامام الحادي عشر الحسن العسكري، لم يتبنوا مذهبا من المذاهب الأربعة المعروفة آنذاك حتى يضطر الامام الصادق أو الأئمة من أولاده الى العمل بالتقية، أو الأمر بها ، بل بالعكس من ذلك فان أصحاب المذاهب الأخرى كانوا مضطهدين في عصر الخلافة العباسية المعاصرة لأئمة الشيعة".
الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص ٧٤٠

[٧٢] - المصدر السابق، ص ٢٩٥

يحتاجون اليه بعد وفاة النبي (ص) الى الأئمة من أهل بيته. وأول الأئمة الامام علي عليه السلام وآخرهم الامام المهدي عليه السلام. وهذا الجانب أهم من الجانب الأول، وتكفلت الروايات ببيان هذا الجانب وهي كثيرة ومنها أن عليا باب علم النبي ، وقد رواها المحدثون من أهل السنة والشيعة. ويأتي حديث (الثقلين) في طليعة هذه الروايات، وهو حديث مستفيض بل متواتر حيث قال النبي (ص) في مواقف عديدة: اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، على اختلاف في الألفاظ وزيادة ونقصان...وهو يرمي الى إثبات المرجعية العلمية لعترة النبي (ص). إذن الحديث عند الشيعة الامامية وأعني به حديث الأئمة يستمد شرعيته وحجيته من حديث الثقلين وغيره، وللتنبيه على هذين الجانبين أي القيادة السياسية والعلمية معا تطلق الطائفة الامامية بدل عنوان الخلافة وصف الامامة على الأئمة، فان عليا عندهم ليس حاكما سياسيا فحسب، بل هو امام في جميع الجهات التي يحتاج اليها الأمة". وأضاف الخراساني:"ان الامامية يأخذون بالرواية الواردة عن طريق أهل السنة عن النبي (ص) إذا صح طريقها عندهم، كما يأخذون بروايات العترة بلا فرق".[٧٣]

وشرح الخراساني لماذا يأخذ الشيعة بأحاديث أهل البيت قائلا:"ان القسط الأكبر من أحاديث الفقه والتفسير وغيرها رويت عن الامامين محمد الباقر وجعفر الصادق ثم الأئمة من بعدهما، وكان ذلك في عصر التدوين، وقد كتبت – من دون فصل زمني في ما يقارب من أربعمائة أصل- من قبل العلماء الذين لازموا هؤلاء الأئمة. وعلم الأئمة مأخوذ عن أجدادهم حتى يصل الى النبي (ص) فلا يحدث خلل في الحديث من ناحيتهم على رأي الشيعة....وبسبب وجود الأئمة من أهل البيت (ع) بين شيعتهم ما يربوا على المائتين وخمسين سنة فان الاحاديث التي يكتبها أصحابهم كانت تعرض عليهم لتمييز الصحيح من السقيم منها حيث كانوا يرشدون أصحابهم اليها، وقد قام هؤلاء الأئمة بتسمية الكذابين من الشيعة والبراءة منهم علنا لكي يجتنب الشيعة النقل من هؤلاء الوضاعين".[٧٤]

وأضاف الخراساني:"ان المتداول بين الشيعة في الحديث كتب كثيرة وموسوعات ضخمة، الا ان أصحها الكتب الأربعة، وبالرغم من تقديم هذه الكتب الأربعة على غيرها **الا ان الشيعة لا تطلق عليها اسم الصحاح كالصحاح عند أهل السنة،** لان في الكتب الأربعة من الأحاديث ما هو صحيح وضعيف وموثق وسقيم وقوي، وهناك مجال واسع للتمييز بينها حسب ما هو موجود من الامارات والموازين لتمييز الصحيح عن غير الصحيح. فمثلا اذا كان ظاهر الحديث دلا على وقوع التحريف في كتاب الله، فان مثل هذا الحديث اما يكون مؤولا اذا شمله التأويل أو مردود. وهكذا الحال في جميع المجالات فلا يؤخذ بحديث مخالف للقرآن والسنة القطعية، أو يكون خلاف المعقول كما هو معمول

---

[٧٣] - المصدر السابق، ص ٢٩٨- ٢٩٩

[٧٤] - المصدر السابق، ص ٣٠١-٣٠٢

أيضا عند المحققين من أهل السنة – ولا سيما طائفة المعتزلة – في كثير من الاحاديث التي ظاهرها التجسيم والتشبيه ونحوهما".[٧٥]

نقد كتب الحديث السنية

وبعد أن دافع الشيخ محمد واعظ زادة الخراساني عن كتب الحديث الشيعية، واعتبار الامامية أحاديث الأئمة بمثابة أحاديث الرسول الأعظم (ص) قام بنقد كتب الحديث السنية، من وجهة النظر الشيعية، وقال:"ان عدالة الصحابة كما يظهر لنا من سير الحوادث والفتن التي حدثت بعد وفاة النبي (ص) لم تكن مطروحة على بساط البحث، ولا معترفا بها عند الصحابة أنفسهم، ولا حتى في عصر التابعين، وانما طرحت المسألة في أزمنة متأخرة ولا يعلم مبدؤها بالضبط... وأظن ان مسألة عدالة الصحابة قد طرحت بين الفقهاء في زمن متأخر للوصول الى هدفين مهمين:

الهدف الأول: طلبا للمصالحة بين فرق المسلمين المتخاصمة، والمحافظة على كرامة الصحابة الذين وقعت بينهم تلك المشاجرات كي يرتفع الخلاف بين أتباعهم الذين فرقت بينهم تلك الأحداث المشؤومة حيث وقفت كل فرقة تدافع عن مجموعة من الصحابة وتبرر لهم أعمالهم.

الهدف الثاني: ولعله الأهم هو : المحافظة على سنة النبي (ص) التي لم تجمع في كتاب كما جمع القرآن الكريم في زمن النبي الاكرم وصحابته، بل كانت السنة محفوظة في صدور الصحابة تنتقل من صدر الى صدر، ولا يمكن الوثوق بما يحدث به الصحابة عن النبي (ص) الا بعد إحراز عدالة هؤلاء الصحابة وحصول الاطمئنان بأقوالهم، بينما نرى أن أهل السنة أصروا على عدالة الصحابة أجمعين للوصول الى هذا الهدف. وأنا أقول بصراحة لولا وجود هذا الربط الوثيق بين عدالة الصحابة وبين السنة النبوية، لا داعي لنا للحديث حولهم، وما صدر منهم، الا اذا أخذنا درسا من تلك الاحداث في واقعنا السياسي الحاضر".[٧٦]

وأضاف الخراساني:"ان المشاكل في حديث أهل السنة ليست بأقل من المشاكل في حديث الشيعة لو لم تكن أكثر ، وأنا ألخصها بشكل مفهرس:

١- عدم الوثوق بصدق وضبط كثير من الصحابة من رواة الاحاديث، ولا سيما وأنهم لم يكونوا جميعا من خاصة النبي الملازمين له، ولم يكتبوا الحديث حينذاك، وانما كان الحديث محفوظا في الصدور، على أن هناك مشكلة أخرى: من الصحابي؟ وقد بحثوا حولها طويلا.

---

[٧٥] - المصدر السابق، ص ٣٠٢ – ٣٠٣

[٧٦] - المصدر السابق، ص ٣٠٠

٢- المنع من ضبط الحديث ونقله، وكان هذا المنع من قبل الخليفة الثاني ودام حتى نهاية فترة بني أمية، وهذا المنع أوجب ذهاب شطر كبير من السنة كما أوجب الخلط بينها.

٣- كتابة الحديث – كما هي ثابتة عند الجميع – بدأت في القرن الثاني وبشكل متفرق وفي بلدان بعيد بعضها عن البعض الآخر، ولم تكن كتابة الحديث حين بدأت بشكل جماعي ولا على شكل لجان يشترك فيها الخبراء بالحديث، بحيث يعرض حديث بعضهم على بعض ويقاس حديث بعضهم ببعض، نعم اتفق بعض ذلك في زمن متأخر.

٤- شيوع الكذب حتى في عصر النبي (ص) حيث قام خطيبا وقال: لقد كثرت علي الكذبة فمن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار ، على اختلاف في متن الحديث.

٥- شيوع الاسرائيليات قبل عصر تدوين الحديث بين التابعين، وحتى بين صغار الصحابة أمثال ابن عباس وأبو هريرة، وصعوبة التمييز بعد ذلك بينها وبين غيرها حيث ملأت هذه الاسرائيليات كتب الحديث والتفسير والتاريخ".[٧٧]

وعقب الشيخ محمد واعظ زادة الخراساني على دعوة الدكتور أوغلي لمراجعة كتب الحديث الشيعية، بالقول:"اذا اعتقد الاخ الدكتور أنه لا بد من إجراء دراسة جديدة على كتاب الكافي فهل له مثل هذا الاعتقاد بالنسبة الى حديث السنة، فان كان جوابه إيجابيا ، فأهلا وسهلا، تعالوا نشكل مجمعا لدراسة أحاديث المسلمين من دون فرق بين الفرق الاسلامية، ونضعها في الميزان وننقدها بمقياس عقلي أو نقلي يتسالم عليه المسلمون. وبهذا التفاهم نتمكن من الوصول الى الوحدة الاسلامية التي تمناها الأخ الكاتب وينشدها جميع المصلحين في العالم الاسلامي ويتابعها بجد المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية".[٧٨]

وعلى أي حال فان الشيعة لم يعودوا يقبلون كل رواية في كتب الحديث، كما كان يفعل الأخباريون في الزمن الأول، ولم يعودوا يقبلون – نظريا على الأقل - أخبار الآحاد في بناء عقائدهم، الا ان تكون أحاديث متواترة ، وأما في الفروع فانهم يقبلون بها. ويرفض الشريف المرتضى
الأخذ بأخبار الآحاد، ويقول انها ليست بحجة ولا يبنى عليها أحكام شرعية، الا ان الشيخ الطوسي وجل الفقهاء اليوم يقبلون أخبار الآحاد إذا كانت محفوفة بقرائن وأوصاف مؤيدة. ويقبلون رواية غير الامامي ويعملون بها بشرط أن يكون الراوي معروفا بالتقوى والصدق في رواية الأحاديث.[٧٩]

نقد كتب الحديث الشيعية

---

[٧٧] - المصدر السابق، ص ٣٠١-٣٠٢

[٧٨] - المصدر السابق، ص٣٠٥

[٧٩] – الدكتور خير الدين قرامان، أصول الفقه والأدلة الشرعية عند الشيعة، الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص ٣٦٣

وفي الحقيقة ان الشيعة قاموا ويقومون بهذا الدور منذ زمن طويل، إذ أنهم مع فتح باب الاجتهاد في القرن الخامس الهجري، فتحوا بابا آخر هو نقد الروايات والرجال الناقلين لها، فألفوا كتبا عديدة أهمها كتاب (معرفة الرجال) لمحمد بن عمر الكشّي ، أو ما يعرف أيضا بـ (اختيار معرفة الرجال). وكتاب (الرجال) لأحمد بن علي النجاشي. وكتابا (الرجال والفهرست) للشيخ الطوسي، وكذلك كتاب ابن الغضائري. وعُرفت هذه الكتب بعنوان (الكتب الرجالية الأربعة).

ثمّ شهدت العصور التالية إبداعَ مؤلفات رجالية أخرى، مثل: (معالم العلماء) لابن شهرآشوب (ت ٥٨٨ هـ

)، و (الرجال) لابن داود الحلّي (ت بعد سنة ٧٠٧ هـ)، و (الرجال) للعلاّمة الحلّي (ت ٧٢٦ هـ).

وبناء على تطور علم الرجال الشيعي قام العلاّمةُ الحلّي في القرن الثامن الهجري بتقسيم الحديث إلى: صحيح، وحَسَن، وموثَّق، وضعيف. وكان يعني بالصحيح: ما يتصل سنده الى المعصوم بنقل الامامي العدل عن مثله في جميع الطبقات. أما الحسن : فهو ما يتصل سنده بإمامي ممدوح معتدا به، من غير نص على عدالته. بينما عرف الموثق: بالحديث الذي نص علماء الرجال على توثيق رجاله من غير الامامية، أو من يطلق عليهم بفاسدي العقيدة، ويعنون بهم الرواة الثقاة من غير الإثني عشرية. أما الضعيف فهو بالطبع من لم تجتمع فيه الصفات الثلاث المذكورة.

وبناء على هذا التصنيف للأحاديث، اعتبر شرّاح "الكافي" المتأخرون معظم أحاديثه غير صحيحة، حتى عدوا ٩٤٨٥ حديثا منه ضعيفا، بينما اعتبروا ١٤٤ حديثا منه حسنا، و١١٢٨ حديثا موثقا، و٥٠٢٧ حديثا صحيحا. أو ألفي حديث صحيح فقط.

ويروى عن العلامة الحلي انه ينفي وجود حديث صحيح بمعنى روايته متسلسلا عن الامامي الثقة عن مثله الى الامام المعصوم. وعلى أي حال فقد قام العلامة الحلي بتأليف كتاب جديد جمع فيه الصحيح والحسن من الكتب الأربعة، وسماه بكتاب (الدرّ والمرجان) .

وقام مؤخرا الشيخ محمد باقر البهبودي بغربلة جديدة لأحاديث الكافي فاختار منها ما يقارب الثلث وجمعها في كتاب أطلق عليه اسم:"زبدة الكافي".

ولكن رغم تطور علم الرجال والدراية لدى الشيعة، وتصفيتهم لتراث أهل البيت من الخرافات والأساطير والنظريات الدخيلة كأسطورة تحريف القرآن، فان كثيرا من الأحاديث لا تزال بدون تمحيص ، أو أن عملية نقدها ظلت محصورة في نطاق ضيق، ولم تنجح في إعادة بناء الخارطة الفكرية للتشيع. ولعل موضوع الامامة الالهية لأهل البيت والعصمة والنص وموضوع (الامام الثاني عشر المهدي المنتظر الغائب) من أبرز المواضيع التي تحتاج الى مزيد من النقد والتمحيص، وذلك لأن هذه المواضيع تشكل

أساس المذهب الامامي الإثني عشري، ومادة الخلاف الرئيسية مع بقية المسلمين، ومن المهم جدا لإعادة الوحدة الاسلامية التحقيق والتأكد مما إذا كان أئمة أهل البيت يشكلون فعلاً مصدرا شرعيا اضافيا وحصريا للسنة النبوية ومكملا لها، بحيث لا يجوز لأي فقيه آخر الافتاء في مقابلهم؟ أو كانوا مجرد رواة ثقاة ناقلين للأحاديث النبوية، كما تؤكد بعض الروايات الواردة على لسان أهل البيت، أو حتى مجتهدين لهم آراؤهم الخاصة غير الملزمة.

ان القيام بعملية نقد جذرية كهذه، كفيل بتقليص مفهوم "السنة" عند الشيعة الى ما تواتر فقط عن النبي الأكرم (ص) والتخلي عن اعتبار أئمة أهل البيت امتدادا للنبوة، أو اعتبار أحاديثهم بمنزلة أحاديث النبي التي لا يجوز رفضها أو مناقشتها والاجتهاد في مقابلها، وتنزيل مرتبتهم الى مرتبة أئمة المذاهب الاسلامية الأخرى.

وقد تسنى لي القيام بنقد مجموعة من الروايات (حوالي مائة رواية) حول موضوع الاثني عشرية والإمامة الالهية، على ضوء التاريخ وعلم الرجال الشيعيين، فوجدتها كلها ضعيفة أو مختلقة لا توجد فيها رواية واحدة صحيحة. وهو ما دفعني الى تقبل الفقه الجعفري (المنسوب الى الامام جعفر الصادق عليه السلام، ورفض النظرية الامامية الاثني عشرية بما فيها موضوع فرضية الامام الثاني عشر "محمد بن الحسن العسكري" الذي لم أعثر على أي دليل معتبر على ولادته ووجوده واستمرار حياته الى اليوم منذ القرن الثالث الهجري.

٣- الإجماع

من المعروف أن الإجماع يشكل لدى أهل السنة مصدرا مهما من مصادر التشريع الى جانب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، مع الاختلاف في مفهوم الاجماع فيما اذا كان يعني اجماع المسلمين أو إجماع الصحابة أو الفقهاء، في عصر واحد من العصور، وذلك بناء على الحديث الذي يقول : "لا تجتمع أمتي على خطأ". ولكن الاجماع لا يشكل لدى الشيعة وخاصة الامامية مصدرا معتبرا أو حجة شرعية، وذلك لأنهم رفضوا مبدأ الاجماع انطلاقا من رفضهم لإجماع الصحابة حول اختيار أبي بكر خليفة من بعد الرسول، في مقابل ما زعموه من وجود النص على الامام علي. ولكن الشيعة عادوا فقبلوا اسم الاجماع بناء على نظرية اللطف التي قال بها السيد المرتضى في القرن الخامس الهجري، وكانت تعني ضرورة تخريب الامام المهدي الغائب لاجماع الشيعة في أية مسألة مخالفة للحق ولرأي الامام بصورة ما. وقد قلت ان الشيعة قبلوا اسم الاجماع، لأنهم لم يقبلوه على الحقيقة، وذلك لأن الاجماع لديهم كان يعبر عن رأي الامام أكثر مما كان يشكل بحد ذاته مصدرا من مصادر التشريع، أو يحمل حجية ذاتية. ومع ان كثيرا من علماء الشيعة احتجوا بالاجماع من أجل اثبات

بعض الأقوال والآراء المختلف فيها، الا انهم فعلوا ذلك اعتمادا على القواعد والأصول التي بأيديهم، ولم يثبت لديهم تاريخيا صحة أي اجماع بناء على نظرية اللطف الافتراضية. ومن أجل ذلك لايعد الإجماع عندهم إلا مؤيداً لغيره من الأدلة.

وألحق الشيعة بالإجماع "سيرة المسلمين" أو "سيرة المتشرعة" . ولكنهم لم يعتبروا ذلك أيضا حجة أو دليلا مستقلا، الاّ ما كشف عن قول الإمام (المعصوم) الذي هو الحجة عندهم.

وبغض النظر عن موقف الشيعة من الاجماع، وحيثياته، فاني أعتقد أن إعادة النظر في أصل حجية الاجماع من قبل أهل السنة، لا تشكل فقط تحديدا دقيقا لمصادر التشريع وحصر ذلك بالكتاب والسنة، وانما تشكل أيضا مدخلا لتعزيز الوحدة الاسلامية بين السنة والشيعة.

٤- الدليل العقلي

والمقصود بالدليل العقلي هي الأصول العملية العقلية مثل أصل البراءة والاستصحاب والاحتياط والتخيير، وهي أصول مشتركة لدى السنة والشيعة يعمل بها في منطقة الفراغ أو فقدان الأحكام الشرعية من الكتاب والسنة، وهي تغطي مساحة واسعة من المجالات الحديثة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وبعد فتح الشيعة لباب الاجتهاد، اقتربوا كثيرا في هذا الجانب من أهل السنة، حتى اتهمهم الأخباريون بأنهم قد أصبحوا "سنة". وهذا ما أكده الدكتور خير الدين قرامان، في ندوة اسطمبول العلمية الدولية عن الشيعة، حيث قال:" ان اعتماد الشيعة على الكتاب والسنة والعقل والاجتهاد، كمصادر للعلم والحكم الديني بعد الغيبة الكبرى، يشكل أرضية مناسبة لمحاولات التقريب بين المذاهب في الأصول والفروع".[٨٠]

[٨٠] - المصدر السابق، ص ٣٦٥

الفصل الثالث: الاختلاف في المسائل الفقهية

إن معظم الخلافات الفقهية بين الشيعة والسنة هي خلافات جزئية بسيطة كانت موجودة حتى بين الصحابة والتابعين، أو حتى بين أبناء المدرسة الفقهية المذهبية الواحدة، ونظرا لانفتاح باب الاجتهاد عند الشيعة وتعدد المجتهدين وكثرتهم في كل عصر ، فانهم يعيشون اختلافا كبيرا في كثير من المسائل الفقهية، ويعتبرون ذلك طبيعيا ونتيجة لإيمانهم بحرية الاجتهاد وحق الاختلاف. وربما كان نفس الشيء موجودا في المذاهب الأخرى التي قد يختلف مجتهدو كل مذهب فيما بينهم أو حتى مع إمام مذهبهم في بعض الأحيان.

واذا لم يكن الشيعة حتى الآن قد أفتوا بجواز التعبد بالمذاهب السنية، نظرا لاعتقادهم بحرمة الاجتهاد في مقابل أئمة أهل البيت "المعصومين الذين يستوحون علمهم من الله" فان أئمة المذهب السني لم يترددوا في الرواية عن أهل البيت او اعتبار آرائهم الخاصة كاجتهادات فقهية كسائر اجتهادات المجتهدين، ولذلك كانوا ينفتحون على مذهب أهل البيت أكثر من انفتاح الشيعة على مذاهب السنة. هذا اذا استثنينا بعض المتعصبين الذين كانوا يخالفون الشيعة حتى اذا كان رأيهم حقا، لمجرد الخلاف والتمايز.[٨١]

ولعل من أشهر فتاوى السنة في هذا الشأن هي فتوى شيخ الأزهر الشيخ محمود شلتوت (**١٩٥٨-١٩٦٣**) الشهيرة، التي يقول فيها بجواز التعبد وفقا للمذهب الشيعي، وهي كما يلي : "إن الإسلام لا يوجب على أحد من أتباعه أتباع مذهب معين. بل نقول إن لكل مسلم الحق في أن يقلد بادئ ذي بدء أي مذهب من المذاهب المنقولة نقلاً صحيحاً والمدونة أحكامها في كتبها الخاصة. ولمن قلدّ مذهباً من هذه المذاهب أن ينتقل إلى غيره – أي مذهب كان– ولا حرج عليه في شيء من ذلك. إن مذهب الجعفرية المعروف بمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية مذهب يجوز التعبد به شرعاً كسائر مذاهب أهل السنة. فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك. وأن يتخلصوا من العصبية بغير الحق لمذاهب معينة. فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعة لمذهب أو مقصورة على مذهب. فالكل مجتهدون مقبولون عند الله

---

[٨١] – وحسبما يقول الشيخ محمد بن المختار الشنقيطي في كتابه القيم (الخلافات السياسية بين الصحابة):" لقد بالغ بعض السلف في صياغة خلافاتهم مع المبتدعة صياغة اعتقادية حتى أن سفيان الثوري وغيره من الأئمة يذكرون في عقائدهم ترك الجهر بالبسملة، لأنه كان عندهم من شعار الرافضة، كما يذكرون (في عقائدهم) المسح على الخفين، لأن تركه كان من شعار الرافضة . وهذه مجرد ردة فعل مغالية، لا يمكن أن نبني عليها مفاصلة في المعتقد. ولذلك رفض الإمام الشافعي هذا المنحى، وأعلن عن تبني كل ما ثبت أنه سنة للنبي صلى الله عليه وسلم، وإن وافق فعل الشيعة أو غيرهم، وتحمل الشافعي ثمن ذلك تهما باطلة. بل إن الأئمة الأربعة رفضوا هذا النهج.

تعالى. يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم والعمل بما يقررونه في فقههم. ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات".

ومن أهم الاختلافات بين الشيعة والسنة في المجال الفقهي، كيفية تقسيم ما يبقى من التركة بعد الفروض. فعند فقهاء أهل السنة يعطى الباقي للعصبة، وعند الامامية يرد الباقي الى أصحاب الفروض خلا الزوج والزوجة. وأنكروا الميراث بالعصبة، وذهبوا الى الميراث بأصحاب الفروض والقرابة دون فرق بين قرابة الرجال أو النساء، فكما يختص الابن المنفرد بالميراث كذلك تختص به البنت المنفردة.[٨٢]

ثم يأتي الخلاف حول الكفاءة في الزواج، حيث يعتبر الحنفية والشافعية والحنابلة فيها الاسلام والحرية والنسب والحرفة. وأما الشيعة فيكتفون بشرط الكفاءة في الدين (الاسلام) مستدلين بقوله تعالى "ان اكرمكم عند الله أتقاكم". وفاقا للمالكية الذين يذهبون نفس المذهب.

ويشترط أهل السنة الشهود في عقد الزواج، بينما يقول الشيعة باستحبابه، على العكس من الطلاق، حيث يشترط الشيعة حضور الشاهدين وجوبا، اعتمادا على قوله تعالى "واشهدوا ذوي عدل منكم". بينما يرى فقهاء أهل السنة أن الآية تفيد الندب لا الوجوب.

ويختلفون حول الطلاق بالثلاث الذي يعتبره السنة ثلاث طلقات بائنة، يجب على المرأة اذا أرادت العودة لزوجها أن تنكح زوجا غيره، وذلك تقليدا للخليفة عمر بن الخطاب الذي حكم باعتبار الطلاق بالثلاث ثلاثا، بينما يعتبر الفقه الشيعي الطلاق بالثلاث طلقة واحدة. وربما كان مستند السنة في ذلك الاجماع أو تقليد الصحابة والشيخين بالذات، ولذلك لم يناقش فقهاء السنة في هذا الحكم عبر التاريخ الا ما عرف من مناقشة ابن تيمية ورفضه لهذا الحكم.

ويختلف الشيعة والسنة حول الأذان والإقامة، حيث يضيف الشيعة اليوم عبارة (أشهد ان عليا ولي الله، أشهد أن عليا وأولاده المعصومين حجج الله) بعد الشهادتين، بعد أن كانوا يحرمون ذلك في الزمن الأول، ويتهمون المفوضة الغلاة بإضافتها الى الأذان، كما يقول الشيخ الصدوق في (من لا يحضره الفقيه) ولكنهم اليوم يقولون باستحباب ذكر (الشهادة الثالثة) لا على أنها جزء من الأذان أو الإقامة الشرعية، أو كما يقول السيد محسن الحكيم:" لا بأس بالاتيان بها في الأذان والإقامة. ان هذه العبارات الزائدة في هذه الأعصار كانت معدودة من شعائر الإيمان ورمزا الى التشيع، فتكون هذه الزيادات من هذه الجهة راجحة شرعا، بل انها قد تكون واجبة".[٨٣]

ويضيف الشيعة كذلك فقرة أخرى الى الأذان والإقامة هي (خير على العمل) ويقولون انها كانت موجودة في عهد النبي (ص) وان عمر بن الخطاب أسقطها من الأذان.

---

[٨٢] – الدكتور عبد القادر شن أر، الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص ٤٦٦ – ٤٦٨

[٨٣] - الحكيم، مستمسك العروة الوثقى، ج ٥ ص ٥٤٥

وهناك بالطبع مسائل جزئية تفصيلة في عدد من الأمور كالوضوء والصلاة والخمس والزكاة، ولكن موضوع "المتعة" أو الزواج المؤقت، ظل يشكل أكبر خلاف فقهي بين السنة والشيعة عبر التاريخ، فبينما يعتبر السنة حكم المتعة الوارد في القرآن الكريم منسوخا ومنهيا عنه نهيا مؤبدا في آخر حياة الرسول (ص) بعد تحليله عدة مرات وخاصة في أثناء الحروب والغزوات، يعتبر الشيعة الامامية الإثني عشرية زواج المتعة مباحا بنص القرآن الكريم وأحاديث الرسول وأئمة أهل البيت، ولا يعترفون بتحريم النبي له لا تحريما مؤقتا ولا نهائيا مؤبدا، ويقولون أن الصحابة كانوا يمارسون هذا النوع من الزواج الى أواخر عهد الخليفة عمر بن الخطاب، عندما نهى عنه في قضية معروفة، وقال:" متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرمهما متعة الحج ومتعة النساء". وان كثيرا من الصحابة رفضوا حكم عمر بهذا الشأن.

وقد قمت بدراسة لموضوع زواج المتعة، فوجدت أن السنة يعترفون بوجود آية في القرآن الكريم تحلله، وكذلك وجود أحاديث نبوية تؤيد ذلك وتجيز للصحابة فعله، ولكنهم يؤكدون كذلك تعدد النهي عنه، وهذا يستبطن تعدد التحليل. ونظرت الى أحاديث التحريم فوجدتها أخبار آحاد لا تقاوم ولا تنسخ القرآن الكريم ، وتوصلت الى أن السنة يعتمدون في تحريمهم لزواج المتعة على حجية الاجماع وتحريم عمر له، أكثر مما يعتمدون على أحاديث صحيحة ومتواترة بهذا الشأن. وهذا حسب مذهب بعض السنة في تقديم الاجماع على النصوص الأخرى، أو تقديم الأخبار على القرآن الكريم، بمعنى جواز تخصيص او نسخ القرآن بالحديث. (كما يقول أحمد بن حنبل).

ويمكن حل الخلاف الفقهي بين الشيعة والسنة بهذا الخصوص، إما باحترام كل فريق لاجتهاد الفريق الآخر، أو بالجمع بين المذهبين، وذلك بتحليل المتعة فقط في الحالات الطارئة الضرورية.

واعتقد أن من المفيد ان نعود هنا الى البحث الذي كتبته حول الموضوع وقدمته الى المؤتمر السنوي الخامس للجمعية الاجتماعية الاسلامية في بريطانيا سنة ٢٠٠٤ الذي انعقد تحت عنوان: (الفقه اليوم، المسلمون كأقلية). وهذا شطر منه:

الزواج المؤقت (المتعة)

وهو ما يعرف ايضا بزواج المتعة، الذي يشبه الزواج الدائم من حيث العقد والمهر والولي، ولكنه يختلف معه في تحديد مدة الزواج وعدم احتياجه الى الطلاق عند انتهاء المدة. كما انه يختلف في بعض الاحكام المتعلقة بالزواج كالنفقة والإرث والعدد والعدة.

أدلة الشيعة على تحليله

يعتمد الشيعة في قولهم بتحليل زواج المتعة على آية من القرآن الكريم وعلى السنة وأقوال بعض الصحابة، وينفون حصول الاجماع على تحريمه. أما الآية الكريمة فهي قوله تعالى: (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة من الله). النساء: ٢٤. وقد روي عن جماعة من الصحابة، منهم أبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، أنهم قرأوا: (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى فآتوهنّ أجورهنّ فريضة)، وفي ذلك تصريح بأن المراد به زواج المتعة ، وقد قال الرازي في تفسيره لهذه الآية:"إن المراد بهذه الآية حكم المتعة، وهي عبارة عن أن يستأجر الرجل المرأة بمال معلوم لأجل معيّن فيجامعها".

و أخرج البخاري في صحيحه (ج ٢ ص ١٧٦) عن عمران بن حصين أنه قال: (نزلت آية المتعة في كتاب الله، ففعلناها مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولم ينزل قرآن يحرّمها، ولم ينه عنها، حتى مات (صلى الله عليه وآله)، قال رجل برأيه ما شاء).

وأخرج مسلم في صحيحه (ج ٢ ص ١٠٢٤) عن أبي الزبير قال: (سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث).

و أخرج مسلم في صحيحه (ج ٦ ص ١١٩)، عن قيس قال: سمعت عبد الله يقول: كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ليس لنا نساء، فقلنا ألا نستخصي؟ فنهانا عن ذلك، ثم رخّص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل، ثم قرأ عبد الله (يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). المائدة: ٨٧.

وروى ايضا في كتاب النكاح، باب ٣ قائلا:

حدّثنا محمد بن بشار، حدّثنا محمد بن جعفر، حدّثنا شعبة عن عمرو بن دينار قال: سمعت الحسن بن محمد يحدّث عن جابر بن عبد الله وسلمة بن الأكوع، قالا: خرج علينا منادي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال: إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد أذن لكم أن تستمتعوا يعني متعة النساء

وحدّثني أميّة بن بسطام العيشي، حدّثنا يزيد (يعني ابن زُريع)، حدّثنا رَوح (يعني ابن القاسم) عن عمرو بن.. أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أتانا، فأذن لنا في المتعة.

وحدّثنا الحسن الحلواني. حدّثنا عبد الرزاق، أخبرنا ابن جريح، قال: قال عطاء: قدم جابر بن عبد الله معتمراً، فجئناه في منزله، فسأله القوم عن أشياء. فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأبي بكر وعمر ثم ذكروا المتعة.

و حدّثني محمد بن رافع، حدّثنا عبد الرزّاق، أخبرنا ابن جريح، أخبرني أبو الزبير، قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنّا نستمتع، بالقبضة من التمر والدقيق، الأيّام، على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأبي بكر، حتى نهى عنه عمر، في شأن عمرو بن حريث.

و حدّثنا حامد بن عمر البكراوي، حدّثنا عبد الواحد (يعني ابن زياد) عن عاصم، عن أبي نضرة، قال: كنت عند جابر بن عبد الله، فأتاه آتٍ فقال: ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين، فقال جابر: فعلناهما مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم نهانا عنهما عمر، فلم نعد لهما.

وحدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدّثنا يونس بن محمد، حدّثنا عبد الواحد بن زياد، حدّثنا أبو عميس عن إياس بن سلمة، عن أبيه، قال: رخّص رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، عام وطاس، في المتعة ثلاثاً، ثم نهى عنها.

وحدّثنا قتيبة بن سعيد، حدّثنا ليثٌ عن الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه سبرة، أنّه قال: أذن لنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالمتعة، فانطلقت أنا ورجل إلى امرأة من بني عامر، كأنها بكرة عيطاء.

وروى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (ج ١ ص ٥٢) ، عن أبي نضرة عن جابر قال: (تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومع أبي بكر، فلما ولي عمر خطب الناس فقال: إن كانتا – أي المتعتان– على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حلالاً، وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما) .

وبناء على الآية الكريمة غير المنسوخة وهذه الأحاديث النبوية التي يرويها السنة، وروايات أخرى لديهم عن أئمة أهل البيت يبيح الشيعة زواج المتعة، وينكرون ان يكون الرسول الأعظم قد حرمه تحريما مؤبدا، وينسبون النهي والتحريم الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، الذي اجتهد بعد حادثة عمرو بن حريث ، حيث قال: (متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما، متعة النساء ومتعة الحج). وان جملة: (وأنا أنهى عنهما وأعاقب عليهما) تدل على أن هاتين المتعتين كانتا حلالاً طيلة حياة النبي، وحياة الخليفة الأول أبي بكر، ولذلك فقد ذهب كثير من الصحابة إلى مشروعية المتعة، خلافاً لما ذهب إليه عمر، وأنكروا عليه نهيه عن المتعة، منهم الإمام علي (عليه السلام)[٨٤] وعبد الله بن عباس [٨٥] ، بل وعبد الله بن عمر[٨٦]، الذي كان يراجَع في موقفه المخالف

[٨٤] – روى الثعلبي والطبري في تفسيريهما لآية المتعة قول الإمام علي (عليه السلام) (لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلاّ شقيّ).

لموقف أبيه فيقول: سبحان الله، نقول لكم قال رسول الله وتقولون قال عمر. [87] اضافة الى عدد آخر من الصحابة مثل عمران بن حصين [88] ، وأبيّ بن كعب، وأسماء بنت أبي بكر[89] ، وجابر وابن مسعود، ومعاوية بن ابي سفيان[90] ، وعمرو بن حريث، وأبو سعيد وسلمة ابنا أمية بن خلف)، وبعض التابعين

---

[85] – روى ابن جريج وعمر بن دينار عن ابن عباس قوله (ما كانت المتعة إلاّ رحمة رحم الله بها أمة محمد، ولولا نهيه – أي عمر – عنها ما احتاج إلى الزنى إلاّ شفيّ)، قال ابن الأثير في البداية والنهاية عند مادة شفي بالفاء: أي إلاّ قليل من الناس، وكان ابن عباس يجاهر بإباحتها حتى في أيام عمر.

[86] – أخرج الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج ٢ ص ٩٥ أن عبد الله بن عمر سئل عن متعة النساء فقال: والله ما كنا على عهد رسول الله زانين ولا مسافحين.

[87] – في صحيح الترمذي أن ابن عمر عندما قال عن المتعة أنها حلال، قيل له: إن أباك نهى عنها، فقال: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، أنترك السنة ونتّبع قول أبي؟. ولعل قصد ابن عمر بكلمة (صنعها) أي أباحها.

[88] – ذكر الرازي عند تفسير آية المتعة، وأحمد في المسند: قول عمران بن حصين: أنزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى، وأمرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالمتعة وما نهانا عنها، ثم قال رجل برأيه ما شاء.

[89] – في مسند الطيالسي عن مسلم القرشي قال : دخلنا على اسماء بنت ابي بكر فسالناها عن متعة النساء فقالت : فعلناها على عهد النبي (ص) ، الحديث ١٦٣٧.

[90] – في المصنف لعبد الرزاق : ان معاوية بن ابي سفيان استمتع عند مقدمه الطائف على ثقيف بمولاة ابن الحضرمي يقال لها: معانة ، قال جابر: ثم ادركت معانة خلافة معاوية حية ، فكان معاوية يرسل اليها بجائزة كل عام حتى ماتت. المصنف لعبد الرزاق ٧: ٤٩٩، باب المتعة .

كمجاهد، وقتادة وشعبة وأبو ثابت [٩١]، وطاووس وعطاء، وسعيد بن جبير، وسائر فقهاء مكة ومنهم ابن جريج. ثم اختلفوا في نسخ هذه الإباحة، وفيما اذا كان النسخ من النبي الأعظم او من الخليفة عمر بن الخطاب، ولكنهم يقولون بأن التحريم لم يكن من الرسول الأعظم وانما هو بقرار او اجتهاد من الخليفة عمر بن الخطاب، ولا اجتهاد في مقابل النص.

ويقولون أيضا: بأنه لم يثبت نسخ الآية، ولا توجد أحاديث متواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله) بنسخها، حيث أن الروايات في هذا الباب لا تعدو أن تكون أخبار آحاد، وأخباراً ضعيفة السند متناقضة المتن، حيث تذهب إلى إباحتها وتحريمها عدة مرات، وفي مواطن متعددة، منها يوم خيبر، ومنها يوم الفتح، ومنها في غزوة تبوك، ومنها في حجة الوداع، أي أن حكم إباحة المتعة قد نسخ مرتين أو ثلاثة مراتٍ أو أكثر، وفوق ذلك فهي معارضة بالأحاديث الواردة عن أهل البيت (عليهم السلام)، ولو كان هناك فعلاً ناسخ لمشروعية المتعة، لاحتجّ به عمر، ولم يلجأ إلى الاجتهاد في مورد النص.

أدلة السنة على تحريم المتعة

يعترف المسلمون (السنة) بتحليل النبي الأكرم لزواج المتعة، ولكنهم يقولون انه كان لفترات قصيرة، وان النبي حرّمه عدة مرات في عدة مواطن ، وانه (ص) حرمه في أواخر أيام حياته تحريما مؤبدا، ونسخ حكم اباحته الأول .

قال الإمام النوويّ: الصواب المختار أن التحريم والإباحة كانا مرتين: فكانت حلالاً قبل خيبر، ثم حرمت يوم خيبر. ثم أبيحت يوم فتح مكّة، وهو يوم أوطاس، لاتصالهما. ثم حرمت يومئذ بعد ثلاثة أيام تحريماً مؤبداً إلى يوم القيامة. واستمر التحريم. وقال القاضي: واتفق العلماء على أن هذه المتعة كانت نكاحاً إلى أجل. لا ميراث فيها. وفراقها يحصل بانقضاء الأجل من غير طلاق. ووقع الإجماع بعد ذلك على تحريمها من جميع العلماء إلا الروافض.

---

[٩١] – تفسير الطبري ج ٥ ص ٩، أحكام القرآن للجصاص ج ٢ ص ١٧٨، تفسير أبي حيان ج ٣ ص ٢١٨، تفسير البغوي على هامش تفسير الخازن ج ١ ص ٤٢٣، تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٣٠ قال: قال الجمهور أنها نزلت في نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، تفسير الدر المنثور للسيوطي ج ٢ ص ١٤٠ وغيرهم كثير جداً.

ومن العلماء المعاصرين، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "اتفقت المذاهب الأربعة وجماهير الصحابة على أن زواج المتعة ونحوه حرام باطل" و " إن المراد بالاستمتاع في آية (فما استمتعتم).النساء: ٢٤ النكاح؛ لأنه هو المذكور في أول الآية وآخرها، حيث بُدِئت بقوله تعالى: (وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم).النساء:٢٢ وختمت بقوله سبحانه: (وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَات). النساء ٢٥، فدل على أن المراد بالاستمتاع هنا ما كان عن طريق النكاح، وليس المراد به المتعة المحرمة شرعًا. أما التعبير بالأجر: فإن المهر في النكاح يُسمَّى في اللغة أجرًا، لقوله تعالى:(فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوف).النساء:٢٥، أي مهورهن، وقوله سبحانه: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ).الأحزاب: ٥٠، أي مهورهن.

وأما الأمر بإيتاء الأجر بعد الاستمتاع، والمهر يؤخذ قبل الاستمتاع، فهذا على طريقة في اللغة من تقديم وتأخير، والتقدير: فآتوهن أجورهن إذا استمتعتم بهن، أي إذا أردتم الاستمتاع بهن، مثل قوله تعالى: (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ).الطلاق:١، أي إذا أردتم الطلاق، ومثل: (إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاة) المائدة:٦، أي إذا أردتم القيام إلى الصلاة.

وأما الإذن بالمتعة في السنة النبوية في بعض الغزوات، فكان للضرورة القاهرة في الحرب، وبسبب العُزْبة في حال السفر، ثم حرّمها الرسول – صلى الله عليه وسلم – تحريمًا أبديًّا إلى يوم القيامة، بدليل الأحاديث الكثيرة، منها:

١- "يا أيها الناس، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء، وإن الله قد حرّم ذلك يوم القيامة، فمن كان عنده منهن شيء، فليخلّ سبيله، ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئًا" .

٢ – قال سلمة بن الأكوع: "رخّص لنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في متعة النساء عام أوطاس ثلاثة أيام، ثم نهى عنها" .

٣ – قال سبرة بن معبد: "إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في حجة الوداع نهى عن نكاح المتعة" .

٤ – عن علي رضي الله عنه أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –نهى عن نكاح المتعة وعن لحوم الحمر الأهلية زمن خيبر .

وأما ابن عباس: فكان يجيز المتعة للمضطر فقط، روى عنه سعيد بن جبير أنه قال: سبحان الله، ما بهذا أفتيت، وإنما هي كالميتة لا تحل إلا للمضطر...

ومع ذلك فقد أنكر عليه الصحابة، مما يجعل رأيه شاذًّا تفرد به، فقد أنكر عليه علي رضي الله عنه قائلاً له: إنك امرؤ تائه ؛ لأن النبي — صلى الله عليه وسلم — نهى عن متعة النساء يوم خيبر وعن لحوم الحمر الإنسية، وأنكر عليه عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، روى مسلم عنه أنه قام بمكة

فقال: "إن أناسًا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة – يعرِّض برجل هو عبد الله بن عباس – فناداه ابن عباس، فقال له: إنك لجلف جاف، فلعمري، لقد كانت المتعة تفعل في عهد أمير المتقين – أي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال له ابن الزبير: فجرب نفسك، فوالله لو فعلتها لأرجمنك بأحجارك".

ثم نقل المحدثون عن ابن عباس أنه رجع عن قوله، روى الترمذي عنه أنه قال: "إنما كانت المتعة في أول الإسلام، كان الرجل يقدم البلدة ليس له فيها معرفة، فيتزوج المرأة بقدر ما يرى أنه يقيم، فتحفظ له متاعه، وتصلح له شأنه، حتى نزلت هذه الآية: "إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ).المؤمنون:٦، قال ابن عباس: فكل فرج سواهما حرام". وروى البيهقي أيضًا وأبو عوانة في صحيحه رجوع ابن عباس .

والقول برجوعه هو الأصح لدى كثير من العلماء، ويؤكده إجماع الصحابة على التحريم المؤبد، ومن المستبعد أن يخالفهم، روى الحازمي في الناسخ والمنسوخ من حديث جابر بن عبد الله قال: "خرجنا مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى غزوة تبوك، حتى إذا كنا عند العقبة مما يلي الشام، جاءت نسوة فذكرنا تمتعنا، وهن تطفن في رحالنا، فجاءنا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فنظر إليهن، وقال: من هؤلاء النسوة؟ فقلنا: يا رسول الله، نسوة تمتَّعنا منهن، قال: فغضب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى احمرَّت وجنتاه، وتمعَّر وجهه، وقام فينا خطيبًا، فحمد لله وأثنى عليه، ثم نهى عن المتعة، فتوادعنا يومئذ الرجال والنساء، ولم نَعُد، ولا نعود لها أبدًا، فبها سُمِّيت يومئذ: ثنية الوداع" .

وروى أبو عوانة عن ابن جريج أنه قال في البصرة، اشهدوا أني قد رجعت عن المتعة، بعد أن حدّثهم فيها ثمانية عشر حديثًا أنه لا بأس بها .

كل هذا يدل على نسخ إباحة المتعة، ولعل ابن عباس ومن وافقه من الصحابة والتابعين لم يبلغه الدليل الناسخ، فإذا ثبت النسخ وجب المصير إليه، أو يقال: إن إباحة المتعة كانت في مرتبة العفو التي لم يتعلق بها الحكم كالخمر قبل تحريمها، ثم ورد النص القاطع بالتحريم.

استدل الجمهور على تحريم نكاح المتعة بالقرآن والسنة والإجماع والمعقول:

١ – أما القرآن: فقوله تعالى: (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَهَّمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُون). المؤمنون:٥–٧، هذه الآية

حرمت الاستمتاع بالنساء إلا من طريقين: "الزواج وملك اليمين، وليست المتعة زواجًا صحيحًا، ولا ملك يمين، فتكون محرمة، ودليل أنها ليست زواجًا أنها ترتفع من غير طلاق، ولا نفقة فيها، ولا يثبت بها التوارث.

٢ – وأما السنة: فالأحاديث الكثيرة السابقة المتفق عليها التي ذكرتها عن علي وسَبْرة الجهني وسلمة بن الأكوع، وغيرهم رضي الله عنهم، والمتضمنة النهي الصريح عن نكاح المتعة عام خيبر، وبعد فتح مكة بخمسة عشر يومًا، وفي حجة الوداع.

٣ – وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة إلا الإمامية على الامتناع عن زواج المتعة، ولو كان جائزًا لأفتوا به، قال ابن المنذر: جاء عن الأوائل الرخصة فيها، أي في المتعة، ولا أعلم اليوم أحدًا يجيزها، إلا بعض الرافضة، ولا معنى لقول يخالف كتاب الله، وسنة رسوله، وقال القاضي عياض: ثم وقع الإجماع من جميع العلماء على تحريمها، إلا الروافض .

٤ – أما المعقول: فإن الزواج إنما شرع مؤبدًا لأغراض ومقاصد اجتماعية، مثل سكن النفس وإنجاب الأولاد وتكوين الأسرة، وليس في المتعة إلا قضاء الشهوة، بنحو مؤقت، فهو كالزنى تمامًا، فلا معنى لتحريمه مع إباحة المتعة.

وبه يتبين رجحان أدلة الجمهور، والقول بتحريم المتعة وبطلان زواجها وبطلان الزواج المؤقت، وهذا ما يتقبله المنطق وروح الشريعة، ولا يمكن لأي إنسان متجرد محايد إلا إنكار المتعة والامتناع عنها نهائيا. والله تعالى أعلم.[٩٢]

نوعية التحريم

ويتحدث الشيخ يوسف القرضاوي عن زواج المتعة، فيشير الى فلسفة الزواج المفقودة بنظره في زواج المتعة، والى اجازة النبي لهذا الأخير في السفر والغزوات ضمن اطار سياسة التدرج في التحريم، ثم تحريمه بعد ذلك، ولكن القرضاوي يتوقف ليتساءل عن نوعية ذلك التحريم : هل هو كتحريم الأمهات والبنات والأخوات؟ أم كتحريم الميتة ولحم الخنزير، الذي يرتفع عند الضرورة؟ فيقول:

---

[٩٢] - عن موقع الاسلام اون لاين

ان الزواج في الإسلام عقد متين وميثاق غليظ، يقوم على نية العشرة المؤبدة من الطرفين لتتحقق ثمرته النفسية التي ذكرها القرآن -من السكن النفسي والمودة والرحمة- وغايته النوعية العمرانية من استمرار التناسل وامتداد بقاء النوع الإنساني... أما زواج المتعة فلا يتحقق فيه المعنى الذي أشرنا إليه. وقد أجازه الرسول صلى الله عليه وسلم قبل أن يستقر التشريع في الإسلام. أجازه في السفر والغزوات، ثم نهى عنه وحرمه على التأبيد.

وكان السر في إباحته أولا أن القوم كانوا في مرحلة يصح أن نسميها (فترة انتقال) من الجاهلية إلى الإسلام؛ وكان الزنى في الجاهلية ميسرا منتشرا. فلما كان الإسلام، واقتضاهم أن يسافروا للغزو والجهاد شق عليهم البعد عن نسائهم مشقة شديدة، وكانوا بين أقوياء الإيمان وضعفاء؛ فأما الضعفاء، فخيف عليهم أن يتورطوا في الزنى، أقبح به فاحشة وساء سبيلا. وأما الأقوياء فعزموا على أن يخصوا أنفسهم أو يجبوا مذاكيرهم كما قال ابن مسعود ...وبهذا كانت إباحة المتعة رخصة لحل مشكلة الفريقين من الضعفاء والأقوياء، وخطوة في سير التشريع إلى الحياة الزوجية الكاملة، التي تتحقق فيها كل أغراض الزواج من إحصان واستقرار وتناسل، ومودة ورحمة، واتساع دائرة العشيرة بالمصاهرة.

وكما تدرج القرآن بهم في تحريم الخمر وتحريم الربا -وقد كان لهما انتشار وسلطان في الجاهلية- تدرج النبي صلى الله عليه وسلم بهم كذلك في تحريم الفروج. فأجاز عند الضرورة المتعة ثم حرم النبي صلى الله عليه وسلم هذا النوع من الزواج. كما روى ذلك عنه علي، وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم. ومن ذلك ما أخرجه مسلم في (صحيحه) عن سبرة الجهني "أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة، فأذن لهم في متعة النساء. قال: فلم يخرج حتى حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم"، وفي لفظ من حديثه: "وإن الله حرم ذلك إلى يوم القيامة".

ولكن هل هذا التحريم بات كزواج الأمهات والبنات أو هو تحريم مثل تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير، فيباح عند الضرورة وخوف العنت؟

الذي رآه عامة الصحابة أنه تحريم بات حاسما لا رخصة فيه بعد استقرار التشريع. وخالفهم ابن عباس فرأى أنها تباح للضرورة. فقد سأله سائل عن متعة النساء فرخص له فقال له مولى له: إنما ذلك في الحال الشديد، وفي النساء قلة أو نحوه؟ قال ابن عباس: نعم.

ثم لما تبين لابن عباس رضي الله عنه أن الناس توسعوا فيها ولم يقتصروا على موضع الضرورة، أمسك عن فتياه ورجع عنها. والله أعلم.

الإباحة عند الضرورة

واذا صدقنا أدلة النهي "السنية" وحاولنا ان نجمع بينها وبين أدلة التحليل "الشيعية"، فاننا يمكن ان نصل الى رأي وسطي جديد لا نقول فيه بالتحليل المطلق كما يقول الشيعة ولا بالتحريم المطلق كما يقول السنة، وانما بالتحليل عند الضرورة وعند حصول العنت والمشقة الكبيرة.

وذلك لثبوت نزول الآية الكريمة رقم ٢٤ من سورة النساء (فما استمتعتم به منهنّ فآتوهنّ أجورهنّ فريضة من الله) في موضوع زواج المتعة، وليس في مطلق الزواج، كما روي عن جماعة من الصحابة، منهم أبي بن كعب، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، أنهم قرأوا: (فما استمتعتم به منهنّ إلى أجل مسمى فآتوهنّ أجورهنّ فريضة)، وفي ذلك تصريح بأن المراد به زواج المتعة ، وقد قال الرازي في تفسيره لهذه الآية: إن المراد بهذه الآية حكم المتعة. وأيدت ذلك الأحاديث النبوية التي أحلت المتعة، ولا يمكن رفع اليد عن تلك الآية وتلك الأحاديث المصرحة بالجواز الا بنسخ من القرآن الكريم او من السنة الثابتة المتواترة، وهذا ما لا يوجد ، اذ لا توجد آية ناسخة لها [٩٣] ، ولا توجد أحاديث متواترة تؤكد التحريم

---

[٩٣] – ١ – روى عبد الرزاق في مصنفه عن عطاء: ان ابن عباس كان يقرا:فمااستمتعتم به منهن – الى اجل – فتوهن اجورهن (المصنف ٧: ٤٩٧ و٤٩٨، باب المتعة ، تاليف عبد الرزاق بن همام الصنعاني مولى حمير،(١٢٦ . ٢١١ ه) طبعة ١٣٩٠ . ١٣٩٢ ه، من منشورات المجمع العلمي ببيروت ، اخرج حديثه اصحاب الصحاح الستة ، راجع ترجمته في الجمع بين رجال الصحيحين وتقريب التهذيب ، وراجع بداية المجتهد لابن رشد ٢: ٦٣) .

٢ – في تفسير الطبري عن حبيب بن ابي ثابت قال : اعطاني ابن عباس مصحفا فقال : هذا على قراءة ابي قال : وفيه فما استمتعتم به منهن – الى اجل مسمى .

٣ – في تفسير الطبري عن ابي نضرة بطريقين ، قال : سالت ابن عباس عن متعة النساء، قال : اما تقرا سورة النساء قال : قلت : بلى .قال : فما تقرا فيها فمااستمتعتم به منهن الى اجل مسمى ؟ قلت : لوقراتها كذلك ما سالتك قال : فانها كذلك .

٤ – عن ابي نضرة قال : قرات هذه الاية على ابن عباس فمااستمتعتم به منهن قال ابن عباس الى اجل مسمى قال : قلت : مااقراها كذلك . قال : واللّه لانزلها اللّه كذلك . ثلاث مرات .

٥ – عن عمير وابي اسحاق ان ابن عباس قرا: فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى .

٦ – عن مجاهد: فما استمتعتم به منهن قال : يعني نكاح المتعة .

٧ – عن عمرو بن مرة ، انه سمع سعيد بن جبير يقرا: فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى .

٨ – عن قتادة قال : في قراءة ابي بن كعب : فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى .

٩ – عن شعبة عن الحكم قال سالته عن هذه الاية امنسوخة هي ؟قال : لا .

١٠ – وفي احكام القرآن للجصاص ايضا جاءت رواية ابي نضروابي ثابت عن ابن عباس وحديث قراءة ابي بن كعب.

١١ – روى البيهقي في سننه الكبرى عن محمد بن كعب ان ابن عباس قال : كانت المتعة في اول الاسلام وكانوا يقراون هذه الاية فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى .

المؤبد، اذ قد اختلف كبار الصحابة حولها وأصر بعضهم الى وقت متأخر على تحليلها، ورواية الامام علي بنهي النبي عنها في خيبر لا تفيد التأبيد، لأن النبي (ص) قد أحلها بعد ذلك في فتح مكة وفي حجة الوداع او ثنية الوداع، وان روايات النهي المتكرر الواردة حول الموضوع تفيد اصل الاباحة ولكن عند الضرورة وليس في الحالات الطبيعية، وهذا ما يفسر استمرار بعض الصحابة بالعمل بها وعدم سماعهم لقرار التحريم المؤبد من النبي الأكرم. وربما نستطيع ان نحمل نهي الخليفة عمر بن الخطاب عن زواج المتعة اعتمادا على انتفاء الحالات الضرورية[٩٤] ، او خوفا من عدم التزام الناس بشروطها كالاشهاد[٩٥] ، وليس تشريعا بالتحريم المؤبد ونفيا لأصل التحليل، ولذلك فقد قال : " إن كانتا – أي المتعتان– على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حلالاً، وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما" كما يروي

---

١٢ – وفي شرح النووي على صحيح مسلم : وفي قراءة ابن مسعودفمااستمتعتم به منهن الى اجل ....

١٣ – وفي تفسير الزمخشري : وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام ... وقال : سميت متعة لاستمتاعه بها. وقال : وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ ، وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى .

١٤ – قال القرطبي : وقال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الاسلام ، وقرا ابن عباس وابي وابن جبير فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فتوهن اجورهن .

١٥ – وفي تفسير ابن كثير: وكان ابن عباس وابي بن كعب وسعيدبن جبير والسدي يقراون فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى فتوهن اجورهن فريضة وقال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة .

١٦ – وفي تفسير السيوطي حديث ابي ثابت وابي نضرة ورواية قتادة وسعيد بن جبير قراءة ابي ، وحديث مجاهد والسدي ، وعطاءعن ابن عباس ، وحديث الحكم ان الاية غير منسوخة ، وعن عطاءعن ابن عباس انه قال : وهي التي في سورة النساء: فما استمتعتم به منهن الى كذا وكذا من الاجل على كذا وكذا قال : وليس بينهما وراثة فان بدا لهما ان يتراضيا بعد الاجل فنعم ، وان تفرقا فنعم ....

[٩٤] – فقد روى الطبري في سيرة عمر ، عن عمران بن سوادة انه استاذن ودخل دار الخليفة ثم قال : نصيحة : فقال : مرحبا بالناصح غدوا وعشيا.

قال : عابت امتك منك اربعا.

قال : فوضع راس درته تحت ذقنه ووضع اسفلها على فخذه ، ثم قال :هات...

قال : ذكروا انك حرمت متعة النساء وقد كانت رخصة من اللّه نستمتع بقبضة ونفارق عن ثلاث .

قال : ان رسول اللّه (ص) احلها في زمان ضرورة ثم رجع الناس الى سعة ثم لم اعلم احدا من المسلمين عمل بها ولا عاد اليها، فالان من شاء نكح بقبضة وفارق عن ثلاث بطلاق وقد اصبت .. الطبري ٥: ٣٢، في باب شي ء من سيره مما لم يمض ذكرها من حوادث سنة ٢٣

[٩٥] – يقول ابن حزم في المحلى: انه انما انكرها : عن عمر بن الخطاب اذا لم يشهد عليها عدلان فقط واباحها بشهادة عدلين . المحلى لابن حزم ٩: ٥١٩ . ٥٢٠، المسالة ١٨٥٤.

الامام أحمد بن حنبل في مسنده (ج١ ص ٥٢)[٩٦] بينما كان تمسك بعض الصحابة بالتحليل تمسكا بأصل الاباحة، ولو كان ثمة تحريم قاطع من النبي لما خفي على ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وبقية الصحابة ولا حتى على الخليفة عمر نفسه الى أواخر عهده حين حرمها. وربما كان هذا ما يفسر قول ابن عباس لسعيد بن جبير: أنها كالميتة لا تحل الا للمضطر.[٩٧]

ان رواية الترمذي عن ابن عباس انه تراجع عن القول بالمتعة بعد نزول آية : "إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ).المؤمنون: ٦، وقوله : فكل فرج سواهما حرام"، لا تنسجم مع اصراره على القول بها في أيام عبد الله بن الزبير ، عندما قام بمكة فقال: "إن أناسًا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة — يعرِّض برجل هو عبد الله بن عباس — فناداه ابن عباس، فقال له: إنك لجلف جاف، فلعمري، لقد كانت المتعة تفعل في عهد أمير المتقين — أي رسول الله — صلى الله عليه وسلم – فقال له ابن الزبير: فجرب نفسك، فوالله لو فعلتها لأرجمنك بأحجارك". كما روى ذلك مسلم. ورغم نقل بعض المحدثين لتراجع ابن عباس عندئذ، فانه لا يفيد تراجعه عن رأيه وانما التزامه بموقف ابن الزبير تحت التهديد.

وكذلك لا يفيد تراجع ابن جريج في البصرة بعد ان حدث فيها بثمانية عشر حديثا أنه لا بأس بها.

وأما الاجماع على تحريم المتعة، فليس بحجة لأنه اجماع متأخر لدى أهل السنة فقط ولم يتفق معهم الشيعة الجعفرية ، ولم يحدث في زمن الصحابة الذين كانوا يختلفون حولها بوضوح[٩٨] .

---

[٩٦] – تواتر عن الخليفة عمر قوله : متعتان كانتا على عهد رسول وانا انهى عنهما واعاقب عليهما، متعة الحج ومتعة النساء. تفسير القرطبي ٢: ٣٨٨. وتفسير الفخر الرازي ٢: ١٦٧، و٣: ٢٠١ و٢٠٢. وكنز العمال ٨:٢٩٣ و٢٩٤. والبيان والتبيين للجاحظ ٢: ٢٢٣.

[٩٧] – تمتع سعيد بن جبير في مكة – المصنف لعبد الرزاق ٧: ٤٩٦.

[٩٨] – ففي المصنف لعبدالرزاق : ان عليا قال بالكوفة لولا ما سبق من راي عمربن الخطاب – او قال : راي عمر بن الخطاب – لامرت بالمتعة ثم مازنى الا شقي . المصنف لعبد الرزاق ٧ : ٥٠٠، اللفظ في كتب التفسير والحديث (الا شقي) وفي مادة شفى من نهاية اللغة (الا شفي) اي الا قليل من الناس من قولهم : غابت الشمس الا شفي اي : (الاقليلامن ضوئها عند غروبها).

وفي تفسير الطبري والنيشابوري والفخر الرازي وابي حيان والسيوطي واللفظ للاول : لولا ان عمر نهى عن المتعة ما زنى الاشقي . تفسير الطبري ٥ : ٩. والنيشابوري بهامش تفسير الطبري ٥: ١٧. والنيشابوري ٥: ١٦ في تفسيره . والفخر الرازي في تفسير الاية بتفسيره الكبير ٣: ٢٠٠. وتفسير ابي حيان ٣:٢١٨.والدر المنثور للسيوطي ٢: ٤٠.

واذا كان هناك شك في تحريمها تحريما مؤبدا، من قبل الله تعالى او الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) [99] ، فانها على الأقل تبقى محللة في حالات الضرورة والعنت والعسر، ولعل تساؤل الشيخ

وفي تفسير القرطبي : قال ابن عباس : ما كانت المتعة الا رحمة من اللّه تعالى ، رحم بها عباده ، ولولا نهي عمر عنها ما زنى الاشقي . تفسير القرطبي ٥: ١٣٠.

و قال ابن حزم في المحلى : قد ثبت على تحليلها بعد رسول اللّه جماعة من السلف (رض) منهم من الصحابة اسماء بنت ابي بكر،وجابر بن عبد اللّه ، وابن مسعود وابن عباس ، ومعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن حريث وابو سعيد الخدري وسلمة ومعبد ابنا امية بن خلف ، ورواه جابر عن جميع الصحابة مدة رسول اللّه ومدة ابي بكروعمر الى قرب آخر خلافة عمر. المحلى لابن حزم ٩: ٥١٩ . ٥٢٠، المسالة ١٨٥٤.

[99] – لأن المتعة ظلت تمارس من قبل المسلمين في عهد ابي بكر وعمر الى اواخر ايامه حين نهى عنها. ففي صحيح مسلم ، والمصنف لعبد الرزاق ، ومسند احمد، وسنن البيهقي ، وغيرها واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد اللّه قال : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق ، الايام ، على عهد رسول اللّه (ص)وابي بكر، حتى نهى عنه عمر، في شان عمرو بن حريث . . صحيح مسلم : ١٠٢٣ ، باب نكاح المتعة ، الحديث ١٤٠٥. وبشرح النووي ٩: ١٨٣.والمصنف لعبد الرزاق ٧: ٥٠٠، وفي لفظه ايام عهد النبي . وسنن البيهقي ٧: ٢٣٧، باب ما يجوز ان يكون مهرا. ومسند احمد ٣: ٣٠٤. وفي لفظه حتى نهانا عمر اخيرا... وذكره موجزا صاحب تهذيب التهذيب بترجمة موسى بن مسلم ١٠: ٣٧١. وفتح الباري ١١: ٧٦. وزاد المعاد لابن القيم ١: ٢٠٥. وراجع كنز العمال ٨: ٢٩٣.

وفي لفظ المصنف لعبد الرزاق عن عطاء عن جابر: استمتعنا على عهد رسول اللّه (ص) وابي بكر وعمر حتى اذا كان في آخر خلافة عمر استمتع عمرو بن حريث بامراة – سماها جابر فنسيتها –فحملت المراة فبلغ ذلك عمر فدعاها فسالها، فقالت : نعم . قال : من اشهد؟ قال عطاء: لا ادري قالت : امي ، ام وليها، قال : فهلا غيرهما،قال : خشي ان يكونا دغلا... المصنف لعبد الرزاق ٧: ٤٩٦ . ٤٩٧، باب المتعة .

وفي رواية اخرى عن محمد بن الاسود بن خلف : ان عمرو بن حوشب استمتع بجارية بكر من بني عامر بن لؤي : فحملت ، فذكر ذلك لعمر فسالها، فقالت : استمتع منها عمرو بن حوشب ، فساله فاعترف ، فقال عمر: من اشهدت ؟ – قال – لا ادري اقال : امها او اختها او اخاها وامها، فقام عمر على المنبر، فقال : ما بال رجال يعملون بالمتعة ولايشهدون عدولا ولم يبينها الا حددته ، قال : اخبرني هذاالقول عن عمر من كان تحت منبره ، سمعه حين يقوله ، قال : فتلقاه الناس منه.

وفي كنز العمال : عن ام عبد اللّه ابنة ابي خيثمة ان رجلا قدم من الشام فنزل عليها فقال : ان العزبة قد اشتدت علي فابغيني امراة اتمتع معها قالت : فدللته على امراة فشارطها واشهدوا على ذلك عدولا فمكث معها ما شاء اللّه ان يمكث ثم انه خرج ، فاخبر بذلك عمر بن الخطاب ، فارسل الي فسالني احق ما حدثت ؟ قلت : نعم، قال : فاذا قدم فذنيني به، فلما قدم اخبرته فارسل اليه ، فقال : ما حملك على الذي فعلته ؟ قال : فعلته مع رسول اللّه (ص) ثم لم ينهنا عنه حتى قبضه اللّه ، ثم مع ابي بكر فلم ينهنا حتى قبضه اللّه ، ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهيا ، فقال عمر: اما والذي نفسي بيده لو كنت تقدمت في نهي لرجمتك ، بينوا حتى يعرف النكاح من السفاح .

القرضاوي عن نوعية التحريم هل هو تحريم مؤبد كتحريم الأم والبنت والأخت؟ أم كتحريم الميتة ولحم الخنزير الذي يرتفع في حالات الضرورة ، يلقي بعض الضوء على هذا الحل الاستثنائي المؤقت، ويدفع بالباحثين والفقهاء لدراسة الموضوع بجدية أكبر ، بعيدا عن صخب الجدالات الطائفية القديمة.

أحاديث صحيحة حول زواج المتعة

البخاري حديث رقم ١٤٦٩
حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا همام عن قتادة قال حدثني مطرف عن عمران رضي الله عنه قال تمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن قال رجل برأيه ما شاء.

حديث رقم ٤١٥٦
حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عمران أبي بكر حدثنا أبو رجاء عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينزل قرآن يحرمه ولم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء.

حديث رقم ٤٢٤٩
حدثنا عمرو بن عون حدثنا خالد عن إسماعيل عن قيس عن عبد الله رضي الله عنه قال كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم وليس معنا نساء فقلنا ألا نختصي فنهانا عن ذلك فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب ثم قرأ : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم).

مسلم حديث رقم ٢٤٩٧
حدثني محمد بن رافع حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير قال سمعت جابر بن عبد الله يقولا: كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث.

حديث رقم ٢٤٩٦

و حدثنا الحسن الحلواني حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر.

حديث رقم ٢١٣٥
حدثنا محمد بن المثنى وابن بشار قال ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن أبي نضرة قال:كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها قال فذكرت ذلك لجابر بن عبد الله فقال على يدي دار الحديث تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قام عمر قال إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء وإن القرآن قد نزل منازله فأتموا الحج والعمرة لله كما أمركم الله وأبتوا نكاح هذه النساء، فلن أوتى برجل نكح امرأة الى أجل الا رجمته بالحجارة.

مسند أحمد، مسند علي بن ابي طالب، حديث رقم ٧١٧
حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن قتادة قال قال عبد الله بن شقيق كان عثمان رضي الله عنه ينهى عن المتعة وعلي رضي الله عنه يأمر بها فقال عثمان لعلي إنك كذا وكذا ثم قال علي رضي الله عنه لقد علمت أنا قد تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أجل ولكنا كنا خائفين.

الباب الثاني: خلاف التاريخ والسياسة

الفصل الأول: التاريخ

المبحث الأول: الموقف من الصحابة:

شكلت قضية الموقف من الصحابة، والغلو أو التقصير بحقهم، مادة للجدل والخلاف بين الشيعة والسنة عبر التاريخ. رغم أنها مشكلة أعمق من النزاع بين الطائفتين، إذ أن الموقف من الصحابة مسألة منهجية قائمة بذاتها وتعود الى مسألة القيم والأخلاق والمثل العليا الواردة في القرآن الكريم ومدى

تطابقها مع حياة الصحابة، أي الى مسألة النظرية والتطبيق، وقد تناولها المسلمون من السنة والشيعة ولا يزال المفكرون من كلتا الطائفتين يتناولونها بعيدا عن الخلاف الطائفي وانطلاقا من قراءة التاريخ بصورة محايدة . ومع أنها مسألة تاريخية عادية الا انها وصلت أحيانا الى مستوى العقيدة التي تفصل بين الناس فتُدخل هذا في الدين أو تخرجه منه لتلقيه في النار. في الوقت الذي لم تكن هذه القضية تحتل أهمية كبرى لدى الصحابة أنفسهم وفي عصرهم. فضلا عن أن تشكل جزءا من العقيدة الاسلامية.

احتل صحابة رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم) دور الوسيط الناقل للرسالة الاسلامية ولتراث الرسول الأعظم للأجيال اللاحقة عبر الزمان والمكان، وشكلوا المثال الأعلى للأمة الاسلامية التي ظلت تستلهم الكثير من الأمور والملامح الأخلاقية من أشخاصهم الكريمة وتجاربهم الغنية، باعتبارهم الجيل المثالي الأول الذي عاصر الرسالة وساهم في تأسيس الأمة الاسلامية. وقد استحق الصحابة لعظم جهادهم أن يمدحهم الله تعالى في كتابه الكريم في أكثر من موضع حيث قال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) آل عمران ١١٠ وقال تعالى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رض الله عنهم ورضوا عنه وأعد هم جنات تجرى تحتها الأنهار خالدين فيها أبدأ ذلك الفوز العظيم). التوبة ١٠٠ وقال أيضا: (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا) الفتح ١٨ وفى الآية التاسعة والعشرين من السورة نفسها قال تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء عل الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين أمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرأ عظيما) الفتح ٢٩.

ولكن مع الأسف الشديد، ونظرا للفتنة الكبرى التي حدثت في أيامهم، فقد أصبح الصحابة الكرام مجالا للجدل والتشكيك والغلو والتجريح، وظهر في التاريخ من يهاجمهم بقسوة ومن يدافع عنهم بتطرف، حتى أصبح الحديث عنهم أو اتخاذ الموقف منهم سلباً أو إيجابا، بحد ذاته، موضوعا عقديا مهما يوازي أركان الدين ، ويلعب دورا في تقسيم المجتمع وتشكيل هوية الطوائف الثقافية والدينية. ولذا فان من المهم جدا بحث موضوع الموقف من الصحابة الكرام لدى السنة والشيعة بكل صراحة وتفصيل ووضع النقاط على الحروف، تمهيدا للتخلص من هذا الكابوس الثقيل، والتخلص من رواسب الماضي، خاصة بعد أن أصبح موضوع الخلاف بين "السنة" و"الشيعة" نفسه موضوعا تاريخيا لا معنى معاصرَ له.

لقد كان الخلاف حول الصحابة بين المسلمين، ثمرة مرّة من ثمار الفتنة الكبرى التي عصفت بجيل الصحابة أنفسهم، وقد حاول الصحابة أنفسهم تجاوز الفتنة والصلح فيما بينهم، ولكن ذيول الفتنة استمرت فيما بعدهم.. واستمرت.. واستمرت الى اليوم، ونرجو من الله العلي القدير ان يهب المسلمين الحكمة الكافية للملمة ما تبقى من ذيول تلك الفتنة، والتخلص منها، ورأب الصدع فيما بينهم.

ولكي نفهم مشكلة الموقف من الصحابة بشكل جيد لا بد من دراسة ظروف نشوئها التاريخية بدقة، وكيف تضخمت لتصبح موضوعا عقديا؟ ومن صنع ذلك؟ ولماذا؟

لم يكن الصحابة الكرام ملائكة معصومين ولا أشرارا، والعياذ بالله، ولكنهم كانوا فتية آمنوا بالله ورسوله ونصروا دينه وتحملوا في سبيل ذلك العذاب، وكانوا في نفس الوقت بشرا لهم مصالحهم وأهواؤهم واجتهاداتهم الخاصة وأخطاؤهم، وكان فيهم المؤمنون والمنافقون، وربما كان المؤمنون منهم أيضا يتفاوتون في الفضل ودرجات الإيمان، التي لا يعلمها الا الله، وقد ترسخت مكانتهم بسبب إيمانهم وتضحياتهم وعملهم الصالحات وتجنبهم المعاصي والذنوب. ورغم وضوح هذه الحقيقة القرآنية الا أن هناك من اعتقد أويعتقد أن الصحابة احتلوا مكانتهم العليا بسبب رؤيتهم للرسول الأكرم ومصاحبتهم له ولو لساعة، مهما اقترفوا بعد ذلك من الذنوب والمعاصي، وانهم مغفور لهم بالتأكيد. وبناء على ذلك فقد حرموا توجيه أي نقد لعموم الصحابة أو اتخاذ أي موقف سلبي من أي واحد منهم، واعتبار ذلك كفرا وزندقة وإلحادا.

واذا كان السب مرفوضا لأي انسان يختلف معنا في الرأي، فان من الطبيعي ان يكون سب أو لعن أي صحابي جليل، مهما كان، مرفوضا بشدة، ولكن ذلك لا يمنع من قراءة التاريخ بأمانة وتحليل الأحداث التي وقعت بين الصحابة وأخذ العبرة منها، وتعظيم الانجازات الرائعة والبطولات الباهرة التي قام بها الصحابة الكرام، وتجنب الأخطاء التي وقع فيها البعض منهم، فنحن مأمورون باتباع الدين الاسلامي والعمل الصالح والاقتداء بسنة سيد المرسلين ومن يتبعه بإحسان الى يوم الدين.

ان المشكلة في مسألة الصحابة تنبع من المتطرفين من السنة والشيعة، وقيام بعض هؤلاء بالتهجم على خيار الصحابة، وقيام بعض أولئك بالدفاع حتى عن السيئين منهم. هذا اذا كانوا يعترفون بوجود سيئين أو منافقين فيهم. ولو كان الطرفان يتفقان على وجود قاسم مشترك يميز بين الصالحين والطالحين، لما كانت هنالك حاجة للحديث عن الموضوع، ولما كانت هنالك أية إثارة أو توتر حول هذا الموضوع.

ومن أجل أن نضع النقاط على الحروف، لا بد ان نستعرض أولاً النظرية الإسلامية الأولى حول الصحابة، ثم نستعرض النظريتين السنية والشيعية، ونبين نقاط الالتقاء والاختلاف بينهما، أو نقاط الاعتدال والتطرف لدى الفريقين، أملا في الوصول الى نظرة مشتركة ومعتدلة توحد بين المسلمين وتزيل ما بينهم من خلافات وأحقاد.

١ – النظرية الاسلامية الأولى

لكي نعرف المقياس الاسلامي حول منبع العظمة والجدارة للصحابة وغيرهم، يجدر بنا العودة الى القرآن الكريم الذي نراه يربط الدرجة العليا لأي انسان بالعمل الصالح حتى لو كان من أقرب المقربين للرسول الأعظم، او النبي نفسه، حيث يقول:" وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ". الزمر ٦٥ ، و"وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً *إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً". الاسراء ٧٤ – ٧٥، ويقول الله عز وجل متحدثا عن نبيه الكريم:"وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ". الحاقة ٤٤ – ٤٧ ويأمر الله تعالى نبيه الكريم:" قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم". وقد وردت هذه الآية مرتين في سورة الأنعام آية ١٥ والزمر آية ١٣، وتأكيدا لهذا المفهوم يقول النبي الأكرم (ص) نفسه:"إنه لا ينجي إلا عمل مع رحمة. ولو عصيت لهويت".

إذن فان قيمة أي انسان في المقياس الاسلامي، حتى بالنسبة للأنبياء، تأتي من الإيمان بالله تعالى والعمل الصالح، ولا تأتي من الصحبة أو القرب من الأنبياء أو الفراعنة، فقد قال تعالى:"ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا، وقيل ادخلا النار مع الداخلين، وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابنِ لي عندك بيتا في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين". التحريم ١٠ ١١

وبناء على هذا الأساس يخاطب الله تعالى نساء النبي وهن أقرب الناس اليه:" يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين، وأعتدنا لها رزقا كريما" الأحزاب ٣– ٣١

أي إن منزلة أهل البيت، وخاصة نساء النبي، فضلا عن الصحابة، ليست نابعة من قربهم أو صحبتهم للنبي، وانما من طاعة الله والعمل الصالح، بل ان معصية أهل البيت لله تعالى تستوجب مضاعفة العذاب، لقرب أهل البيت من النبي وسقوط العذر عنهم. وكذلك فان منزلة الصحابة تأتي من أعمالهم الصالحة وطاعة الله، وربما يمكن القول أيضا:ان معصيتهم لله تستوجب مضاعفة العذاب لهم. ولا توجد حصانة خاصة لهم، أو هالة مقدسة تمنعهم من الخطأ أو مواجهة العذاب. وبهذا يتضح أن ما

يوجد لدى "أهل السنة" من أحاديث أو تأويلات واجتهادات هي ضعيفة ومناقضة للقرآن الكريم، وتأخذ جانب العموم دون أن تلحظ الآيات الأخرى المخصصة.

ميزان العمل الصالح

يؤكد الله تعالى على ميزان العمل الصالح الى جانب الإيمان به وباليوم الآخر، في أكثر من خمسين آية في القرآن الكريم، مثل:

١- ان الذين امنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون .البقرة ٢٧٧
٢- فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا . النساء ١٧٣
٣- وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون .النور ٥٥

وهي آيات عامة ومطلقة تشمل الصحابة وغيرهم، فكيف يلغي الله تعالى هذا الميزان المهم في جيل الصحابة لمجرد انهم شاهدوا الرسول او استمعوا اليه دون ان يعملوا بالاسلام أو يحترموا تعاليم الله؟ بل ان هنالك آيات تصرح باستحالة مساواة الله تعالى للمؤمنين العاملين صالحا بالمفسدين والفجار والمسيئين، مثل هذه الآيات:

٤ – أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض، أم نجعل المتقين كالفجار. ص، ٢٨

٥ – وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون. غافر ٥٨

٦ – ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. النساء ٩٣

وفي هذه الآية الأخيرة يؤكد الله عز وجل على معاقبة القاتل المتعمد ومجازاته بجهنم وتخليده فيها وغضبه عليه ولعنه وإعداد العذاب له، دون أن يستثني الصحابة من ذلك، لأن قانون الله للجميع، وإذا كان للصحابة من شرف فهو شرف الإيمان والطاعة والتضحية والتقوى والنصرة.

وهذا يقودنا الى حديث الإيمان والمؤمنين والنفاق والمنافقين في جيل الصحابة، فهل كل من رأى النبي آمن به بصورة سحرية؟ وهل كل من آمن به علنا آمن به في الواقع؟ وهل كل من آمن به في الواقع ظل محافظا على إيمانه الى آخر يوم من حياته؟ وهل كل من حافظ على إيمانه ظل محافظا على مستوى إيمانه عاليا الى آخر لحظة من حياته؟

لقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ان من هاجر الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله، ومن هاجر من أجل امرأة يصيبها أو دنيا فهجرته الى ما هاجر اليه. وقال أيضا:"ما ذئبان ضاريان أرسلا في زريبة غنم بأشد ضررا على دين الرجل المسلم من حب المال وحب الجاه".

وهناك شهيد معروف بشهيد الحمار أو شهيد أم عمرو، مما يعني تعرض الصحابة الى امتحان الدنيا وخاصة الزعامة، التي تبعدهم عن التقوى والاخلاص والعمل الصالح، وقد تقلب إيمانهم الى نفاق وتؤدي بهم الى الردة.

وقد كان بعض أصحاب رسول الله المعنيين بأمر المنافقين، كحذيفة بن اليمان رضي الله عنه، يلاحظون تزايد النفاق بعد وفاة رسول الله، نتيجة الإقبال على الدنيا، ولذا كان حذيفة يقول :"إن المنافقين اليوم شر منهم على عهد رسول الله(صلى الله عليه وسلم)، كانوا يومئذٍ يسِرون، واليوم يجهرون". ويقول أيضا: "إنما كان النفاق على عهد النبي (صلى الله عليه وسلم) فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان". ويخاطب المسلمين محذراً:"إنكم اليوم معشر العرب لتأتون أموراً إنها لفي عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) النفاق على وجهه". [١٠٠]

ومن هنا يحذر الله تعالى أصحاب النبي ، من الوقوع في الفتنة والانقلاب والردة، ويتوعد المنقلبين منهم بالعذاب والخسران، حيث يقول عز وجل:"مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنْ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ". آل عمران ١٧٩، ويقول مخاطبا الجيل الأول من المسلمين، في أعقاب معركة بدر:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا

---

[١٠٠] – مسند أحمد ج:٥ ص:٣٩١ حديث حذيفة بن اليمان عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، واللفظ له. مجمع الزوائد ج:١٠ ص:٦٤ كتاب المناقب: باب ما جاء في الكوفة.

للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ". الأنفال ٢٤[١٠١] ويقول تعالى محذرا الصحابة:"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ".آل عمران ١٤٤ ويحذرهم أيضا:" وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ".آل عمران ١٠٥ – ١٠٧

ويمكننا ملاحظة هذا المفهوم النسبي في فضل الصحابة، المشروط بالعمل الصالح، في قوله تعالى:"يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم".محمد ٣٣ وفي قوله تعالى:".. ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون". البقرة ٢١٧ وقد حذر رسول الله (ص) المسلمين يوم العقبة من التفرقة والاقتتال الداخلي والكفر، فقال:" يا أيها الناس ألا إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا. ألا هل بلغت؟ فقلنا: نعم. فقال: اللهم أشهد. ثم قال: ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض".[١٠٢]

وقد ذكر البخاري عدة روايات عن الرسول الأكرم (ص) في كتاب الفتن، باب ما جاء في قول الله تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة).

حديث رقم ٧٠٤٨ – حدثنا علي بن عبد الله: حدثنا بشر بن السري: حدثنا نافع بن عمر عن ابي مليكة قال : قالت أسماء عن النبي (ص) قال:" أنا على حوضي أنتظر من يرِد علي، فيؤخذ بناس من دوني، فأقول: أمتي، فيقول: لا تدري مشوا على القهقرى".

حديث رقم ٧٠٤٩ – حدثنا موسى بن اسماعيل: حدثنا أبو عوانة عن مغيرة، عن أبي وائل، قال قال عبد الله: قال النبي (ص) :"أنا فرطكم على الحوض، فليرفعن الي رجال منكم حتى إذا هويت لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك". وفي أحاديث أخرى (رقم ٧٠٥٠ و ٧٠٥١):"ليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يُحال بيني وبينهم". فأقول: "انهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا لمن بدل بعدي".

---

[١٠١] – وقد ورد عن عون بن قتادة قال:حدثني الزبير بن العوام. قال: لقد حذرنا رسول الله (**صلى الله عليه وسلم**) فتنة لم نر أنا نخلق لها. ثم قرأ: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" فقرأناها زماناً، فإذا نحن المعنيون بها. قال: فحيث كان هذا فلِمَ خرجتم؟ قال: ويحك، نحن نعلم، ولكن لا نصبر.

[١٠٢] – ابن سعد، الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٢٦٠ . ٢٦١ (في ذكر ومن حلفاء بني مخزوم: عمار بن ياسر).

إذن فان الله تعالى لم يعط الصحابة شيكاً على بياض، ولم يعدهم الجنة لمجرد صحبتهم للرسول بغض النظر عن أعمالهم، ولم يستبعد عنهم النفاق والشرك والردة، وانما طالبهم بالثبات على الإيمان والطاعة والإخلاص.

وبناء على هذا المقياس كان الصحابة أنفسهم يعظم بعضهم بعضا ويقدرون جهاد المجاهدين وطاعة المطيعين، في حين أنهم كانوا ينتقدون بعضهم بعضا لو صدرت من أحدهم خطيئة أو ظنوا انه اقترف معصية، حتى لو كان من أصحاب بدر وأحد، ومن السابقين الأولين أو المهاجرين والأنصار، فقد أخرج البخاري: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: "من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي" فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً ولكن احتملته الحميّة، فقال: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن حضير، فقال: كذبت لعمر الله، والله لنقتلنه فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيّان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله (صلى الله عليه وآله) على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت.[١٠٣]

ففي هذه الرواية نجد صحابياً يؤذي النبي! وصحابيا يتهم آخر بدرياً، وفي حضرة الرسول، بأنه منافق. وذلك لأن مفهوم الإطلاق لم يكن معروفا لدى الصحابة وانما كانت نظرة بعضهم الى بعضهم نسبية، تحتمل ارتفاع الإيمان او انخفاضه لدى الخطأ أو الانحراف. وهذا ما يفسر اختلاف الصحابة رضي الله عنهم يوم السقيفة، وغضب عمر من سعد بن عبادة الذي رفض بيعة أبي بكر، وقوله :"قتله الله".[١٠٤] وكذلك قول عمر لخالد بن الوليد بعد قتله مالك بن نويرة ودخوله بزوجته:"يا عدو الله". واذا عدنا الى تفاصيل الشورى التي عهد بها عمر الى أفضل ستة من الصحابة، وتأكيده على ضرورة انتخاب واحد منهم، حتى ثلاثة أيام، وقتلهم اذا لم ينتخبوا أحدا أو لم يذعن له الآخرون، فاننا يمكن ان نستنتج قانون النسبية في ثقافة عمر، وعدم وجود أحد من الصحابة فوق الخطأ والتقصير، أو استحقاق العقاب ومنه القتل.

الفتنة الكبرى

---

١٠٣ – البخاري، ج ٣ ص ١٥٦ و ج ٦ /٨

١٠٤ – أخرج البخاري قصة سعد وفيها:فأخذ عمر بيده [بيد أبي بكر] فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل قتلتم سعدا، فقال عمر: قتله الله، وفي رواية لابن حبان: ونزونا على سعد بن عبادة، فقال قائل من الأنصار :قتلتم سعدا، قال عمر فقلت وأنا مغضب: قتل الله سعدا فإنه صاحب فتنة وشر.

واذا عدنا الى قراءة ملف الفتنة الكبرى، لوجدنا فيه مواقف عديدة من مختلف الأطراف، ومن الصحابة والتابعين، تدل على فهمهم النسبي ، لا المطلق، لفضل الصحابة، واحتمال افتقاد بعضهم لدرجة الإيمان العليا، والاتصاف بالنفاق والردة والكفر. ولا نهدف من فتح ملف التاريخ نكأ جراح الماضي بقدر ما نريد أخذ العبرة منه، والتأكد من حقيقة الفهم النسبي لفضل الصحابة، أو عدم تقديسهم جميعا والقول بعدالتهم أو عصمتهم.[١٠٥]

يذكر المؤرخون أن المسلمين بدءوا ينتقدون سياسة عثمان في السنوات الست الأخيرة من عهده، لأمور أخذوها عليه، ولا نريد التحدث عنها الآن، وكان من أبرز منتقدي عثمان أبو ذر وعمار بن ياسر وعبد الله بن مسعود، الذين كان جزاؤهم النفي والضرب والتعذيب، الى درجة انهم أخذوا يتهمون عثمان

---

[١٠٥] – ذكر الطبري: كان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستمائة رجل على أربعة ألوية لها رءوس أربعة، مع كلّ رجل منهم لواء؛ وكان جماع أمرهم جيمعاً إلى عرمو بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ – وكان من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلّم – وإلى عبد الرحمن بن عديس التُّجيبيّ؛ فكان فيما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمّا بعد، فاعلم أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم؛ فالله الله! ثم الله الله! فإنك على دنيا فاستتمَّ إليها معها آخرة، ولا تلبس نصيبك من الآخرة؛ فلا تسوغ لك الدنيا. واعلم أنّا والله لله نغضب، وفي الله نرضى؛ وإنا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة مجلّحة مبلجة؛ فهذه مقالتنا لك، وقضيّتنا إليك، والله عذيرنا منك. والسلام.

وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويحتجّون ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله.

قالوا: فإنا لا نعجّل عليك؛ إن كنا قد اتّهمناك، اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يتّهم على دمائنا وأموالنا، واردد عليها مظالمنا. قال عثمان: ما أراني إذاً في شيء إن كنت أستعمل من هويتم، وأعزل من كرهتم، الأمر إذاً أمركم! قالوا: والله لتفعلنّ أو لتعزلنّ أو لتقتلنّ، فانظر لنفسك أودع. فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله، فحصروه أربعين ليلة، وطلحة يصلِّي بالناس.

قال محمد: وحدّثني إبراهيم بن سالم، عن أبيه، عن بسر بن سعيد، قال: وحدّثني عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة، قال مرّ طلحة بن عبيد الله؛ فوقف فقال: أين ابن عديس؟ فقيل: ها هو ذا، قال: فجاءه ابن عديس، فناجاه بشيء، ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل على هذا الرجل؛ ولا يخرج من عنده. قال: فقال لي عثمان: **هذا ما أمر به طلحة بن عبيد الله. ثم قال عثمان: اللهمّ اكفني طلحة بن عبيد الله، فإنه حمل عليّ هؤلاء وألّبهم؛ والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً، وأن يسفك دمه، إنه انتهك مني ما لا يحلّ له .**

تاريخ الطبري ، الجزء الرابع، السنة الخامسة والثلاثين، ذكر من سار الى ذي خسب
http://www.alwaraq.com/index2.htm?i=49&page=1

بالنفاق والكفر وتبديل الدين.[106] وقد روي أن الزبير كان يحرض على قتل عثمان قائلا:" اقتلوه فقد بدل دينكم".[107] كما ينقل عن السيدة عائشة قولها:"اقتلوا نعثلا فقد كفر".[108]

قال الباقلاني: "وقد روي أنه (أي عمار) كان يقول: عثمان كافر. وكان يقول بعد قتله: قتلنا عثمان ويوم قتلناه كافراً...". [109]

وفي المقابل كان بعض أنصار عثمان كأبي الغادية يتحرق شوقا لقتل عمار، حتى تمكن منه في حرب صفين فقتله، رغم قول النبي له:"ويح عمار تقتله الفئة الباغية". ولذلك يقول كلثوم:"فلم أرَ رجلاً أبين ضلالة عندي منه، إنه سمع من النبي (صلى الله عليه وسلم) ما سمع ثم قتل عماراً... وأخبر عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: إن قاتله وسالبه في النار".[110] وهذه الرواية تتضمن تصريحا بالوعد بالنار لمن يقتل عمارا حتى لو كان صحابيا، فكيف نأتي بعد ذلك ونقول ان جميع الصحابة عدول؟ وكلهم في الجنة؟

وعندما خالف عثمان شروط البيعة والعهد الذي أخذه عليه عبد الرحمن بن عوف بعدم تولية أقاربه من بني أمية على رقاب الناس، انسجاما مع سيرة الشيخين، قال عبد الرحمن لعلي بن أبي طالب:"إذا شئت فخذ سيفك وآخذ سيفي، انه قد خالف ما أعطاني" وحلف أن لا يكلم عثمان طيلة حياته.[111] وعاده عثمان في مرضه فلم يكلمه، ومات وهو مهاجر له، وأوصى أن لا يصلي عليه.[112] وفي مقابل ذلك، كان عثمان يتهم عبد الرحمن بن عوف بالنفاق، ويعده منافقاً . حتى روي عن عبد الرحمن أنه قال:"ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان: يا منافق".[113]

---

[106] – مجمع الزوائد ج:٩ ص:٩٧، ٩٨ باب: فيما كان من أمره (عثمان) ووفاته (رضي الله عنه). المعجم الكبير ج:١ ص:٨١ في ذكر (سن عثمان ووفاته).

[107] – شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج:٩ ص:٣٥ . ٣٦ في شرح كلام للإمام (عليه السلام) في شأن طلحة والزبير: (والله ما أنكروا عليَّ منكراً...).

[108] – الجامع للأزدي ج:١١ ص:٣٥٥ . ٣٥٦ باب الفتن.

[109] – الباقلاني، التمهيد ص: ٢٢٠.

[110] – ابن سعد، الطبقات الكبرى ج:٣ ص:٢٦٠ . ٢٦١ (في ذكر ومن حلفاء بني مخزوم: عمار بن ياسر).

[111] – أنساب الأشراف ج:٥ ص: ٥٧ (في قول عبد الرحمن بن عوف في عثمان(رضي الله عنه)). تاريخ أبي الفداء ج:١ ص:١٦٦ (في ذكر مقتل عمر(رضي الله عنه)). العقد الفريد ج:٤ كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ص: ٢٨٠ في (أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان)، و ص:٣٠٥ (في ما نقم الناس على عثمان).

[112] – تاريخ أبي الفداء ج:١ ص:١٦٦ في (ذكر مقتل عمر (رضي الله عنه)).) شرح نهج البلاغة ج:١ ص:١٩٦. العقد الفريد ج:٤ كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وتواريخهم وأخبارهم ص: ٢٨٠ (في أمر الشورى في خلافة عثمان

وربما كان أشد بيان صدر عن صحابة رسول الله في المدينة ضد عثمان، هي رسالتهم التالية الى إخوانهم في الآفاق:" إنكم إنما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله عز وجل تطلبون دين محمد، فإن دين محمد قد أفسد من خلفكم وترك، فهلموا فأقيموا دين محمد" فأقبلوا من كل أفق حتى قتلوه.[١١٤]

ورغم كل التأويلات التي يقوم بها البعض في تفسير اقتتال المهاجرين الأولين (طلحة والزبير وعائشة وعلي) وأتباعهم في حرب الجمل، والقاء اللوم على فئة منافقة مدسوسة بين الطرفين، فان وقوع تلك الحرب الطاحنة التي ذهب ضحيتها الآلاف من المسلمين، دليل على نظرة الصحابة النسبية لأنفسهم، وعدم وجود مفهوم العدالة المطلقة أو العصمة، الذي نشأ فيما بعد في القرون التالية، لدى فريق من أهل السنة.

أما في صفين فان الصورة بدت أكثر وضوحا، حيث كان الامام علي يلعن معاوية ومجموعة من أعوانه في صلاته، ويقنت عليهم قائلا:"اللهم العن معاوية وعمروا وأبا الأعور السلمي وحبيبا وعبد الرحمن بن خالد والضحاك بن قيس والوليد". فيما كان معاوية يلعن عليا والحسن والحسين وابن عباس ومالك الأشتر.[١١٥] وظل معاوية يلعن الامام علي حتى بعد صلحه مع الحسن، حيث أمر ولاته بسب الامام على المنابر، وهو ما أثار ردة فعل من قبل بعض أصحاب الامام مثل الصحابي الجليل حجر بن عدي الذي احتج على المغيرة بن شعبة في الكوفة لسبه الامام علي، فاعتقله المغيرة وأرسله مع مجموعة من أصحابه الى معاوية الذي أمر بهم فضربت أعناقهم صبرا في مرج عذراء في الشام. وقد استُعمِل على المدينة رجل من آل مروان، فدعا سهل بن سعد، فأمره أن يشتم عليا، فأبى سهل، فقال له: أمَّا إذ أبيتَ، فقل: لعن الله أبا تراب. وقد استمر لعن الامام علي على منابر بني أمية حوالي ستين عاما الى أن جاء عمر بن عبد العزيز فأصدر أمرا بوقف ذلك.[١١٦]

بن عفان)، و ص:٣٠٥ (في ما نقم الناس على عثمان). المعارف لابن قتيبة ص:٥٥٠ في (المتهاجرون). و أنساب الأشراف ج:٥ ص:٥٧ في (قول عبد الرحمن بن عوف في عثمان (رضي الله عنه)).

[١١٣] - الصواعق المحرقة ص:١١٢ تتمة الفصل الثالث من الباب السابع: في (نقم الخوارج عليه (رضي الله عنه)).السيرة الحلبية ج:٢ ص:٢٧٣ باب الهجرة إلى المدينة. و شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد، ج:٢٠ ص:٢٥.

[١١٤] - تاريخ الطبري ج:٢ ص:٦٦٢ في ذكر (الخبر عن قتله (عثمان) وكيف قتل).

[١١٥] - تاريخ الطبري ج:٣ ص:١١٣ في ذكر (اجتماع الحكمين بدومة الجندل).

[١١٦] - يقول الشيخ محمد بن المختار الشنقيطي في كتابه: (الخلافات السياسية بين الصحابة):"توجد مع الأسف أحاديث صحيحة تفيد بأن معاوية وأمراءه كانوا يسبون ويلعنون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على المنابر، ويأمرون الناس بذلك، ومنها :" عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا، فقال: ما منعك أن تسب أبا تراب [عليا] ، فقال [سعد] : أمَّا ما ذكرتُ ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي وخلفَه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول الله تخلفني مع النساء والصبيان؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى

ويسجل التاريخ مواقف وأقوالا لكثير من التابعين، وتابعي التابعين، ومنهم من يحظى باحترام أئمة أهل السنة [117]، فضلا عن بعض الخلفاء العباسيين الأوائل، الذين كانوا ينتقدون هذا الصحابي أو ذاك، مما يدل على عدم وجود إجماع على تقديس الصحابة والاعتقاد بعدالتهم جميعا، في العصور الأولى ، قبل أن ينشأ مفهوم الاطلاق لدى بعض المحدثين في القرن الثاني الهجري، ونشوء النظرية السنية المطلقة حول الصحابة.[118]

أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبوة بعدي، وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال [سعد]: فتطاولنا لها فقال: ادع لي عليا فأتاه وبه رمد فبصق في عينه فدفع الراية إليه ففتح الله عليه، ولما أنزلت هذه الآية "قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم" الآية .. دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال: اللهم هؤلاء أهلي... « (١٥٩) زادت بعض الروايات: »فلا والله ما ذكره معاوية بحرف حتى خرج من المدينة« (١٦٠) أو :» فلا والله ما ذكره ذلك الرجل بحرف حتى خرج من المدينة« (١٦١) »وعند أبي يعلى عن سعد من وجه آخر لا بأس به قال: لو وضع المنشار على مفرقي على أن أسب عليا ما سببته أبدا" (١٦٢) و"عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: استُعمِل على المدينة رجل من آل مروان، قال: فدعا سهل بن سعد، فأمره أن يشتم عليا، قال: فأبى سهل، فقال له: أمَّا إذ أبيتَ، فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دعي بها« (١٦٣) و"عن عمير بن إسحاق قال كان مروان أميرا علينا ست سنين فكان يسب عليا كل جمعة ثم عزل ثم استعمل سعيد بن العاص سنتين فكان لا يسبه ثم أعيد مروان فكان يسبه« (١٦٤) وعن عبدالرحمن بن الأخنس أن المغيرة بن شعبة خطب، فنال من علي، قال: فقام سعيد بن زيد فقال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وعبد الرحمن في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، ثم قال: إن شئتم أخبرتكم بالعاشر، ثم ذكر نفسه. ورواه الإمام أحمد أيضا عن وكيع عن شعبة" (١٦٥) و"عن عبدالله بن السهو قال: لما بويع لمعاوية بالكوفة أقام المغيرة بن شعبة خطباء يلعنون عليا رضي الله عنه، قال: فأخذ بيدي سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل فقال: ألا ترى إلى هذا الرجل الظالم يأمر بلعن رجل من أهل الجنة أشهد على تسعة أنهم في الجنة ولو شهدت على العاشر لم أبال.." (١٦٦).

[117] – كيحيى بن عبد الحميد وعبد الرزاق الصنعاني ويونس بن خباب الأسدي، وأبي الحسن أحمد بن علي الغزنوي، وأبي اسرائيل الملائي، وأزهر الحراني وأسد بن وداعة، وتليد بن سليمان المحاربي الكوفي، والحكم بن ظهير الفزاري ابن أبي ليلى الكوفي، وربيعة بن يزيد السلمي، وجعفر بن سليمان. وكان مؤسس المعتزلة واصل بن عطاء يقول ان أحد المتحاربين من الصحابة فاسق من غير تحديد له، ولهذا كان يطعن في عدالتهم ولا يقبل شهادة أحد منهم، بينما كان النظام يعتبر أبا هريرة من أكذب الناس.

[118] – عندما انتصر جيش الدعوة العباسية، ودخل الكوفة، وبويع أبو العباس السفاح، خطب داود بن علي بن عبد الله بن العباس. وهو على المنبر أسفل من أبي العباس السفاح بثلاث درجات. فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي، ثم قال:"أيها الناس إنه والله ما كان بينكم وبين رسول الله (**صلى الله عليه وآله وسلم**) خليفة إلا علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا الذي خلفي". تاريخ الطبري ج:٤ ص:٣٥٠ في (ذكر بقية الخبر عما كان من الأحداث في سنة اثنين وثلاثين ومائة: تمام الخبر عن سبب البيعة لأبي العباس عبد الله بن محمد بن علي...).

إذ ينقل عن الحسن البصري قوله:"أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة. واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير. وادعاؤه زياداً، وقد قال رسول الله (ص): الولد للفراش، وللعاهر الحجر. وقتله حجراً. ويلاً له من حجر.مرتين".[١١٩]

وبخصوص معاوية لم يكن كثير من الصحابة وأجلاء التابعين ينظرون اليه كصحابي مؤمن أو خليفة عادل، ولذلك فعندما توفي، اجتمع من تبقى من شيعة الامام علي في الكوفة وأرسلوا الى الامام الحسين رسالة يستدعونه اليهم، وقد جاء فيها:" للحسين بن علي، من سليمان بن صرد والمسيب بن نجية ورفاعة بن شداد البجلي وحبيب بن مظاهر وشيعته المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة : سلام عليك فانا نحمد إليك الله الذي لا اله إلا هو .. أما بعد : فالحمد لله الذي قصم عدوك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضى منها، ثم قتل خيارها واستبقى أشرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها، فبعدا له كما بعدت ثمود . انه ليس علينا إمام ، فاقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الحق ". [١٢٠]

وهناك أحاديث يرويها أهل السنة تؤكد دخول بعض الصحابة في النار، مما ينقض نظرية عدالة جميع الصحابة التي تبلورت في القرن الثاني أو الثالث الهجري.

قال يعقوب بن سفيان ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا أبي ثنا شعبة عن أبي سلمة عن أبي نضرة عن أبي هريرة أن رسول الله قال لعشرة من اصحابه:" آخركم موتا في النار" فيهم سمرة بن جندب قال أبو نضرة فكان سمرة آخرهم موتا. قال البيهقي: رواته ثقات إلا أن أبا نضرة العبدي لم يثبت له من أبي هريرة سماع والله أعلم. ثم روى من طريق إسماعيل بن حكيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن حكيم قال كنت أمر بالمدينة فألقى أبا هريرة فلا يبدأ بشيء حتى يسألني عن سمرة فلو أخبرته بحياته وصحته فرح وقال: إنا كنا عشرة في بيت، وإن رسول الله قام علينا ونظر في وجوهنا وأخذ بعضادتي الباب وقال:" آخركم موتا في النار". فقد مات منا ثمانية ولم يبق غيري وغيره فليس شيء أحب إلي من أن أكون قد ذقت الموت. وله شاهد من وجه آخر وقال يعقوب ابن سفيان ثنا حجاج بن منهال ثنا حماد بن سلمة

---

[١١٩] – تاريخ الطبري ج:٣ ص:٢٣٢ في (تسمية من نجا منهم (أصحاب حجر)). قال يعقوب بن سفيان ثنا عمرو بن عاصم ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن مروان بن الحكم قال دخلت مع معاوية على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت يا معاوية قتلت حجرا وأصحابه وفعلت الذي فعلت أما خشيت أن أخبأ لك رجلا فيقتلك قال لا إني في بيت أمان. كتاب البداية والنهاية، الجزء ٦ صفحة ٢٢٥

[١٢٠] – المفيد، الارشاد، ص ٢٠٤

عن علي بن زيد عن أوس بن خالد قال كنت إذا قدمت على أبي محذورة سألني عن سمرة وإذا قدمت على سمرة سألني عن أبي محذورة فقلت لأبي محذورة مالك إذا قدمت عليك تسألني عن سمرة وإذا قدمت على سمرة سألني عنك؟ فقال إني كنت أنا وسمرة وأبو هريرة في بيت فجاء النبي فقال:" آخركم موتا في النار" قال فمات أبو هريرة ثم مات أبو محذورة ثم مات سمرة.[١٢١]

الإعلام الأموي

ومن هنا ، ونظرا لعدم وجود إجماع على عدالة جميع الصحابة، في صدر الإسلام، ووجود النظرة النسبية المحتملة للردة والنفاق والضلال، وتوقف مكانة الصحابي على العمل الصالح، بما يتفق مع القرآن الكريم وأحاديث نبوية متواترة وثابتة، فان علامات استفهام كثيرة ترتسم على بعض الأحاديث أو أخبار الآحاد، التي تشير الى عدالة جميع الصحابة، وتنهى عن سبهم. وتعطي فضلا خاصا لكل من رأى النبي ولو ساعة أو سمع منه ولو كلمة.[١٢٢] ويثور الشك حول تلك الروايات التي شكلت أساس النظرية السنية المتطرفة حول الصحابة، بأنها كانت من اختلاق الإعلام الأموي ، وخاصة أيام حكم معاوية، "الطليق" الذي حارب الامام علي والمهاجرين والأنصار، وانتزع السلطة منه، وحاول إدخال نفسه في صفوف "الصحابة" حتى يفرض نفسه على المسلمين خليفة بلا منازع، ويفعل ما يشاء.

ويبدو ان المقصود من تلك "الأحاديث الناهية عن سب الصحابة" هو منع انتقاد معاوية أكثر من النهي عن سب خيار الصحابة، والا فانها لا تذكر عند قيام معاوية والأمويين بسب الامام علي وأهل بيته وشيعته.[١٢٣]

---

[١٢١] – ابن كثير، كتاب البداية والنهاية، الجزء ٦ صفحة ٢٢٦.

[١٢٢] – وفي هذا المجال ينقل عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه كان يقول: "لا تسبُّوا أصحاب محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَلَمقام أحدهم ساعةً خيرٌ من عمل أحدكم عُمُرَه".رواه ابن ماجه.

[١٢٣] – اللعن يعني الإبعاد والطرد على وجه السخط، وعندما يكون من الله عز وجل فهو يعني العقوبة في الآخرة والانقطاع عن قبول الرحمة والتوفيق في الدنيا، واللاعن عندما يلعن فهو يدعو الله عز وجل أن يطرد الملعون من رحمته (المفردات في ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني ص٧٤١)، ويتحقق اللعن بقول: لعنه الله، ولعنة الله عليه، أما السب والشتم فهما بمعنى واحد. (لسان العرب ج٦ ص١٣٧) وقيل بأن السب أشد من الشتم، فالشتم هو تقبيح أمر المشتوم بالقول، والسب هو الإطناب في الشتم والإطالة فيه (الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ص٣٨)، ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: "والسب: الشتم الوجيع". (المفردات ص٣٩١)

المعتزلة ينقدون الصحابة

وينقل ابن أبي الحديد، في (شرح نهج البلاغة) عن بعض الزيدية المعتزلة، قولهم:" انا رأينا الصحابة أنفسهم ينقد بعضهم بعضا، بل ويلعن بعضهم بعضا، ولو كانت الصحابة عند نفسها بالمنزلة التي لا يصح فيها نقد ولا لعن لعلمت ذلك من حال نفسها، لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا. وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن علي. وهذا معاوية وعمرو بن العاص لم يقصروا دون ضربه وضرب أصحابه بالسيف. وكالذي روي عن عمر من أنه طعن في رواية أبي هريرة وشتم خالد بن الوليد وحكم بفسقه، وخون عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما الى سرقة مال الفيء واقتطاعه. وقل أن يكون في الصحابة من سلم من لسانه أو يده. الى كثير من أمثال ذلك مما رواه التاريخ... وكان التابعون يسلكون بالصحابة هذا المسلك ويقولون في العصاة منهم هذا القول،وانما اتخذهم العامة أربابا بعد ذلك. والصحابة قوم من الناس، لهم ما للناس وعليهم ما عليهم، من أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غير هم كبير فضل الا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم. لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فمعاصينا أخف لأننا أعذر".

ان الصحابة أنفسهم لم يكونوا يكفرون من يكفرهم، وهذا هو الامام أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام) يعلن موقفه من الخوارج الذين كانوا يكفرونه ويطالبونه بالتوبة عن التحكيم، ويقول:" ان لهم علينا ثلاثة حقوق: أن لانمنعهم مساجد الله ولا نقطع عنهم الفيء ولا نبدأهم بقتال" واذا كان قد اضطر لمحاربتهم بعد خروجهم عليه وقتلهم بعض أصحابه، فانه قد نهى عن قتالهم في المستقبل، وقال:" لا تقاتلوا الخوارج بعدي.. فانه ليس من طلب الحق فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه".

وكان الامام علي قد سئل من قبل عن أهل الجمل الذين جاءوا لحربه: أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلا. قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا. وعندما سمع بعض أصحابه في صفين يسب أهل الشام ، قال:"إني أكره لكم أن تكونوا سبابين".[١٢٤] وذلك انسجاما مع قول الله تعالى:" ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ". الأنعام ١٠٨

---

[١٢٤] - نهج البلاغة، ٢٠٦ من كلام له عليه السلام

٢- النظرية السنية حول الصحابة

سوف نقوم بالاعتماد على آخر ما انتجته المكتبة السنية (السلفية) حول الصحابة، وهو كتاب الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة، تأليف الشيخ حمد بن عبد الله ابراهيم الحميدي، وتقديم **الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن السعد**. وهما أستاذان من أساتذة علم الحديث والعقيدة والدعوة في المملكة العربية السعودية، ذلك الكتاب الذي يلخص النظرية السنية أفضل تلخيص.

تعريف الصحابة

يقول الشيخ السعد في : (فصل في حد الصحبة):"قيل في حد الصحبة أقوال متعددة، ولكن الذي دل عليه الدليل منها هو: كل من لقي الرسول (ص) مؤمنا به، ومات على ذلك، سواء أطال هذا اللقاء أم قصر".[١٢٥] ثم يضيف:" ومن الأدلة على أن الصحبة تثبت باللقية مع الإيمان والموت على ذلك ما رواه ابن ابي شيبة ... عن وائلة بن الأسقع قال: قال رسول الله (ص): **لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني**".[١٢٦] وما رواه يعقوب بن سفيان في التاريخ:" **طوبى لمن رآني، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني، وطوبى له وحسن مآب**".[١٢٧] ويستدل السعد برأي الفيومي:" أن الأصل في الصحبة هو لمن حصل له رؤية ومجالسة". ويقول:" وهذا ما ذهب اليه الجمهور وهو المشهور عند أهل الحديث، قال أحمد: كل من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة أو رآه فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه".[١٢٨] "وقال البخاري في (صحيحه ٢/٥) : ومن صحب النبي (ص) أو رآه من المسلمين فهو من اصحابه. وقال الواقدي: رأيت أهل العلم يقولون: كل من رأى رسول الله (ص) وقد أدرك الحلم وأسلم وعقل أمر الدين ورضيه فهو عندنا ممن صحب النبي (ص) ولو ساعة من نهار، ولكن أصحابه على طبقاتهم وتقدمهم في الاسلام".[١٢٩] "وقال أبو محمد بن حزم في كتاب (الأحكام ٨٩/٥): أما الصحابة رضي الله عنهم فهو كل من جالس النبي (ص) ولو ساعة وسمع منه ولو كلمة فما فوقها أو

---

[١٢٥] - الحميدي، الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة.**مقدمة الشيخ عبد الله السعد**، ص ١١

[١٢٦] - المصدر السابق، ص ١٢

[١٢٧] - المصدر السابق، ص١٣

[١٢٨] - المصدر السابق، ص ١٨

[١٢٩] - المصدر السابق، ص١٩

شاهد منه عليه السلام أمرا بعينه ولم يكن من المنافقين الذين اتصل نفاقهم واشتهر حتى ماتوا على ذلك، ولا مثل من نفاه عليه السلام باستحقاقه كهيت المخنث ومن جرى مجراه .."[١٣٠]

وماذا لو ارتد الصحابي؟ هل يبقى على صحبته؟

يجيب ابن حزم، كما يحدثنا الشيخ عبد الله السعد:"وأما من ارتد بعد النبي (ص) وبعد أن لقيه، ثم راجع الاسلام وحسنت حاله، كالأشعث بن قيس وعمرو بن معدي كرب وغيرهما فصحبته له معدودة ، وهو بلا شك من جملة الصحابة لقول رسول الله (ص) :"أسلمت على ما سلف لك من خير" وكلهم عدول فاضل من أهل الجنة".[١٣١]

ونظرا لكون اسم (الصحبة) اسما عرفيا وليس اصطلاحا شرعيا محددا في القرآن الكريم أو السنة النبوية، فقد كان عرضة لاجتهادات الصحابة أنفسهم والتابعين والفقهاء السنة فيما بعد، فقد نقل ابن الصلاح عن أنس بن مالك أن الصحبة غير الرؤية، حيث روى في (علوم الحديث، ص ١٤٦): عن شعبة عن موسى السيلاني ، قال: أتيت أنس بن مالك فقلت: هل بقي من اصحاب رسول الله (ص) أحد غيرك؟ قال :" بقي ناس من الأعراب قد رأوه فأما من صحبه فلا". ولكن السعد يأول هذا التعريف بأنه يُحمل على الصحبة الخاصة.[١٣٢] ويرفض أيضا ما جاء عن سعيد بن المسيب أنه قال: "الصحابة.. لا تعدهم الا من أقام مع رسول الله (ص) سنة أو سنتين وغزا معه غزوة أو غزوتين".[١٣٣] فيقول:"هذا لا يصح عن سعيد لا من جهة الإسناد ولا من جهة المتن".[١٣٤] ثم ينقل الشيخ عبد الله السعد رأي أبي حامد الغزالي، الذي يقول في كتابه (المستصفى ١/١٦٥):" فمن الصحابي؟ من عاصر رسول الله (ص)؟ أو من لقيه مرة؟ أو من صحبه ساعة؟ أو من طالت صحبته؟ وما حد طولها؟ قلنا: الاسم لا يطلق الا على من صحبه، ثم يكفي للاسم من حيث الوضع الصحبة ولو ساعة، **ولكن العرف يخصص الاسم بمن كثرت صحبته**".[١٣٥]

وهكذا يدخل في اسم (الصحابة) كلٌ من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والطلقاء والعتقاء، والأعراب والمنافقين، وحتى المرتدين لبعض الوقت. ولكن الشيخ السعد يعترف بوجود فئتين بين

---

[١٣٠] – المصدر السابق، ص ٢٠

[١٣١] – المصدر السابق، ص ٢١

[١٣٢] – المصدر السابق، ص ٢٥

[١٣٣] – رواه الخطيب في الكفاية ص ٥٠ من طريق ابن سعد عن الواقدي أخبرني طلحة بن محمد بن سعيد بن المسيب عن ابيه عن سعيد به.

[١٣٤] – الحميدي، الإبانة .**مقدمة الشيخ السعد**، ص ٢٨

[١٣٥] – المصدر السابق، ص ٢٩

الصحابة خاصة وعامة، فيدخل مثلا عبد الرحمن بن عوف في الدائرة الخاصة من الصحبة، وخالد بن الوليد في الدائرة العامة، وذلك حتى لا يخرج الأخير من دائرة الصحبة تماما بعد سبه للأول وقول الرسول له: "لا تسبوا أحدا من أصحابي ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه".[١٣٦] ويقول:"وأما توجيه هذا الخطاب لخالد بن الوليد ولغيره فهذا لا يفيد خروجه من الصحابة بل هو بالإجماع صحابي، وانما المقصود الصحبة الخاصة".[١٣٧]

ومع توسيع أهل السنة لمصطلح (الصحابة) فانهم يضيقون دائرة المنافقين الى أصغر درجة، ويعتبرون جميع الصحابة داخلين في دائرة الإيمان الا ما ثبت باليقين أنه منافق، وكما رأينا فقد أدخلوا في دائرة الصحبة حتى من ارتد عن الاسلام ثم عاد اليه، ويعتقدون أن من أعلن اسلامه في أي ظرف فانه مسلم وصحابي وثابت على الإيمان الى الأبد، ولا يحتملون انخفاض درجة الإيمان لدى "الصحابي" أو انقلابه الى الشرك والكفر، أو سقوطه في حب الدنيا الى درجة النفاق والردة ، حتى لو ارتكب الكبائر من أجل ذلك، أو أراق الدم المعصوم، أو قتل عامدا متعمدا كبيرا من كبار الصحابة، كما في حالة أبي الغادية الذي قتل عمار بن ياسر، رغم وجود حديث صريح وصحيح عن النبي الأكرم (ص) يقول فيه:" ويح عمار تقتله الفئة الباغية.. قاتل عمار وسالبه في النار" الذي يرويه السعد من عدة مصادر، ولكنه يعترف بشطر من الحديث، وهو:"ويح عمار تقتله الفئة الباغية" ويشكك بالشطر الآخر: "قاتل عمار وسالبه في النار" انسجاما مع نظريته بدخول جميع الصحابة في الجنة. ويقول:"هذه الزيادة لا تصح بل هي منكرة ... والخلاصة أن هذا الحديث المرفوع وهو "قاتل عمار في النار" في ثبوته نظر، والله أعلم". ويضيف:"وأما قصة قتل عمار من قبل أبي الغادية فهذا ثابت ولا شك أن هذا ذنب كبير، ولكن لم يقل أحد إن الصحابة لا يذنبون ولا يقعون في الكبائر، بل قال تعالى عن آدم عليه السلام: (وعصى آدم ربه فغوى) طه ١٢١ ... وبهذا يجاب عن كركرة الذي كان على ثقل النبي (ص) فمات فقال رسول الله (ص): "هو في النار" فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها. أخرجه البخاري في صحيحه ٢٠٧٤ ، **وكذلك من وقع منهم في الزنى أو شرب الخمر أو أصحاب الإفك** يجاب عنهم بما تقدم".[١٣٨]
(ملاحظة:هل يوجد في الاسلام مقياسان للصحابة ولغيرهم من الناس؟ اذا ارتكب الصحابي ما ارتكب حتى لو قتل صحابيا جليلا مثل عمار فانه يدخل الجنة، ومن سب صحابيا كفر ودخل في النار؟)

الاطلاق والتعميم في الفضل

---

[١٣٦] – أخرجه البخاري ٣٦٧٣ ومسلم ٢٥٤١ كلاهما من طريق الأعمش عن أبي صالح عن ابي سعيد..

[١٣٧] – الحميدي، الإبانة .**مقدمة الشيخ السعد**، ص ٥

[١٣٨] – المصدر السابق، ص ٥٣

وبعد تعريف (الصحبة) وتوسيعها الى أبعد نطاق، يذهب علماء أهل السنة (أو بعضهم على الأقل) الى وجود فضل خاص ذاتي للصحبة ولرؤية النبي (ص)، بغض النظر عن العمل الصالح أو الطالح، ومن هنا فانهم يعممون الآيات الواردة في مدح الصحابة، ويطلقونها بلا شرط ولا استثناء. ويحكمون عليهم جميعا بأنهم ثقات عدول. يقول الشيخ عبد الله السعد، تعليقا على هذه الآية الكريمة: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود، ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل ، كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما) محمد ٢٩، يقول:"هذه الآية الكريمة **تشمل كل الصحابة** رضي الله عنهم لأنهم كلهم مع الرسول (ص)".[١٣٩]

وكذلك يقول أيضا تعليقا على الآية الأخرى: (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم) التوبة ١٠٠ بأن "هذه الآية أيضا **شاملة لكل الصحابة** رضي الله عنهم".[١٤٠] ويستشهد بقول الرسول الأكرم الآنف لخالد: "لا تسبوا أحدا من أصحابي ، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه" فيقول:"وهذا الحديث **شامل لكل الصحابة** رضي الله عنهم لأنه عليه الصلاة والسلام قال:"لا تسبوا أحدا من أصحابي". ولذلك بوَّب عليه أبو حاتم بن حبان في صحيحه (كما في الإحسان ٢٣٨/١٦) ذكر الخبر الدال على أن **أصحاب رسول الله (ص) كلهم ثقات عدول**".[١٤١] ويروي السعد حديث ابن عمر المشهور:"لا تسبوا أصحاب محمد، فلمقام أحدهم ساعة خير من عمل أحدكم عمره".[١٤٢] ثم يقول:"ويؤيد ما تقدم، ما رواه أحمد ٣٦٣/٤ والطبراني في الكبير ٢٤٣٨ والحاكم ٨٠/٤ وصححه، وأبو نعيم في أخبار اصفهان ١٤٥/١٠ كلهم من طريق عن الثوري عن الأعمش عن موسى بن عبد الله بن يزيد عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير بن عبد الله البجلي عن النبي (ص) قال:"الطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والمهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة".

---

[١٣٩] - المصدر السابق، ص ٣

[١٤٠] – المصدر السابق، ص ٤

[١٤١] – المصدر السابق، ص ٥

[١٤٢] – المصدر السابق، ص ٢٥

قلت: وفي هذا الحديث ذكر للصحابة كلهم: المهاجرون والأنصار والطلقاء والعتقاء، وانه عليه السلام أثبت لهم الولاية بعضهم مع البعض الآخر في الدنيا والآخرة. وقول الرسول (ص):"والآخرة" تفيد صحة اسلامهم وايمانهم ، وذلك أنه لم يثبت لهم الولاية في الدنيا فقط بل والآخرة، والله تعالى أعلم... فتبين مما تقدم ثناء الله تعالى ورسوله الكريم على الصحابة كلهم رضي الله عنهم، ولا شك **أن الله تعالى بعلمه للغيب اختار أصحاب رسوله".**[١٤٣]

ويؤكد الشيخ حمد بن عبد الله الحميدي ما ذهب اليه الشيخ عبد الله السعد، من الاطلاق والتعميم في الفضل لجميع الصحابة، فيروي عن عبد الله بن مسعود أنه قال"إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد (ص) خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب اصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيء".[١٤٤] ويعلق على عدد من الآيات التي تتحدث عن الصحابة مثل قوله تعالى: "لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما" . النساء ٩٥ وقوله تعالى:"وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السماوات والارض لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير". الحديد ١٠ بأن هذه الآيات السابقة تتناول الصحابة كلهم أجمعين، ويستشهد بقول القرطبي في تفسيره: (وكلا وعد الله الحسنى): "أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون، وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات". ثم يقول:"هذه الآيات السابقة تتناول الصحابة كلهم أجمعين، فقد دخل فيها المهاجرون والأنصار، ومن أسلم بعد الفتح من الطلقاء والعتقاء؛ لأن بعضهم أولياء بعض كما جاء ذلك في مسند أحمد، قال: حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال: قال رسول الله (ص):"المهاجرون والأنصار أولياء بعضهم لبعض، والطلقاء من قريش والعتقاء من ثقيف بعضهم أولياء لبعض الى يوم القيامة".[١٤٥] "وذكر طريقا آخر، فقال: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا سفيان عن الأعمش عن موسى بن

---

[١٤٣] - المصدر السابق،ص ٧- ٩

[١٤٤] - أخرجه أحمد ٣٦٠٠ والطبراني والحاكم وابن الأعرابي والقطيعي والبيهقي في المدخل، كلهم من طريق ابي بكر بن عياش ثنا عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود...

الحميدي، الإبانة ، ص ١٠

[١٤٥] - المصدر السابق. ص ٧٧

عبد الله عن عبد الرحمن بن هلال العبسي عن جرير عن النبي (ص) قال:" الطلقاء من قريش والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، والمهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة". ففي هذا الحديث بين النبي (ص) ولاية بعضهم بعضا، كما ذكر الله في الآيات السابقة وبين رضاه عنهم، فقال تعالى: "لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فانزل السكينة عليهم واثابهم فتحا قريبا".الفتح ١٨ وقال تعالى:"جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه". البينة ٨ ، وهذه عامة في كل من خشي ربه، وهم أعظم هذه الأمة خشية بعد نبيهم رضي الله عنهم أجمعين".[١٤٦]

وقال ابن كثير عند تفسير هذه الآيات: (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم. والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ان الله بكل شيء عليم). الأنفال ٧٤،٧٥ :" لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة، **فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان**.. **وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب** – ان كانت – وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبدا، لا ينقطع ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه، ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح ، فهم معهم في الآخرة".[١٤٧]

وقال ابن جرير في تفسير قوله تعالى:(محمد رسول الله، والذين معه أشداء على الكفار **رحماء بينهم**...) الفتح ٢٩ :" حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة: (رحماء بينهم) **ألقى الله في قلوبهم الرحمة بعضهم لبعض**".[١٤٨]

وإضافة الى تلك الآيات الكريمة ، يعتمد أهل السنة في بناء نظريتهم حول الصحابة، على مجموعة أحاديث دالة على فضلهم ، مثل حديث: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته". و" النجوم أمنة للسماء فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فاذا ذهبت النجوم أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون". وما روي عن أنس رضي الله عنه ان النبي قال يوم الخندق: "اللهم

[١٤٦] – المصدر السابق. ص ٧٨

[١٤٧] – المصدر السابق. ص ٧٤

[١٤٨] – المصدر السابق. ص ٧٥

ان الخير خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة". وقول رسول الله (ص): "لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم".[١٤٩] ويروون أيضا أحاديث خاصة بفضائل بعض الصحابة الذين اختلف حولهم مثل عثمان بن عفان أو معاوية بن أبي سفيان أو عمرو بن العاص، حيث يروي أحمد في (مسنده) قال: حدثنا هارون بن معروف حدثنا ضمرة حدثنا عبد الله بن شوذب عن عبد الله بن القاسم عن كثير مولى عبد الرحمن بن سمرة عن عبد الرحمن بن سمرة قال جاء عثمان بن عفان الى النبي (ص) بألف دينار في ثوبه حين جهز النبي جيش العسرة، قال: فصبها في حجر النبي (ص) فجعل النبي (ص) يقلبها بيده ويقول:**"ما ضرَّ ابن عفان ما عمل بعد اليوم" يرددها مرارا**. (مسند أحمد والترمذي والسنة للخلال والآجري في الشريعة) وقال أحمد في فضائل الصحابة: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن ابن عون، قال: سمعت محمد بن حاطب، قال: سألت عليا عن عثمان فقال:" هو من الذين آمنوا ثم اتقوا ثم آمنوا ثم اتقوا".[١٥٠]

أما عن معاوية، فيروون أحاديث مباشرة وغير مباشرة، مثل حديث سمرة الذي رواه البخاري (٧٢٢٢و٧٢٢٣) ومسلم (١٨٢١) من حديث عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (ص) يقول:"لا يزال أمر الناس ماضيا ما وليهم اثنا عشر رجلا" .[١٥١] ومع ان هذا حديث آحاد غامض، الا ان الشيخ عبد الله السعد يقول:"ظاهر هذا الحديث يدخل فيه معاوية رضي الله عنه وذلك أنه قرشي وتولى الملك وكان الدين في زمنه عزيزا منيعا، فهذا الحديث ينطبق عليه خاصة في رواية الشعبي وسماك عن جابر"لا يزال هذا الأمر — وفي رواية الاسلام- عزيزا الى اثني عشر خليفة" فظاهر هذه الرواية أن هذه العزة والمنعة من أول خليفة بعد رسول الله (ص) وهو أبو بكر رضي الله عنه الى اثني عشر خليفة فيكون معاوية داخلا فيهم وخاصة أن معاوية بويع من جميع المسلمين وسمي هذا العام بعام الجماعة كما هو معلوم. فعلى هذا الحديث **أن معاوية خليفة شرعي وان الدين كان في زمنه عزيزا منيعا**، وهذا لحكمه بالشرع وتطبيقه للسنة، والا لما كان الدين عزيزا منيعا، والله أعلم".[١٥٢]

---

[١٤٩] - البخاري ح٣٠٠٧ ومسلم ح٢٤٩٤، الحميدي، الإبانة . ص١١٥

[١٥٠] - المصدر السابق. ص ٩٧

[١٥١] - وأخرجه أيضا من طريق حصين عن جابر ولفظه:" ان هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة" وفي لفظ عنده من طريق سماك عن جابر:" لا يزال الاسلام عزيزا الى اثني عشر خليفة" ومن طريق الشعبي عن جابر: "لا يزال هذا الأمر عزيزا منيعا الى اثني عشر خليفة"...

[١٥٢] - المصدر السابق،ص٥٩ — ٦٠

وربما كان الشيخ السعد، بناء على هذا الحديث، يكاد يعتقد بأن يزيد بن معاوية أيضا خليفة شرعي، وقد أعز الله به الاسلام، كما قال بعض غلاة السنة، ولكنه لم يصرح بما يريد.

وعلى أي حال فانه يضيف: إن النبي أثنى على معاوية ثناء خاصا وقال عنه:"**اللهم اجعله هاديا مهديا واهدِ به**". والأصل في دعاء الرسول (ص) أنه مستجاب، وأخرج البخاري (٢٩٢٤) من طريق عمير بن الأسود العنسي عن أم حرام أنها سمعت النبي (ص) يقول:"أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا" وأول جيش غزا البحر كان بقيادة معاوية، وهذه منقبة عظيمة له، ومعنى "**أوجبوا**" أي وجبت لهم الجنة.[١٥٣]

ويروي السعد عن ابي هريرة أنه قال: قال رسول الله"**ابنا العاص مؤمنان عمرو وهشام**". ويعقب: "هذا اسناد لا بأس به وفيه غرابة، وقد صححه الحاكم في الموضع الأول على شرط مسلم، وقال الجورقاني: هذا حديث حسن مشهور. وجاءت نصوص أخرى بهذا المعنى، ولا شك أن هذه منقبة كبيرة بالشهادة له من قبل الرسول (ص) بالايمان".[١٥٤]

وعندما ينظر أهل السنة الى ما جرى بين الصحابة من اقتتال، فانهم يأولون كل ذلك بالاجتهاد وحسن النية والسعي من أجل الاصلاح. يقول الشيخ عبد الله السعد:"وأما ما جرى بني الصحابة رضي الله عنهم في الجمل فالأمر فيهم أوضح وأبين مما جرى في صفين، وذلك أن الزبير وطلحة رضي الله عنهما من العشرة المبشرة بالجنة، وعائشة هي أم المؤمنين وحبيبة رسول رب العالمين، وهم لم يخرجوا لطلب الملك أو المشاقة لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه، وانما خرجوا من أجل المطالبة بدم عثمان رضي

---

[١٥٣] – المصدر السابق،ص٦٠ ويقول الحميدي:من فضائله أنه أول قائد جيش غزا في البحر، وقد قال عنه النبي كما أخرج ذلك البخاري في صحيحه من حديث أم حرام أنها سمعت النبي يقول:"أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا". وهو قائدهم في ذلك، وغزو البحر وهم تحت ملكه، **وقد ولى على ذلك الجيش ابنه يزيد.** أخرج البخاري ومسلم من طريق محمد بن يحيى بن حبان عن أنس بن مالك عن خالته أم حرام بنت ملحان قالت: نام النبي يوما قريبا مني ثم استيقظ يتبسم فقلت: ما اضحكك؟ قال: "أناس من أمتي عرضوا علي يركبون هذا البحر الأخضر، كالملوك على الأسرة" قالت: فادع الله ان يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية ففعل مثلها، فقالت مثل قولها فأجابها مثلها. فقالت: ادع الله ان يجعلني منهم، فقال:"أنت من الأولين"، فخرجت مع زوجها عبداة بن الصامت غازيا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام فقربت اليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت.

المصدر السابق. ص ١٦٥ – ١٦٦

[١٥٤] – المصدر السابق،ص ٦١

الله عنه والاصلاح بين الناس. أخرج الامام أحمد في المسند (٩٧/٦) ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن أبي حازم أن عائشة لما أتت على الحوأب سمحت نباح الكلاب فقالت: ما أظنني الا راجعة، ان رسول الله (ص) قال لنا: "أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب" فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله أن يصلح بك الناس".[١٥٥] وينقل عن ابن حزم قوله عن الذين خرجوا الى البصرة وهم من تقدم:" **فقد صح صحة ضرورية لا اشكال فيها أنهم لم يمضوا الى البصرة لحرب علي ولا خلافا عليه ولا نقضا لبيعته ولو أرادوا ذلك لأحدثوا بيعة غير بيعته،** هذا ما لا يشك فيه أحد ولا ينكره أحد، فصح انهم انما نهضوا الى البصرة لسد الفتق الحادث في الاسلام من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ظلما. وبرهان ذلك أنهم اجتمعوا ولم يقتتلوا ولا تحاربوا فلما كان الليل عرف قتلة عثمان أن الإراغة والتدبير عليهم فبيتوا عسكر طلحة والزبير وبذلوا السيف فيهم، فدافع القوم عن انفسهم في دعوى حتى خالطوا عسكر علي فدفع أهله عن انفسهم، وكل طائفة تظن ولا شك أن الأخرى بديء بها بالقتال. **واختلط الأمر اختلاطا لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه،** والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شن الحرب وإضرامه. فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها مدافعة عن نفسها. ورجع الزبير وترك الحرب بحالها واتى طلحة سهم غاير وهو قائم لا يدري حقيقة ذلك الاختلاط ..فانصرف ومات من وقته رضي الله عنه..فهكذا كان الأمر".[١٥٦]

ويقول السعد عن حرب صفين:" لا شك ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن معه أولى بالحق من غيره. أخرج مسلم (١٠٦٥) وغيره من حديث القاسم بن الفضل الحداني ثنا أبو نضرة عن أبي سعيد: قال قال رسول الله (ص):"تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق".

وأخرج أيضا من طريق قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد به ولفظه:"تكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق".

وأخرج أيضا من حديث حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المشرقي عن أبي سعيد به ولفظه:" يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق".

قال أبو زكريا النووي في شرحه على مسلم (١٦٨/٧) : هذه الروايات صريحة في أن عليا رضي الله عنه كان هو المصيب المحق، **والطائفة الأخرى أصحاب معاوية رضي الله عنهم كانوا بغاة متأولين،** وفيه التصريح بأن الطائفتين مؤمنون لا يخرجون بالقتال عن الإيمان ولا يفسقون ، وهذا مذهبنا.ا هـ

---

[١٥٥] - المصدر السابق،ص ٦٢

[١٥٦] - المصدر السابق،ص ٦٣ عن (الفصل ١٥٨/٤)

وقال أبو العباس ابن تيمية كما في الفتاوى المجموعة له (٤/٤٦٧)" فهذا الحديث الصحيح دليل على أن **كلا الطائفتين المقتتلتين علي وأصحابه ومعاوية وأصحابه على حق،** وأن عليا وأصحابه كانوا أقرب الى الحق من معاوية وأصحابه. اهـ.

وذكر نحو هذا ابن العربي في العواصم (ص ٣٠٧ الطبعة الكاملة).

وقال أبو الفداء ابن كثير في البداية (١٠/٥٦٣): فهذا الحديث من دلائل النبوة لأنه وقع الأمر طبق ما أخبر به الرسول (ص) وفيه الحكم باسلام الطائفتين أهل الشام وأهل العراق، لا كما تزعمه فرقة الرافضة أهل الجهل والجور من تكفيرهم أهل الشام، وفيه أن أصحاب علي أدنى الطائفتين الى الحق، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة؛ أن عليا هو المصيب وإن كان معاوية مجتهدا في قتاله له وقد أخطأ وهو مأجور إن شاء الله، ولكن عليا هو الامام المصيب إن شاء الله تعالى فله أجران.اهـ.

قلت: وما يوضح الحديث السابق ما رواه البخاري (٣٦٠٩) ومسلم (٢٢١٤) كلاهما عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي (ص):"لا تقوم الساعة حتى يقتتل فئتان فيكون بينهما مقتلة عظيمة دعواهما واحدة".[١٥٧]

ويضيف السعد:"ومما يوضح ما تقدم أيضا ما رواه البخاري (٢٧٠٤) من حديث الحسن البصري قال: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله (ص) والحسن بن علي الى جنبه وهو يقول:"ان ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بيده فئتين عظيمتين من المسلمين"... وهذا الحديث فيه منقبة كبيرة للحسن وأنه سيد، ومن سيادته تنازله عن الخلافة، وفيه أيضا وصف للطائفة الذين مع الحسن ومع معاوية بالاسلام، وهذا الحديث يتضمن منقبة وثناء على معاوية، وذلك أن الرسول (ص) مدح فعل الحسن وتنازله عن الملك لمعاوية ولو كان أن معاوية ليس أهلا للملك لما مدح الرسول (ص) هذا الصلح الذي فيه تنازل الحسن عن الملك".[١٥٨]

ويضيف الشيخ حمد الحميدي على ذلك فيقول:"أخرج ابن عساكر...عن مجاهد قال: **لو رأيتم معاوية لقلتم: هذا المهدي**. وأخرج عن الزهري قال سألت سعيد بن المسيب عن اصحاب رسول الله فقال لي: اسمع يا زهري، من مات محبا لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وشهد للعشرة بالجنة وترحم على معاوية كان حقيقا على الله أن لا يناقشه الحساب.[١٥٩] وأخرج ابن عساكر.. (قال) سئل ابن المبارك عن معاوية فقيل له: ما تقول في معاوية؟ هو عندك أفضل أم عمر بن عبد العزيز؟ فقال: لتراب في منخري

[١٥٧] - المصدر السابق،ص ٥٥ – ٥٦

[١٥٨] - المصدر السابق،ص ٥٨

[١٥٩] - المصدر السابق. ص ١٦٩

معاوية مع رسول الله (ص) خير وأفضل من عمر بن عبد العزيز. وأخرج الخطيب في تاريخه: ان رجلا سأل المعافي بن عمران : أين عمر بن عبد العزيز من معاوية؟ فغضب وقال: لا يقاس بأصحاب رسول الله أحد، معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وأمينه على وحي الله.[١٦٠]

وهكذا يعلق الحميدي قائلا:"فهنيئا لمعاوية رضي الله عنه صحبته للنبي (ص) فقد كان كاتبا للوحي، وجاهد مع الرسول، وكان بينه وبين الرسول نسب وصهر، وولاه عمر وعثمان على الشام وحسبك بمن يؤمره عمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين، وحسبك أيضا بثناء ابن عباس على معاوية في الفقه وحسن السيرة في الملك، وهذا ابن عمر وما قاله في حلمه وسؤدده، **فقد قام رضي الله عنه في حال الولاية والملك خير قيام**، ساس العالم بكمال عقله وفرط حلمه وسعة نفسه وقوة دهائه ورأيه وأرضى الناس بسخائه وحلمه".[١٦١]

نظرية عدالة الصحابة

ونتيجة لكل ذلك قال ابن الصلاح :" **للصحابة بأسرهم خصيصة وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الأجماع من الأمة**".[١٦٢] وقال ابن كثير:"**الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز وبما نطقت به السنة النبوية في المدح لهم في جميع أخلاقهم وأفعالهم وما بذلوه من الأموال والأرواح بين يدي رسول الله (ص) رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل والجزاء الجميل**".[١٦٣] وقال ابن بطة :" ويشهد لجميع المهاجرين والأنصار بالجنة والرضوان والتوبة والرحمة من الله ويستقر علمك وتوقن بقلبك أن رجلا رأى النبي (ص) وشاهده وآمن به واتبعه ولو ساعة من نهار أفضل ممن لم يره ولم يشاهده ولو أتى بأعمال الجنة أجمعين. **ثم الترحم على جميع أصحاب رسول الله (ص) صغيرهم وكبيرهم وأولهم وآخرهم وذكر محاسنهم ونشر فضائلهم والاقتداء بهديهم والاقتفاء لآثارهم، وان الحق في كل ما قالوه والصواب فيما**

---

[١٦٠] – المصدر السابق. ص ١٧٠

[١٦١] – المصدر السابق. ص ١٦٨

[١٦٢] – المصدر السابق. ص ١٨٣

[١٦٣] – المصدر السابق. ص ١٨٤

فعلوه". (الإبانة على أصول السنة والديانة ص ٢٦٣) .[١٦٤] وقال البغوي في تفسيره:" قال أبو صخر حميد بن زياد: أتيت محمد بن كعب القرضي فقلت له: ما قولك في أصحاب رسول الله؟ فقال: **جميع أصحاب رسول الله في الجنة محسنهم ومسيئهم"**.[١٦٥] وقال النووي :" ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم وراوياتهم وكمال عدالتهم رضي الله عنهم أجمعين".[١٦٦]

ويقول الحميدي:"هذه عقيدة أهل السنة والجماعة أن الصحابة رضوان الله عليهم كلهم عدول فلا يسأل عن عدالة أحد منهم بعد تعديل الله عز وجل وتعديل رسوله ، ويكفي في هذه المنزلة منزلة الصحبة المنزلة العالية الشريفة التي لا يبلغها من بعدهم حتى لو عمل ما عمل في ذلك". **فالطاعن في عدالة الصحابة أو بعضهم طاعن في دين الاسلام"**.[١٦٧]

السكوت عما شجر بين الصحابة ووجوب المحبة والثناء والاستغفار لهم

وبناء على كل تلك الآيات والأحاديث يتخذ أهل السنة موقفا إيجابيا من عموم الصحابة بغض النظر عن كل ما جرى بينهم من أمور. يقول الشيخ عبد الله السعد:"هذا بعض ما جاء عن الرسول (ص) في هذه القضايا، **ولا شك أن الواجب على المسلم أن يقبل ويسلم بكل ما جاء عن الرسول** (ص) **لأن هذا مقتضى الإيمان به** (ص) **ولا يكون مؤمنا الا بذلك**، ومقتضى هذا ولازمه **محبة أصحاب رسوله** (ص) **والثناء عليهم والاستغفار لهم وعدم مسبتهم** لا العكس، وهو الكلام في بعضهم والتفتيش عن بعض عيوبهم والقدح في نفر منهم والتقليل من مكانتهم والتنزيل من علو مرتبتهم، ويكون هذا ديدنه وهذا الفعل هو هجيراه ومطلبه، ويبدي ويعيد في هذه المسألة، ويرى الصغير كبيرا ويتبع هواه

---

[١٦٤] – المصدر السابق. ص ١٨٥

[١٦٥] – المصدر السابق. ص ١٨٥

[١٦٦] – المصدر السابق. ص ١٨٦

[١٦٧] – المصدر السابق. ص ١٨٧

ويعمل بما دل عليه الباطل ويرضاه".[١٦٨] ويضيف:"كثر كلام أهل العلم بالأمر بالسكوت عما حصل بين الصحابة رضي الله عنهم، بل نقل الإجماع على ذلك. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: سألت أبي وأبا زرعة عن مذهب أهل السنة وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا ومصر وشاما ويمنا: **فكان من مذهبهم.. الترحم على جميع أصحاب محمد (ص) وعلى آله والكف عما شجر بينهم.اهـ**[١٦٩]

قلت: ودليل هذا قوله تعالى: (والذين جاءوا من بعدهم يقولون:ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا إنك رءوف رحيم) الحشر ١٠ وقوله عليه السلام:" لا تسبوا أصحابي.." و"**اذا ذكر أصحابي فأمسكوا**..".[١٧٠] وقال أبو محمد بن حزم في (كتاب الأحكام ٨٩/٥): " ... من كان كما وصفنا فهو صاحب، وكلهم عدل إمام فاضل رضي، فرض علينا توقيرهم وتعظيمهم وأن نستغفر لهم ونحبهم".[١٧١]

وكان عمر بن العزيز رحمه الله اذا سئل عن صفين والجمل قال: أمر أخرج الله يدي منه لا أدخل لساني فيه. وروى الخلال قال: اخبرنا ابو بكر المروذي قال: قيل لأبي عبد الله ونحن بالعسكر وقد جاء بعض رسل الخليفة وهو يعقوب فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول فيما كان من علي ومعاوية رحمهما الله؟ فقال أبو عبد الله: ما اقول فيها الا الحسنى رحمهم الله أجمعين.

وكتب أحمد لمسدد بن مسرهد فقال له مما قال: والكف عن مساويء أصحاب رسول الله (ص) تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم، ولا تشاور أحدا من اهل البدع في دينك ولا ترافقه في سفر.[١٧٢]

وقال ابن قدامة المقدسي في لمعة الاعتقاد: ومن السنة الكف عن ذكر مساوئهم وما شجر بينهم، واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم.

---

[١٦٨] – المصدر السابق،ص ٦١

[١٦٩] – رواه اللالكائي في السنة (ص٣٢١) وأبو العلا الهمذاني في ذكر الاعتقاد وذم الاختلاف (ص ٩٠ و٩١)

[١٧٠] – الحميدي، الإبانة .**مقدمة الشيخ السعد**،ص ٦٤ – ٦٥

[١٧١] – المصدر السابق، ص ٢٠

[١٧٢] – المصدر السابق. ص ١٧٧

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: ويمسكون عما شجر بين الصحابة ويقولون: ان هذه الآثار المروية في مساويهم، منها ما هو كذب ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغُيِّر عن وجهه الصريح. والصحيح فيه معذورون: اما مجتهدون مصيبون، واما مجتهدون مخطئون.

وقال الأشعري في الإبانة: فأما ما جرى بين علي والزبير وعائشة رضي الله عنهم فانما كان على تأويل واجتهاد وعلي الامام، وكلهم من أهل الاجتهاد، وقد شهد لهم النبي بالجنة والشهادة، فدل على أنهم كلهم كانوا على حق في اجتهادهم، وكذلك ما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهم كان على تأويل واجتهاد، وكل الصحابة أئمة مأمونون غير متهمين في الدين.

وقال القاضي عياض في شرحه لصحيح مسلم: ومعاوية من عدول الصحابة وأفاضلهم، وما وقع من حروب بينه وبين علي وما جرى بين الصحابة من الدماء فعلى التأويل والاجتهاد، وكل يعتقد أن ما فعله صواب وسداد.[١٧٣]

وقال ابن بطة رحمه الله في النهي عن الخوض في أحداث الفتنة الكبرى:"ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله (ص) فقد شهدوا المشاهد معه وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمرك بالاستغفار لهم والتقرب اليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وانما فضلوا على سائر الخلق؛ لأن الخطأ والعمد قد وضع عنهم، وكل ما شجر بينهم، مغفور لهم. ولا ينظر في كتاب صفين والجمل ووقعة الدار وسائر المنازعات التي جرت بينهم، ولا تكتبه لنفسك ولا لغيرك ولا تروه عن أحد ولا تقرأه على غيرك ولا تسمعه ممن يرويه. فعلى ذلك اتفاق سادات علماء هذه الأمة من النهي عما وصفناه، منهم: حماد بن زيد ويونس بن عبيد وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة وعبد الله بن ادريس ومالك بن أنس وابن أبي ذئب وابن المنكدر وابن المبارك وشعيب بن حرب وأبو اسحاق الفزاري ويوسف بن أسباط وأحمد بن حنبل وبشر بن الحارث وعبد الوهاب الوراق، كل هؤلاء قد رأوا النهي عنها والنظر فيها والاستماع اليها وحذروا من طلبها والاهتمام بجمعها، وقد روي عنهم فيمن فعل ذلك أشياء كثيرة بألفاظ مختلفة المعنى على كراهية ذلك والانكار على من رواها واستمع اليها".[١٧٤]

---

[١٧٣] – المصدر السابق. ص ١٧٨

[١٧٤] – المصدر السابق. ص ١٧٦ عن (الإبانة لابن بطة ص ٢٦٨)

وقال الإمام النووي:"فضيلة الصحبة، ولو لحظة، لا يوازيها عمل، ولا تُنال درجتها بشيء، والفضائل لا تؤخذ بقياس، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء".

وقال القحطاني في نونيته:

قل خير قول في صحابة أحمد   وامدح جميع الآل والنسوان

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم   وكلاهما في الحشر مرحومان

والله يوم الحشر ينزع كل ما   تحوي صدورهم من الأضغان[١٧٥]

تكفير من يسب الصحابة

ومن هنا فان أهل السنة اتخذوا موقفا سلبيا عنيفا ضد كل من يسب أحدا من الصحابة، سواء كان من الشيعة أو من غيرهم. واعتبروه "رافضيا". وربما كانوا يعنون بالسب حتى مجرد النقد. فقد أخرج ابن عساكر.. عن الفضل بن زياد قال سمعت أبا عبد الله (أحمد بن حنبل) وسئل عن رجل انتقص معاوية وعمرو بن العاص أيقال له "رافضي"؟ قال: انه لم يجترىء عليهما الا وله خبيئة سوء، ما يبغض أحدا من أصحاب رسول الله (ص) الا وله داخلة سوء.

وقال عبد الله المبارك:معاوية عندنا محنة، فمن رأيناه ينظر الى معاوية شزرا اتهمناه على القوم، أعني على أصحاب محمد (ص). وقال رجل لأحمد رحمه الله: لي خال ذكر انه ينتقص معاوية وربما أكلت معه، فقال أبو عبد الله مبادراً: **لا تأكل معه**. [١٧٦] وكتب أحمد الى عبدوس بن مالك عن اصول السنة فقال:

---

[١٧٥] – المصدر السابق. ص ١٧٨

[١٧٦] – المصدر السابق. ص ١٧٣ عن (تاريخ ابن عساكر ٢٠٨/٥٩ و البداية والنهاية١٣٩/٨) و (السنة للخلال ح٦٩٣)

من اصول السنة: ومن انتقص واحدا من اصحاب رسول الله (ص) أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساويه، كان مبتدعا حتى يترحم عليهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما.[١٧٧]

وذكر الخلال في السنة: أخبرنا أبو بكر المروذي قال سألت أبا عبد الله عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة. قال: ما أراه على الاسلام، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال مالك: الذي يشتم أصحاب النبي ليس لهم سهم أو قال: نصيب في الاسلام.

وقال أيضا: أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال: سمعت أبا عبد الله قال: **من شتم أخاف عليه الكفر مثل الروافض، ثم قال: من شتم أصحاب النبي (ص) لا نأمن أن يكون قد مرق عن الدين.**

وقال أيضا: أخبرنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سألت أبي عن رجل شتم رجلا من أصحاب النبي (ص) فقال: **ما أراه على الاسلام**. و قال أحمد بن حنبل: "إذا رأيت أحدا يذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوء **فاتهمه على الإسلام**". وقال أبو زرعة الرازي: "إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **فاعلم أنه زنديق** ". وقال إسحاق بن راهويه: "من شتم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم **يعاقب ويحبس**"، وقال القاضي أبو يعلى: "الذي عليه الفقهاء في سب الصحابة إن كان **مستحلا لذلك كفر** وإن لم يكن مستحلا لذلك فسق "، وقال ابن تيمية: "من زعم أن الصحابة ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا نفر قليل لا يبلغون بضعة عشر نفسا أو أنهم فسقوا عامتهم **فلا ريب في كفره** ". وقال ابن عابدين: "من سب الشيخين – أبا بكر وعمر – أو طعن فيهما **كفر ولا تقبل توبته** " .

ولا غرابة بعد ذلك في أن يتساءل الشيخ الحميدي قائلا:"فهل بعد هذه الآيات التي بين ربنا فيها رضاه وتوبته على هؤلاء الصحابة يتجرأ على سبهم الا **كافر كالرافضة، أو زنديق أو مبتدع ضال؟**".[١٧٨] "انظر الى رسول الله (ص) يدعو لهم بالمغفرة والأكرام وبالصلاح وبالبركة، ثم يأتي بعد ذلك من يسب صحابته ويلعنهم ويكفرهم ويتهمهم بالنفاق وغير ذلك. وهذه الأوصاف حقيقة بمن سبهم، قال تعالى: (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) فقد حذر بنا مخالفة أمر رسوله (ص) وعدم اتباع سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته، اذ الأقوال والأعمال توزن بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل، وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله، وان قائل ذلك أو **فاعله**

---

[١٧٧] – المصدر السابق. ص ١٧٧

[١٧٨] – المصدر السابق. ص٧٩

مجاد لله ورسوله، وانه ذليل مهان، كما قال تعالى (ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين) **ومن أعظم محادة الله ورسوله سب أوليائه** وأعظمهم بعد أنبياء الله ورسله، هؤلاء الصحابة الذين اصطفاهم الله واختارهم لصحبة نبيه محمد (ص). ".[١٧٩]

ولا يكتفِ الحميدي بالهجوم على من ينتقد معاوية ، وانما يشن هجوما لاذعا على من يطعن في إسلام أبيه أو يشك فيه، ويقول:"من طعن في اسلام ابي سفيان أو شك فيه فهو ضال عن الصراط المستقيم مخالف لإجماع الأمة والنصوص الواردة في ذلك...وقد شهد مع رسول الله حنين، وسمى الله من كان مع النبي يوم حنين مؤمنين، قال تعالى: (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين). التوبة ٢٥-٢٦ قال ابن حجر في الإصابة: فقدت الأصوات يوم اليرموك الا صوت رجل يقول: يا نصر الله اقترب، قال : فنظرت فاذا هو ابو سفيان تحت راية ابنه يزيد.[١٨٠]

ويقول الحميدي:"**ان الروافض أتباع ابن سبأ هم شر من وطأ الحصى فحذرهم المسلمون وكانوا بهم مستبصرين،** ولم يزل ذلك دأبهم يأخذه خلف عن سلف الى أن انفتحت الدنيا في هذه الأزمان واختلط بسببها أهل الاسلام بأهل الأوثان وأهل السنة بأهل البدعة، فأخذت فرق أهل الأهواء تبث سمومها وتروق على الجهال مشربها، **فاغتر بهم من لم يرد الله ان يطهر قلوبهم**... فلما صدروا بعد هذا النهل الوبي **أدخلوا في صفوف أهل السنة الحط من قدر صحابة النبي (ص).**[١٨١]

ويضيف:"بعض من الضلال الزائغين عن الطريق السوي ربما يكتبون أو في بعض المجالس يعقد لهم كلمات في الصحابة وعدالتهم، وتجد مثل هؤلاء ظاهره الفسق ولربما لا يعرف الصلاة في المساجد، كيف يكون مثل هؤلاء يتكلمون في **خير الخليقة بعد النبيين والمرسلين؟** ولربما أيضا أخرج معاوية

[١٧٩] - المصدر السابق. ص ٨٢

[١٨٠] - المصدر السابق. ص ١٦١

[١٨١] - المصدر السابق. ص ٧٢

ومن معه من الصحابة الذين أسلموا في الفتح وما بعده من صحبة الرسول ولا يعدهم من الصحابة ولا يعد الصحابة الا المهاجرين والأنصار، وان غير هؤلاء ليسوا كلهم بعدول".[١٨٢]

وينقل عن ابن كثير قوله:" **قد أخبر الله العظيم أنه رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان.** فيا ويل **من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم** ولا سيما سيد الصحابة بعد الرسول وخيرهم وأفضلهم أعني الصديق الأكبر والخليفة الأعظم أبا بكر بن أبي قحافة رضي الله عنه، فان الطائفة المخذولة من الرافضة يعادون أفضل الصحابة ويبغضونهم ويسبونهم عياذا بالله من ذلك. وهذا يدل على أن عقولهم معكوسة وقلوبهم منكوسة، فأين هؤلاء من الإيمان بالقرآن اذ يسبون من رضي الله عنهم؟..".[١٨٣]

واستمرارا لذلك الموقف السلبي التاريخي من الشيعة ومن كل من ينتقد الصحابة، تقوم اليوم حملات إعلامية مضادة للشيعة "الروافض" تكفرهم وتبدعهم وتضللهم وتعتبرهم خارج إطار الاسلام والمسلمين، وترفض أي لقاء معهم. بالرغم من أن كثيرا من الشيعة المعاصرين لا يعرف من التشيع الا الاسم، وقد لا يتخذ موقفا سلبيا من أي صحابي، ولا يفقه كثيرا بصراعات التاريخ القديمة. ولا يشفع للشيعة أنهم يؤمنون بالله الواحد وبرسوله وباليوم الآخر.[١٨٤]

الانتقائية في التكفير

---

[١٨٢] – المصدر السابق. ص ١٧١

[١٨٣] – المصدر السابق. ص ٧٦

[١٨٤] – ويوجد أيضا من يرفض تكفير الشيعة، مثل الدكتور يوسف شوقي ياووز، الذي قال في الندوة العلمية الدولية عن الشيعة والتشيع:" نستطيع أن نقول أن من أهم ما يؤخذ على الامامية من علماء أهل السنة والمعتزلة والزيدية.. اعتبار أئمتهم موصوفين بصفات عالية مثل العلم بالغيب والعصمة عن الخطأ استمرارا للنبوة، وتقديسهم للأئمة والافراط في حبهم، ثم عدم حبهم للصحابة الذين كانوا بلا شك أولياء الله ورسوله. ومع ذلك فاننا لن نستطيع أن نكفرهم بسبب بعض آرائهم الخطيرة ما دمنا في حالة الوفاق (أو الاتفاق)، خصوصا في أركان الإيمان مثل الإيمان بالله وبنبوة رسول الله (ص) وبحقية اليوم الآخر، وفي المباديء الاسلامية من أداء الفرائض من الصلاة والصوم والحج والزكاة والامتناع عن المحارم من الربا والخمر والميسر والزنا وغيرها".
الندوة العلمية الدولية حول التشيع ، ص ٦٩٣-٦٩٤

من الواضح ان النظرية السنية حول الصحابة، جعلت منهم مادة دينية رغم أنهم بشر، في حين أنهم لم يكونوا يشكلون جزءا من العقيدة الاسلامية، ولكن تبلور تلك النظرية في وقت متأخر، جعل موضوع الصحابة أهم فاصل بين المسلمين.

ورغم أن نظرية (تعظيم الصحابة) الى تلك الدرجة التي ترفعهم الى درجة (العصمة) وحتمية غفران الله لذنوبهم وإدخالهم الجنة وعدم دخولهم النار، كانت نظرية حادثة اجتهادية، الا انها لم تكن تستند الى نص صريح من القرآن الكريم، وان كانت تأوِّل بعض الآيات، ولكنها كانت تغفل آيات آخرى مقيدة للأولى أو مخصصة لها أو حتى مناقضة لها، وكذلك لم تكن تستند الى نصوص نبوية قطعية ومتواترة، ما عدا بعض أخبار الآحاد الضعيفة والمشكوك فيها، ولم يكن يوجد حولها إجماع خاصة في الجيل الأول. ومع ذلك فانها شكلت مادة للحكم على كثير من المسلمين بالكفر والضلال، وغطت على كثير من القواسم المشتركة الرئيسية بينهم.

وبما أن التاريخ كان يشكل شاهدا مزعجا دائما للنظرية السنية حول الصحابة، فان "السنة" كانوا يحاولون التخلص من التاريخ بأية وسيلة أو إخراجه بعيدا عن قاعة المحكمة، حيث كان يتم التصريح باستمرار بضرورة الكف عن النظر والتفكير في أحداث الفتنة، وإغلاق ملف الصحابة بخيره وشره، أو العمل من أجل تأويل ما قام البعض منهم من أخطاء. ويحاول بعض أئمة السنة قراءة التاريخ بشكل انتقائي، وإعادة كتابته من جديد، كما فعل الامام أحمد بن حنبل الذي كان يضع أصبعيه في أذنيه في قاعة درس التاريخ حتى لا يسمع ما لا يعجبه، ثم يقوم بكتابة ما يحلو له بعد ذلك.

يقول أبو بكر الخلال في (السنة) : ان أحمد بن حنبل كان يقول:" ما يعجبني أن يروي الرجل حديثا فيه على أصحاب رسول الله شيء. قال وإني لأضرب على غير حديث مما فيه على أصحاب رسول الله شيء ". وقال:" أخبرني العباس بن محمد الدوري قال ثنا إبراهيم أخو أبان بن صالح قال كنت رفيق أحمد بن حنبل عند عبدالرزاق قال فجعلنا نسمع فلما جاءت تلك الأحاديث التي فيها بعض ما فيها قام أحمد بن حنبل فاعتزل ناحية وقال ما أصنع بهذه فلما انقطعت تلك الأحاديث فجاء فجعل يسمع ". **وينقل عن** عبد الرزاق أحمد وخلف ورجل آخر فلما مرت أحاديث المثالب وضع أحمد بن حنبل إصبعيه في أذنيه طويلا حتى مر بعض الأحاديث ثم أخرجهما ثم ردهما حتى مضت الأحاديث كلها أو كما قال. [١٨٥]

ورغم ما ينقل عن بعض شيوخ أهل الحديث من التكفير والتبديع والمقاطعة لمن يسب أو ينتقد الصحابة، فانهم لم يكونوا يلتزمون بهذا الموقف أحيانا، أو يلتزمون به انتقائيا، حيث لم يكفر أحد من أئمة أهل السنة، الأمويين الذين كانوا يسبون الامام علي على المنابر لمدة ستين عاما. وكذلك لم يكفر

[١٨٥] - أبو بكر الخلال ، السنة،ج٣ ص٥٠٢

أحد منهم الخلفاء العباسيين الأوائل "الرافضة" الذين كانوا ينتقدون أبا بكر وعمر وعثمان. وقد أدى ذلك الى نشوء حالة من اختلاط القيم، كما في حادثة الترضي على الصحابي حجر بن عدي وقاتله ظلما معاوية، حسبما تقول هذه العبارة التي توجد على قبره الى اليوم:" هذا قبر سيدنا حجر بن عدي رضي الله الذي قتله سيدنا معاوية رضي الله عنه".

ويمكن ملاحظة التناقض والانتقائية بوضوح في سياسة الخليفة العباسي المتوكل المتشددة تجاه من يسب الصحابة، إذ يقال انه ضرب شخصا ألف سوط حتى الموت وأمر بإلقاء جثته في دجلة بلا صلاة بتهمة سب الصحابة، ولكنه شخصيا لم يكن يتورع عن سب الامام علي والاستهزاء به في مجالسه أمام الناس.[١٨٦] ومع ذلك كان الامام أحمد بن حنبل يعتبره "ناصراً للسنة".[١٨٧]

---

[١٨٦] – يذكر الطبري قصة ضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب خان عاصم ببغداد ألف سوط. فيقول: ذكر الخبر عن سبب ضربه وما كان من أمره في ذلك وكان السبب في ذلك أنه شهد عند أبي حسان الزياديّ قاضي الشرقية عليه أنه شتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة، سبعة عشر رجلاً؛ شهاداتهم – فيما ذكر – مختلفة من هذا النحو؛ فكتب بذلك صاحب بريد بغداد إلى عبيد اللّه ابن يحيى بن خاقان، فأنهى عبيد اللّه ذلك إلى المتوكل، فأمر المتوكل أن يكتب إلى محمد بن عبد اللّه بن طاهر يأمره بضرب عيسى هذا بالسياط، فإذا مات رمى به في دجلة، ولم تدفع جيفته إلى أهله.

فكتب عبيد اللّه إلى الحسن بن عثمان جواب كتابه إليه في عيسى: بسم اللّه الرحمن الرحيم؛ أبقاك اللّه وحفظك، وأتمّ نعمته عليك؛ وصل كتابك في الرّجل المسمّى عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم صاحب الخانات، وما شهد به الشهود عليه من شتم أصحاب رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولعنهم وإكفارهم، ورميهم بالكبائر، ونسبتهم إلى النفاق؛ وغير ذلك مما خرج به إلى المعاندة للّه ولرسوله صلى اللّه عليه وسلم، وتثبّتك في أمر أولئك الشهود وما شهدوا به، وما صحّ عندك من عدالة من عدل منهم، ووضح لك من الأمر فيما شهدوا به، وشرحك ذلك في رقعة درج كتابك؛ فعرضت على أمير المؤمنين أعزّه اللّه ذلك؛ فأمر بالكتاب إلى أبي العباس محمد بن طاهر مولى أمير المؤمنين أبقاه اللّه بما قد نفذ إليه، مما يشبه ما عنده أبقاه اللّه، في نصرة دين اللّه، وإحياء سنّته، والانتقام ممن ألحد فيه، وأن يضرب الرجل حداً في مجمع الناس حد الشتم، وخمسمائة سوط بعد الحد للأمور العظام التي اجترأ عليها، فإن مات ألقى في الماء من غير صلاة ليكون ذلك ناهياً لكل ملحد في الدين، خارج من جماعة المسلمين؛ وأعلمتك ذلك لتعرفه إن شاء اللّه تعالى – والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته.

الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ص ٢٢٧٧

[١٨٧] – وذلك رغم موقف الامام أحمد الايجابي من الامام علي، قال أحمد بن زرارة المقريء: سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول: "من لم يربع بعلي بن أبي طالب في الخلافة، فلا تكلموه ولا تناكحوه". الحميدي، الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة. ص ١٠٥ (عن طبقات الحنابلة ٤٥/١)

وكذلك في الموقف المتردد من يزيد بن معاوية الذي قتل الحسين وأهل بيته في كربلاء ، وأغار على حرم الرسول في المدينة المنورة وقتل الآلاف من سكانها بما فيهم العشرات أو المئات من الصحابة من المهاجرين والأنصار، وأبنائهم الأخيار، في واقعة الحرة الشهيرة. والترضي على يزيد بن معاوية بحديث مختلق "يشهد له أو لمن غزا بالمغفرة".[188]

ولا يجد الذهبي مثلا مبررا لإدانة يزيد بن معاوية على جرائمه الكثيرة المنكرة، فيقول مثلا: "ويزيد ممن لا نسبه ولا نحبه" ويحاول أن يخفف من جرائمه بمقارنته بملوك آخرين من بني أمية وبني العباس أشرَّ منه، ويقول:"إنما عظم الخطب لكونه وُلِّيَ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بتسع وأربعين سنة، والعهد قريب، والصحابة موجودون، كابن عمر الذي كان أولى بالأمر منه ومن أبيه وجده".
وكان موقف الذهبي هذا امتدادا لموقف الفقيه الحنبلي عبد المغيث الحربي الذي صنف كتابا في منع لعن يزيد. ولكنه بالطبع لم يكن يمثل موقف عامة السنة أو الحنابلة الذين وجد فيهم من يجاهر بلعن يزيد، كأبي الفرج بن الجوزي الذي صنف كتابا في الرد على الحربي أسماه:" الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد".

٣- موقف الشيعة من الصحابة

أ- الموقف الإيجابي الأول

---

[188] - قال أبو نعيم الاصبهاني، في حلية الأولياء، ص ٨٣٣: "حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن المعلى، حدثنا سفيان بن عبد الرحمن، حدثنا أيوب بن حسان الجرشي، حدثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود: أنه حدثه أنه أتى عبادة بن الصامت وهو بساحل حمص في ماله، ومعه امرأته أم حرام بنت ملحان، قال ابن الأأسود: فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا "، قالت أم حرام: يا رسول الله أنا فيهم؟ قال: أنت فيهم، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم، قالت أم حرام: أنا منهم يا رسول الله؟ قال: لا ".

وقال ابن الأثير في الكامل في التاريخ:" سنة تسع و أربعين . فيها غزا يزيد بن معاوية بلاد الروم حتى بلغ قسطنطينية. و قد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : "أول جيش يغزون مدينة قيصر مغفور لهم" فكان هذا الجيش أول من غزاها ، و ما وصلوا إليها حتى بلغوا الجهد".

إذن فان الفتنة الكبرى التي عصفت بالجيل الأول من المسلمين، فتحت الباب أمام عمليات نقد واسعة ضد عدد من الصحابة الذين قادوا الحروب والمعارك منذ حصار عثمان وقتله مرورا بحرب الجمل وانتهاء بحرب صفين. ولم يكن نقد الصحابة (أو سبهم أو لعنهم أو تكفيرهم) يقتصر على الشيعة الذين لم يكونوا قد تبلوروا بعد كطائفة خاصة، وانما كانوا لا يزالون حزبا سياسيا يوالي الامام علي، أو كانوا في فترة معينة يمثلون التيار العام للمسلمين في عهد حكم الامام، ثم تشعب منهم "الخوارج" الذين انشقوا على الامام علي وكفروه، واندمج قسم آخر منهم في صفوف معاوية بعد تنازل الامام الحسن عن الخلافة. وبما أن الشيعة في ذلك الوقت لم يكونوا يمتلكون أية نظرية سياسية خاصة بهم كنظرية الامامة الالهية التي ولدت فيما بعد، فقد كان موقفهم من الشيخين الجليلين الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) موقفا إيجابيا وعاديا كموقف بقية المسلمين، وكانوا يكنون لهما كل المحبة والتقدير، بل وعمل بعض قادة الحزب الشيعي ولاة لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، مثل سلمان الفارسي الذي أصبح والي المدائن، وعمار بن ياسر والبراء بن عازب، وحذيفة بن اليمان، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وحجر بن عدي، وهاشم المرقال، ومالك الأشتر. وعندما استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه علياً عليه السلام في الشخوص لقتال الفرس بنفسه، قال له الإمام :"(إن هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه بكثرة ولا قلة، وهو دين الله من الله، والله منجز وعده وناصر جنده، والعرب اليوم وإن كانوا قليلاً فهم كثيرون بالإسلام، وعزيزون بالاجتماع. فكن قطباً واستدر الرُّحى بالعرب، وأصلهم دونك نار العرب، فإنك إن شخصت – أي خرجت – من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من أطرافها وأقطارها، حتى يكون ما تدع وراءك من العورات أهمَّ إليك مما بين يديك. إن الأعاجم إن ينظروا إليك غداً يقولوا: هذا أصل العرب، فإذا قطعتموه استرحتم، فيكون ذلك أشد لكلبهم عليك وطمعهم فيك". نهج البلاغة

وهناك رواية يذكرها ابن قتيبة الدينوري ومصادر شيعية أخرى، تؤكد هذا المعنى، وتقول:

– إن حجر بن عدي وعمرو بن الحمق ، وعبد الله بن وهب الراسبي، دخلوا على علي ، فسألوه عن أبي بكر وعمر: ما تقول فيهما؟ وقالوا: بين لنا قولك فيهما وفي عثمان. فقال علي: وقد تفرغتم لهذا؟ وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي فيها قد قتلت؟ إني مخرج اليكم كتابا أنبئكم فيه ما سألتموني عنه فاقرءوه على شيعتي، فأخرج اليهم كتابا فيه:

"... فلما مضى (رسول الله) تنازع المسلمون الأمر بعده، فوالله ما كان يلقى في روعي ولا يخطر على بالي أن العرب تعدل هذا الأمر عني، فما راعني الا إقبال الناس على أبي بكر، وإجفالهم عليه، فأمسكت يدي، ورأيت أني أحق بمقام محمد في الناس ممن تولى الأمور علي، فلبثت بذلك ما شاء الله، حتى رأيت راجعة من الناس رجعت عن الاسلام يدعون الى محو دين محمد وملة ابراهيم عليهما السلام،

فخشيت إن أنا لم انصر الاسلام واهله أن أرى في الاسلام ثلما وهدما ، تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولاية أمركم التي إنما هي متاع أيام قلائل ثم يزول منها ما كان كما يزول السراب، فمشيت عند ذلك الى أبي بكر فبايعته، ونهضت معه في تلك الاحداث حتى زهق الباطل، وكانت كلمة الله هي العليا، وأن يرغم الكافرون. **فتولى أبو بكر رضي الله عنه تلك الأمور فيسّر وسدّد وقارب واقتصد، فصحبته مناصحا وأطعته فيما اطاع الله فيه جاهدا،** فلما احتضر بعث الى عمر فولاه فسمعنا وأطعنا، وبايعنا وناصحنا، فتولى تلك الأمور **فكان مرضي السيرة ميمون النقيبة أيام حياته** ، فلما أحتضر قلت في نفسي: ليس يصرف هذا الامر عني، فجعلها شورى وجعلني سادس ستة... ثم قالوا لي: هلم فبايع عثمان، والا جاهدناك، فبايعت مستكرها وصبرت محتسبا، وقال قائلهم: انك يا ابن ابي طالب على الأمر لحريص، فقلت لهم: أنتم أحرص... حتى اذا نقمتم على عثمان فقتلتموه، ثم جئتموني تبايعونني، فأبيت عليكم وأبيتم علي، فنازعتموني ودافعتموني ، ولم أمدَّ يدي ، تمنعا عنكم، ثم ازدحمتم علي، حتى ظننت أن بعضكم قاتل بعض، وأنكم قاتلي، وقلتم: لا نجد غيرك، ولا نرضى الا بك، فبايعنا لا نفترق عنك ولا نختلف، فبايعتكم ودعوتم الناس الى بيعتي فمن بايع طائعا قبلت منه، ومن أبى تركته، فأول من بايعني طلحة والزبير، ولو أبيا ما أكرهتهما، كما لم أكره غيرهما، فما لبثا الا يسيرا حتى قيل لي : قد خرجا الى البصرة في جيش ما منهم رجل الا وقد أعطاني الطاعة وسمح لي بالبيعة...".[١٨٩]

وعندما جدد الشيعة بيعتهم للامام علي بعد خروج الخوارج إلى حروراء والنهروان قالوا له: نحن أولياء من واليت وأعداء من عاديت. فشرط لهم الامام أن يوالوا من والى على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويعادوا من عادى على سنته، فجاء ربيعة بن أبي شداد الخثعمي – وكان صاحب راية خثعم في جيش الإمام أيام الجمل وصفين– فقال له الإمام: بايع على كتاب الله وسنة رسوله. فقال ربيعة: وعلى سنة أبي بكر وعمر. فقال الإمام: لو أن أبا بكر وعمر عملا بغير كتاب الله وسنة رسول الله لم يكونا على شيء من الحق.

وقال الامام أمير المؤمنين عليه السلام في رسالته التي بعث بها إلى أهالي مصر مع قيس بن سعد بن عبادة واليه على مصر:".. **فلما قضى (رسول الله) من ذلك ما عليه قبضه الله عز و جل صلى الله عليه ورحمته و بركاته، ثم إن المسلمين استخلفوا به أميرين صالحين عملا بالكتاب والسنة و أحسنا السيرة ولم يعدُوَا لِسُنَّتِهِ ثم توفّاهما الله عز و جل رضي الله عنهما".**[١٩٠]

---

[١٨٩] – الدينوري، ابن قتيبة، الامامة والسياسة ج١ ص ١٣٣-١٣٤

[١٩٠] – إبراهيم بن هلال الثقفي في كتابه: " **الغارات** " ج١/ص٢١٠ ، و السيد علي خان الشوشتري في كتابه " **الدرجات الرفيعة** " ص ٣٣٦ ، و الطبري في **تاريخ الأمم و الملوك**، ج٣/ص٥٥٠

وقال عليه السلام عن أخيه عمر بن الخطاب بالخصوص:"..**لقد قوَّم الأود و داوى العمد و أقام السنة و خلَّف الفتنة، ذهب نقيَّ الثوب، قليل العيب، أصاب خيرها و سبق شرَّها، أدَّى إلى الله طاعته واتَّقاه بحقِّه"**.[١٩١]

وتجلى هذا الموقف الإيجابي من الشيخين أيضا في ثقافة أهل البيت عليهم السلام، وخصوصا في دعاء الامام السجاد علي بن الحسين، الذي يقول فيه:"... اللهمّ وأصحاب محمد صلى الله عليه وآله خاصة الذين أحسنوا الصحبة والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث اسمعهم حُجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته وانتصروا به، وما كانوا منطوين على محبته يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس لهم اللهمّ تركوا لك وفيك وأرضهم من رضوانك".[١٩٢]

وقد روى الكليني في (الروضة من الكافي) عن أبي بصير قال:"كنت جالساً عند أبي عبد الله عليه السلام، إذ دخلت علينا أم خالد تستأذن عليه، فقال أبو عبد الله: أيسرك أن تسمع كلامها؟ قال: فقلت: نعم، قال: فأذن لها، قال: وأجلسني معه على الطنفسة، قال: ثم دخلت فتكلمت، فإذا امرأة بليغة، فسألته عنهما – أي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما – فقال لها: توليهما، قالت: فأقول لربي إذا لقيته: إنك أمرتني بولايتهما، قال: نعم".

وينقل كثير من المصادر السنية: أن الامام علي كان يقول: **"لا أُوتَى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حدَّ المفتري"**.[١٩٣] حتى ان القاضي المعتزلي عبد الجبار الهمداني نقل في كتاب (تثبيت النبوة) أن أبا القاسم نصر بن الصباح البلخي قال في (كتاب النقض على ابن الراوندي): أن سائلا **سأل شريك بن عبد الله فقال له: أيهما أفضل أبو بكر أو علي؟ فقال له: أبو بكر. فقال السائل: تقول هذا وأنت شيعي؟ فقال له: نعم، من لم يقل هذا فليس شيعياً**. والله لقد رقي هذه الأعواد علي فقال:"ألا إن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر". وسواء صحت هذه الرواية أم لم تصح، وذلك لأن الشيعة عموما كانوا يُعرفون تاريخياً بتفضيلهم الامام علي، فان من الثابت أن الشيعة في القرن الأول كانوا يحترمون الشيخين ويوقرونهما أشد توقير، ولم تكن لهم مؤاخذات الا على بعض الصحابة الذين حاربوا الامام علي أو اختلفوا معه. وهذا ما يؤكده إمام أهل السنة في القرن الخامس الهجري اللالكائي

[١٩١] – نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٨

[١٩٢] – الصحيفة السجادية: الدعاء الرابع

[١٩٣] – البخاري ، حديث رقم ٣٦٧١

حيث يروي عن ... حريث بن ابي مطر سمعت سلمة يقول: جالست المسيب بن نخبة (نجية) الفزاري في هذا المسجد عشرين سنة وناسا من الشيعة كثيرا فما سمعت أحدا منهم تكلم في أحد من اصحاب رسول الله الا بخير، وما كان الكلام الا في علي وعثمان.[١٩٤]

وهو ما يؤكده أيضا محب الدين الخطيب بقوله:"من الظواهر التي تسترعي الأنظار في تاريخ هذه الفترة أن الغلاة من الفريقين –فريق الشيعة وفريق الخوارج– كانوا سواء في الحرمة للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، تبعاً لما كان عليه أمير المؤمنين علي نفسه، وما كان يعلنه على منبر الكوفة من الثناء عليهما والتنويه بفضلهما".[١٩٥]

أجل.. ان التاريخ يسجل: أن الأجيال الأولى من الشيعة، وخاصة في القرن الأول الهجري قالت: "إن عليا كان أولى الناس بعد رسول الله لفضله وسابقته وعلمه ، وهو افضل الناس كلهم بعده ، و أشجعهم وأورعهم وأزهدهم" . وأجازوا مع ذلك إمامة أبى بكر وعمر وعدوهما أهلا لذلك المكان والمقام ، وذكروا: "إن عليا سلم لهما الأمر ورضي بذلك وبايعهما طائعا غير مكره وترك حقه لهما ، فنحن راضون كما رضي المسلمون له ، ولمن بايع ، لا يحل لنا غير ذلك، ولا يسع منا أحدا إلا ذلك، وان ولاية أبى بكر صارت رشدا وهدى لتسليم علي ورضاه ".[١٩٦]

بينما قالت فرقة أخرى من الشيعة :" إن عليا افضل الناس لقرابته من رسول الله ولسابقته وعلمه ولكن كان جائزا للناس أن يولوا عليهم غيره إذا كان الوالي الذي يولونه مجزئا ، أحبّ ذلك أو كرهه، فولاية الوالي الذي ولوا على أنفسهم برضى منهم رشد وهدى وطاعة لله عز وجل ، وطاعته واجبة من الله عز وجل".[١٩٧]

وقال قسم آخر منهم :" إن إمامة علي بن أبى طالب ثابتة في الوقت الذي دعا الناس واظهر أمره".[١٩٨]

ب– الموقف الثاني، بعد القول بنظرية الإمامة

---

[١٩٤] – اللالكائي، كتاب السنة، موقف الشيعة من ابي بكر وعمر، حديث رقم ٢٦١٣

[١٩٥] – محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة، ويليها مؤتمر النجف

http://www.fnoor.com/books.htm

[١٩٦] – النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢٢، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص ١٨

[١٩٧] – النوبختي، فرق الشيعة، ص ٢١، والأشعري القمي، المقالات والفرق، ص ١٨

[١٩٨] – النوبختي، فرق الشيعة، ص ٥٤

ولكن ما أن انتهى القرن الهجري الأول، وتعرض الشيعة الى ضغوط سياسية شديدة ومجازر وملاحقات وتعذيب على أيدي الأمويين، حتى نشأ لدى فريق صغير منهم نوع من التطرف والغلو، كما يحصل في أي تيار يتوسع شعبيا ويتعرض لضغوط مماثلة، فنشأت نظرية الإمامة الالهية، التي تحصر الحق في الحكم والخلافة في أهل البيت، ولا تكتفي بالقول أنهم أولى وأحق من غيرهم، وعادت الى الوراء لتقول بأن النبي الأكرم (ص) قد عين الامام عليا خليفة من بعده ونص عليه، وان الإمامة تنحصر في ذريته الى يوم القيامة. وقد انعكست هذه النظرية سلبا على مبدأ الشورى والخلفاء الراشدين الذين اعتبرتهم النظرية "غاصبين" للخلافة من الامام علي.

وقد ظهرت هذه النظرية أول ما ظهرت في الكوفة، أثناء ثورة الامام زيد بن علي على هشام بن الحكم سنة ١٢٢، وأدت الى انشقاق "الرافضة" عن الحركة الشيعية العامة.

ولنستمع الى الطبري وهو يحدثنا عن هذه القصة من البداية، حيث يقول:

– اجتمعت إليه (الى زيد) جماعة من رءوسهم ، فقالوا : رحمك الله ! ما قولك في أبي بكر و عمر؟ قال زيد : رحمهما الله و غفر لهما ، ما سمعت أحداً من أهل بيتي يتبرأ منهما و لا يقول فيهما إلا خيراً ، قالوا : فلم تطلب إذاً بدم أهل هذا البيت، إلا أن وثبا على سلطانكم فنزعاه من أيديكم ! فقال لهم زيد : إن أشد فيما ذكرتم أنا كنا أحق بسلطان رسول الله صلى الله عليه و سلم من الناس أجمعين ، و إن القوم استأثروا علينا ، و دفعونا عنه ، **و لم يبلغ ذلك عندنا بهم كفراً** ، **قد ولوا فعدلوا في الناس ، و عملوا بالكتاب و السنة** . قالوا : فلم يظلمك هؤلاء (الأمويون) ! و إن كان أولئك لم يظلموك ، فلم تدعوا إلى قتال قوم ليسوا لك بظالمين ! فقال : **و إن هؤلاء ليسوا كأولئك** ، **إن هؤلاء ظالمون لي و لكم و لأنفسهم** ، و إنما ندعوكم إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ، و إلى السنن أن تحيا ، و إلى البدع أن تطفأ ، فإن أنتم أجبتمونا سعدتم ، و إن أنتم أبيتم فلست عليكم بوكيل . ففارقوه و نكثوا بيعته ، و قالوا : سبق الإمام . و كانوا يزعمون أن أبا جعفر محمد بن علي أخا زيد بن علي هو الإمام ، و كان قد هلك يومئذ . و كان ابنه جعفر بن محمد حياً ، فقالوا : جعفر إمامنا اليوم بعد أبيه ، و هو أحق بالأمر بعد أبيه ، و لا نتبع زيد بن علي فليس بإمام . فسماهم زيد "**الرافضة**". وكانت منهم طائفة قبل خروج زيد مروا إلى جعفر بن محمد بن علي ، فقالوا له : إن زيد بن علي فينا يبايع ، أفترى لنا نبايعه؟ فقال لهم : نعم بايعوه ، فهو والله أفضلنا و سيدنا و خيرنا فجاءوا ، فكتموا ما أمرهم به .[١٩٩]

---

[١٩٩] – تاريخ الطبري ج٤ ص٢٠٤

وقد واجهت هذه النظرية رد فعل رافض من قبل أهل البيت عليهم السلام، والشيعة الأوائل قبل غيرهم. فقد قال الامام محمد الباقر (ع) لجابر الجعفي: يا جابر بلغني أن قوما بالعراق يزعمون أنهم يحبوننا ويتناولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما. ويزعمون أني أمرتهم بذلك. فابلغهم أني الى الله منهم بريء. والذي نفس محمد بيده **لو وليت لتقربت الى الله بدمائهم**. لا نالتني شفاعة محمد أبدا إن لم اكن استغفر لهما وأترحم عليهما. وقال لتلميذه سالم: **يا سالم تولهما، وابرأ من عدوهما، فانهما كانا إمامي هدى رضي الله عنهما**. وقال لمن سأله عن حلية السيف: لا بأس به فقد حلى ابو بكر الصديق رضي الله عنه سيفه. وعندما تعجب السائل وقال: وتقول الصديق؟ وثب الامام الباقر وثبة واستقبل القبلة ثم قال: نعم الصديق، فمن لم يقل الصديق فلا صدق الله له قولا في الدنيا والآخرة.[٢٠٠]

وكانت حركة الغلو في أئمة أهل البيت قد نشأت في بعض أوساط الشيعة، بقيادة بيان بن سمعان التميمي والمغيرة بن سعيد وبشار الشعيري وأبي الخطاب، الذين كانوا يدعون الألوهية لأئمة أهل البيت، أو النبوة لهم، أو لأنفسهم، ويكفرون أبا بكر وعمر ومن لم يوال عليا، ولكن أئمة أهل البيت كانوا يردون على هؤلاء الغلاة بشدة وغضب ويطردونهم من صفوف الشيعة ويلعنونهم ويتبرأون منهم. وقد خاطبهم الامام الصادق قائلا: "تقربوا الى الله، فانكم فساق كفار مشركون" وقال لأحد أصحابه: اذا قدمت الكوفة فأت بشار الشعيري وقل له:" **يا كافر يا فاسق أنا بريء منك"**. وعندما دخل عليه بشار يوما صاح به:" اخرج عني لعنك الله. والله لا يظلني وإياك سقف أبدا". فلما خرج قال:"ويحه.. ما صغَّر الله أحد تصغير هذا الفاجر. والله اني لعبد الله وابن أمته". وقال الإمام الصادق عن المغيرة بن سعيد:" لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف اليها يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، فوالله ما نحن الا عبيد، خلقنا الله واصطفانا، ما نقدر على ضرر ولا نفع الا بقدرته، ولعن الله من قال فينا ما لا نقول في انفسنا". وأعلن الامام :" من قال إننا أنبياء فعليه لعنة الله ، ومن شك في ذلك فعليه لعنة الله".[٢٠١]

ولم يكن من الصعب على الحركة الشيعية أن تتخلص من أولئك الغلاة "الكفار" الذين خرجوا بأقوالهم ليس عن التشيع فقط وانما عن الدين الاسلامي بادعاء الألوهية أو النبوة لأئمة أهل البيت، ولكن المشكلة كانت أصعب مع بعض الغلاة السياسيين الذين اعتقدوا بنظرية "النص" وتعيين النبي للامام علي وأهل البيت خلفاء من بعده، والتي انعكست سلباً على الخلفاء الراشدين الذين جاءوا عبر الانتخاب والشورى، قبل الامام علي، حيث كان هؤلاء الغلاة أو "الرافضة" يعتقدون باغتصاب أبي بكر

---

[٢٠٠] – الجندي، الامام جعفر الصادق، ص ١٤٣

[٢٠١] – المصدر السابق، ص١٦٨

وعمر للخلافة من علي، ولذلك كانوا يتبرءون منهما. وكان بعض المتطرفين منهم يذهبون الى القول بردة معظم الصحابة الذين يزعمون: "**أنهم عرفوا النص ثم خالفوه**"، أو القول بنفاقهم.

وكان هذا بالطبع قولا فضيعا ومتطرفا جدا، ولكنه لم يكن ليشمل عامة الشيعة، ولا عامة الامامية الذين قال كثير منهم بوجود النص الخفي وليس الصريح على الامام علي، وقالوا نتيجة لذلك بأن الصحابة "أخطأوا" عندما لم ينتخبوا الامام علي يوم السقيفة. ولم يقولوا بردتهم ولا نفاقهم ولا كفرهم، والعياذ بالله. ولكنهم على أي حال لم يقولوا ما قالوه كيداً للاسلام أو بغضا للصحابة الذين نصروا الاسلام، وانما بناء على شبهة قائمة على تأويلات وأحاديث ضعيفة أو مختلقة صدقوها، تماما كما اشتبه الأمر على الخوارج الذين كفروا الامام علي.

وفي الحقيقة ان نشوء نظرية الإمامة الإلهية لأهل البيت، وتحوّلها الى عقيدة دينية، أو أصل من أصول الدين، لدى الشيعة الامامية، أوقعهم في أزمة تاريخية وعداء نظري مع الشيخين، وانفصال واقعي عن ثقافة أهل البيت وتاريخ الشيعة الأوائل الذين كانوا يكنون حبا واحتراما كبيرين لهما.

وهذا ما كان يؤدي بهم الى الاصطدام مع ثقافة أهل البيت المعلنة والإيجابية تجاه الصحابة والشيخين، حيث كانوا يضطرون لتمرير أقوالهم تحت ستار "التقية". ولكن أهل البيت عليهم السلام كانوا يتصدون لتلك الدعاوى المتطرفة بشدة. وقد قال الامام الصادق لرجل جاءه وقال له: إن لي جارا يزعم انك تبرأ من ابي بكر وعمر، فغضب منه الامام وقال:" **بريء الله من جارك. وإني لأرجو ان ينفعني الله بقرابتي من ابي بكر**". **وعندما** سأله سالم بن ابي حفصة عن الشيخين، أجابه:" **يا سالم تولهما وابرأ من عدوهما. فانهما كانا أمامي هدى رضي الله عنهما**..أيسب الرجل جده؟ أبو بكر جدي. لا نالتني شفاعة محمد يوم القيامة ان لم اكن أتولاهما وأبرأ من عدوهما".[٢٠٢] وروى الامام الصادق حديث جده الامام أمير المؤمنين عن إخوانه الطيبين صحابة رسول الله (صلى الله عليه وآله): "لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله، فما أرى أحداً يشبههم منكم، لقد كانوا يصبحون شعثاً غبراً، وقد باتوا سجداً وقياماً، يراوحون بين جباههم وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم، كأن بين أعينهم ركب المعزى من طول سجودهم، وإذا ذكر الله هملت أعينهم حتى تبُلَّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب".[٢٠٣]

محاولة إعادة كتابة التاريخ

---

[٢٠٢] - المصدر السابق، ص١٧٨

[٢٠٣] - نهج البلاغة، الخطبة ٩٧

وعلى أي حال وبناء على تلك الشبهة، جاء فيما بعد من نسج على منوالها، وبدأ يختلق الروايات على لسان أهل البيت، ويتلاعب بالتاريخ، ويدس ما يريد في صفوف الشيعة باسم التقية، ثم جاء من جمع تلك الروايات فنسبها الى الشيعة وهم منها براء.

وأعاد أولئك الغلاة قراءة التاريخ الاسلامي وكتابته من جديد، فأضافوا اليه من عند أنفسهم ما لم يحدث أبدا، واختلقوا أساطير تاريخية زرعت الحقد والعداوة والبغضاء على الصحابة الطاهرين، وتركت أثرا سلبيا على وحدة المسلمين النفسية على مدى التاريخ. وكان من الأمور التي ضخموها موضوع (فدك) التي أفاء ها الله على رسوله يوم خيبر بلا قتال، فأعطاها لابنته السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وعندما تولى أبو بكر الخلافة استرجعها منها باعتبارها من الأموال العامة، ولكن الزهراء قالت ان النبي أعطاها لها منحة، فطالبها بالشهود، فجاءت بزوجها الامام علي وأم أيمن فشهدا لها، ولكن أبا بكر رفض الحكم لها برجل وامرأة وطالبها بمزيد من الشهود، فانصرفت فاطمة غاضبة.[٢٠٤]

والى هنا فالقصة مما يجمع عليه المؤرخون، وهي، كما هو واضح، قصة خلاف قضائي شخصي لا يحمل معنى عدائيا ضد الزهراء، وقد راجع الامام علي (عليه السلام) في أيام حكمه القاضي شريح في دعوى بسرقة درع له ضد ذمي، ولم يكن معه شهود، فحكم القاضي للذمي، ولم يغضب الامام علي من ذلك. ولكن الغلاة أضافوا على تلك القصة خطبا مزعومة وموهومة قالوا ان السيدة فاطمة ألقتها في المسجد ضد أبي بكر والمهاجرين والأنصار، وذمتهم فيها كثيرا. ويوجد نسخ عديدة لهذه الخطب المتناقضة، وكلها منقولة عن كتب مجهولة من القرن الثالث والرابع والسادس، بلا أسناد متصلة، أو رواية موثوقة.[٢٠٥]

أسطورة الهجوم على بيت فاطمة الزهراء

---

٢٠٤ – الحموي، ياقوت ، معجم البلدان: ٤ / ٢٣٨ والبخاري: ٤ / ٩٦، ك فرض الخمس، الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٢ / ٣١٥ و٨ / ٢٨، مسند أحمد: ١ / ٦، وبما معناه في ١ / ٢١٤، ٢ / ٣٥٣، وفاء الوفاء، السمهودي: ٣ / ٩٩٥ و ٩٩٦، مسند أبي عوانة: ٤ / ٢٥١ ح٦٦٧٩، المصنف: عبد الرزاق: ٥ / ٤٧٢ ح ٩٧٧٤، تاريخ الطبري: ٢ / ٢٣٦.

٢٠٥ – راجع كتاب (بلاغات النساء) لأحمد بن طاهر أبي طيفور (ت ٢٨٠ هـ) وكتاب (السقيفة وفدك) لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري البغدادي (ت ٣٢٣ هـ) وهو كتاب مفقود لا أثر له، الا ما نقل عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ، وقد قال الأربلي في (كشف الغمة): هذه الخطبة نقلتها من كتاب السقيفة، وكانت النسخة مع قدمها مغلوطة فحققها من مواضع أُخر، وكذلك كتاب (مقتل الحسين) للخوارزمي (ت ٥٦٨ هـ).

وربما كانت قصة "كبس بيت الامام علي من قبل عمر من أجل إجباره على بيعة أبي بكر، وما رافق ذلك من تهديد بحرق بيت فاطمة على من فيه، أو قيامه بحرق باب البيت وضرب الزهراء وعصرها وراء الباب، وإسقاط جنينها (محسن) والتسبب في وفاتها" من أهم القصص الأسطورية الخطيرة التي لعبت عبر التاريخ وتلعب اليوم دورا كبيرا في تأجيج الخلافات بين الشيعة والسنة، بعد زوال معظم أسباب الخلافات التاريخية. ولذلك فان من الضروري التوقف عند هذه القصة – الأسطورة، والبحث في ظروف نشأتها وعرضها على التحليل المختبري والجنائي للتأكد فيما اذا كانت تتمتع بأية مصداقية أو حقيقة تاريخية.

وقبل أن نقوم باستعراض "الأدلة" التي يقدمها المدعون ضد الشيخين، والتي يصنفونها عادة الى أدلة "سنية" و"شيعية". لا بد أن نشير الى عدة نقاط:

١- أن المسلمين في القرون الثلاثة الأولى لم يكونوا يعرفون الانقسام الطائفي الحاد، حيث لم يكن اسم "أهل السنة" يطلق الا على مجموعة صغيرة من "أهل الحديث" ولم يكن اسما عاما على طائفة مقابل "الطائفة الشيعية". حيث كان يوجد تداخل كبير بين تيارات الشيعة المختلفة من محبي أهل البيت من الزيدية والإمامية والمعتزلة وأهل الحديث، من العلويين والعباسيين وغيرهم، بصورة يصعب فيها إطلاق وصف شيعي أو سني على أي شخص، فضلا عن إطلاقه على عامة الناس. ولعل أبرز مثل على ذلك هو الامام الشافعي الذي اعتبر بعد وفاته أنه إمام من أئمة أهل السنة، بينما كان يتهم في حياته بأنه شيعي أو رافضي. وكذلك المؤرخ الطبري، الذي صُنِّف مؤخرا على أنه شيعي، بينما كان المتطرفون من أهل السنة، أي الحنابلة، يتهمونه بالتشيع والرفض. وفيما اعتبر الإمامية أئمة أهل البيت، أئمة خاصين بهم، كان عامة "أهل السنة" يعتبرونهم أئمة لهم ويوالونهم ويحبونهم.

٢- ولا بد أن نشير الى نقطة أخرى مهمة، وهي أن التاريخ يحتوي على روايات متواترة حول أمور معينة، يحصل لمن يقرأها مجتمعة القطع واليقين على أمر معين، في حين يحتوي أيضا على إشاعات وأساطير ، وروايات تسمى بروايات الآحاد، وهي روايات أقرب الى الإشاعات، وتنقل بصور غامضة ومتناقضة وبلا أسناد، أو عبر رجال كذابين أو غير ثقاة أو كتب غير معروفة ولا معتبرة، وهذه الظاهرة معروفة في التاريخ كما في العقيدة والفقه والسياسة والقضايا القانونية الشخصية. والموقف منها هو الشك والرفض والتمسك بالأمور اليقينية الثابتة بالتواتر والإجماع حسب القاعدة الأصولية المعروفة:"لا تنقض اليقين بالشك".

٣- أما النقطة الثالثة، فهي ضرورة قراءة التاريخ قراءة ظاهرية طبيعية، وتجنب التفسيرات التعسفية والقراءات الباطنية المقلوبة، التي قام بها الغلاة، للتاريخ ولأقوال أئمة أهل البيت،

وقلبوا من خلالها الأبيض الى أسود، والأسود الى أبيض، وذلك باسم "التقية" التي كانوا يستخدمونها كغطاء لتمرير أقوالهم ونظرياتهم المغالية المضادة لفكر وأقوال أهل البيت، حتى وصل بهم الأمر الى أن ينكروا وفيات عدد من الأئمة ، أو ينسبوا اليهم أولادا لم يولدوا ولم يعرفوا أثرا لهم.

٤- وهناك نقطة رابعة، هي ضرورة تجنب الاعتماد على تشكيل الصورة التاريخية بالافتراض والتخمين، إذ يلاحظ أن بعض من يكتب في التاريخ، يقوم بافتراض كثير من الأمور التي لم تقع ولم يسجلها التاريخ، ولا يوجد لديه أي دليل عليها، اعتمادا تصورات معينة، أو ادعاء حذفها من التاريخ ومنعها من التدوين، وهو ما يعني محاولة كتابة التاريخ على مجرد الافتراض والخيال، دون العلم واليقين.

ميزان القوى القبلية عند بيعة أبي بكر

من المعروف ان خلافا سياسيا مؤقتا حدث بين الصحابة بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وان الأنصار بادروا الى سقيفة بني ساعدة لتعيين رئيس عليهم قبل ان يلتحق بهم بعض المهاجرين فيناقشوهم ويقنعوهم بانتخاب أبي بكر، الذي كان من أصغر قبائل قريش وهي تيم، ولم يكن معه من رجال قريش الا أبو عبيدة ابن الجراح وعمر بن الخطاب، الذي كان ينتمي هو الآخر لقبيلة ضعيفة، هي عدي، وهذا ما أدى الى توقف البطون الكبرى من قريش كبني عبد مناف وأمية وأسد وبني زهرة وبني مخزوم، عن بيعة أبي بكر لفترة، ثم بايعوه.

يقول ابن قتيبة الدينوري: ان بني هاشم اجتمعت عند بيعة الانصار الى علي بن ابي طالب... واجتمعت بنو امية الى عثمان واجتمعت بنو زهرة الى سعد وعبد الرحمن بن عوف فكانوا في المسجد مجتمعين، فلما اقبل عليهم ابو بكر وابو عبيدة وقد بايع الناس ابا بكر قال لهم عمر: ما لي أراكم مجتمعين حلقا شتى؟ قوموا فبايعوا ابا بكر فقد بايعته الأنصار".[٢٠٦]

وكان من بين الرافضين في البداية زعيم قريش أبو سفيان، حيث ذهب الى الإمام علي يحرضه ضد ابي بكر قائلا:" أرضيتم يا بني عبد مناف ان تلي عليكم تيم؟!" ثم عرض عليه ان يبايعه: "أمدد يدك أبايعك، فلأملأنها عليه خيلا ورجلا". وأيده في ذلك العباس بن عبد المطلب الذي قال لعلي أيضا:"امدد يدك أبايعك وآتيك بهذا الشيخ من قريش (يعني ابا سفيان) فيقال: عم رسول الله بايع ابن

---

[٢٠٦] - الدينوري، الامامة والسياسة، ج١ ص ١٢

عمه، ويبايعك أهل بيتك، فلا يختلف عليك من قريش اثنان، والناس تبع لقريش". ولكن الامام علي رفض الاستجابة لهما، دون ان يخفي امتعاضه من بيعة ابي بكر.[٢٠٧]

ويبدو من خلال قول العباس لعلي، الذي يتضمن تحليلا للواقع السياسي وتنويها بدور قريش وبني عبد مناف، ان سيطرة أبي بكر على الأمور لم تتم ببيعة السقيفة مباشرة، إذ لم يحضَ بصوت الأكثرية من المسلمين، أو من قريش، وانما بقيت بيعته معلقة حتى بايعه بنو هاشم وبنو أمية وبنو زهرة، ولو كان علي قد استجاب لدعوة العباس وأبي سفيان لكان قلب الأمر على أبي بكر والأنصار، لأنه كان يحظى بأكبر وأقوى الأصوات، ولكنه أحجم عن المنافسة وانسحب من أمام أبي بكر، خوفا من إحداث شقاق بين المهاجرين، أو بينهم وبين الأنصار، وفتح بذلك الباب أمام استقرار نظام أبي بكر.

يقول الطبري:"حدثنا أبو صالح الضرار ، قال : حدثنا عبد الرزاق بن همام ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة ، أن فاطمة والعباس أتيا أبا بكر يطلبان ميراثهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهما حينئذ يطلبان أرضه من فدك ، وسهمه من خيبر ، فقال لهما أبو بكر : أما اني سمعت رسول الله يقول : لا نورث ، ما تركنا فهو صدقة ، إنما يأكل آل محمد في هذا المال . واني والله لا أدع أمراً رأيت رسول الله يصنعه إلا صنعته . قال : فهجرته فاطمة فلم تكلمه في ذلك حتى ماتت ، فدفنها علي ليلاً...فمكثت فاطمة ستة أشهر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم توفيت .

قال معمر : فقال رجل للزهري : أفلم يبايعه على ستة أشهر ! قال : لا ؛ ولا أحد من بني هاشم ؛ حتى بايعه علي . فلما رأى على انصراف وجوه الناس عنه ضرع إلى مصالحة أبي بكر ، فأرسل إلى أبي بكر : أن ائتنا ولا يأتنا معك أحد ، وكره أن يأتيه عمر لما علم من شدة عمر ، فقال عمر : لا تأتهم وحدك ، قال أبو بكر : ولله لآتينهم وحدي ، وما عسى أن يصنعوا بي ! قال : فانطلق أبو بكر ، فدخل على علي ، وقد جمع بنى هاشم عنده ، فقام علي فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد ، فإنه لم يمنعنا من أن نبايعك يا أبا بكر إنكار لفضيلتك ، ولا نفاس عليك بخير ساقه الله إليك ، ولكنا كنا نرى أن لنا في هذا الأمر حقاً ، فاستبددتم به علينا . ثم ذكر قرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحقهم . فلم يزل علي يقول ذلك حتى بكى أبو بكر . ثم قال علي : موعدك العشية للبيعة ، فلما صلى أبو بكر الظهر أقبل على الناس ، ثم عذر عليا ببعض ما اعتذر ، ثم قام علي فعظم من حق أبي بكر ، وذكر فضيلته وسابقته ، ثم مضى إلى أبي بكر فبايعه . قالت : فأقبل الناس إلى علي فقالوا : أصبت وأحسنت ، قالت : فكان الناس قريباً إلى علي حين قارب الحق والمعروف" .[٢٠٨]

---

[٢٠٧] – الماوردي: الأحكام السلطانية، ص ٧ والدينوري، الامامة والسياسة، ج١ ص ١٢

[٢٠٨] – الطبري ج٣ ص ٦١٩ و فتح الباري ٤٠٣/٧

وهذا ما يؤكدا أيضا المسعودي في (مروج الذهب)[٢٠٩] وابن الأثير في (الكامل في التاريخ) حيث ينقل عن الزهري قوله: بقي علي وبنو هاشم والزبير ستة أشهر لم يبايعوا أبا بكر حتى ماتت فاطمة، رضي الله عنها، فبايعوه.[٢١٠] وكذلك ابن أبي الحديد الذي يقول: وأما الذي يقوله جمهور المحدثين وأعيانهم، فإنه عليه السلام امتنع من البيعة ستة أشهر، ولزم بيته، فلم يبايع حتى ماتت فاطمة عليها السلام، فلما ماتت بايع طوعاً. [٢١١] وينقل عن صحيحي مسلم والبخاري: أنه لما ماتت فاطمة عليها السلام، خرج من بيته فبايع أبا بكر، وكانت مدة بقائها بعد أبيها عليه الصلاة والسلام ستة أشهر.[٢١٢]

ومع بيعة الامام علي لأبي بكر بعد ستة أشهر من وفاة الرسول (ص) طويت صفحة الخلاف بين الامام علي وإخوانه من السابقين والمهاجرين والأنصار، وعم الود والحب والتقدير والتعاون في سبيل الله والدفاع عن الاسلام، الى حد تزويج الامام علي ابنته أم كلثوم من عمر بن الخطاب.[٢١٣] وتسمية ثلاثة من أبنائه باسم أبي بكر وعمر وعثمان.

ذلك الأمر الذي يؤكده الموقف الشيعي الإيجابي من الشيخين وعموم الصحابة، والثابت عبر الروايات المتواترة من الشيعة والسنة، والذي قدمناه في الصفحات الآنفة قبل قليل.

ولكن بعض الروايات تقول إن الامام علي أخذ يقاوم أبا بكر وانه أركب فاطمة على حمار وراح يدور بها في طرقات المدينة ليلا، استجلابا لدعم الأنصار له، وانه اعتصم مع الزبير وعدد من المهاجرين في بيته

---

[٢٠٩] – المسعودي، مروج الذهب، ص ٢٩٠

[٢١٠] – ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ص ٣٦١

[٢١١] – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص ١٠٧

[٢١٢] – المصدر السابق، ص ١٠٧

[٢١٣] – ذكر الكليني في الكافي ثلاث روايات حول زواج أم كلثوم من عمر، وصححها المجلسي في (مرآة العقول) منكرا على المفيد التشكيك بها. مرآة العقول: ٢٠/٤٢ و ٢١/١٩٧.

وحملوا السلاح استعدادا للمقاومة[٢١٤]، مما دفع أبا بكر الى أن يرسل عمر الى فاطمة الزهراء ليهددها بإحراق البيت عليهم أو يخرجوا للبيعة، وان الامام علي قد أُجبر على بيعة أبي بكر.[٢١٥]

ولكن الميزان العام لمعادلة القوى ، والجو العام لتطور الأحداث يستبعد الرواية السابقة التي تتحدث عن ممارسة العنف في أخذ البيعة لأبي بكر، فاذا كان أبو بكر قد ترك سعد بن عبادة ولم يجبره على البيعة، فقد كان أضعف من أن يجبر الامام علي على البيعة، وأبعد من أن يأمر باقتحام داره وجلبه بالقوة، أو يسمح لأي أحد بتهديده بإحراق بيته عليه، وهو ما تقوله الأسطورة التي نشأت في القرون التالية، وحملت بين طياتها تفاصيل أسطورية أخرى أبعد ما تكون عن الحقيقة. مثل ضرب عمر للزهراء وحرق باب بيتها فعلاً، والتسبب في إسقاط جنينها (محسن) أثناء الهجوم على بيتها، والعياذ بالله.

وهنا يحق لنا أن نتساءل: هل تقاوم هذه الأسطورةُ الروايةَ الأولى علميا؟ وهل هي رواية متواترة؟ أم هي خبر آحاد؟ أو إشاعة سخيفة؟ وهل هي مسندة بشكل متصل؟ أم مقطوعة ومرسلة وغامضة ومتناقضة ومجهولة؟ وهل هي قديمة ومعروفة في الأجيال الأولى؟ أم نظرية حادثة في العصور المتأخرة؟

يقول ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة): "اختلفت الروايات في قصة السقيفة، فالذي تقوله الشيعة – وقد قال قوم من المحدثين بعضه ورووا كثيراً منه – أن علياً عليه السلام امتنع من البيعة حتى أخرج كرهاً، وأن الزبير بن العوام امتنع من البيعة وقال: لا أبايع إلا علياً عليه السلام، وكذلك أبو سفيان بن حرب، وخالد ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، والعباس بن عبد المطلب وبنوه، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وجميع بني هاشم. وقالوا : إن الزبير شهر سيفه، فلما جاء عمر ومعه جماعة من الأنصار وغيرهم، قال في جملة ما قال: خذوا سيف هذا فاضربوا به الحجر. ويقال: إنه أخذ السيف من يد الزبير فضرب به حجراً فكسره، وساقهم كلهم بين يديه إلى أبي بكر، فحملهم على بيعته ولم يتخلف إلا علي عليه السلام وحده، فإنه اعتصم ببيت فاطمة عليها السلام، فتحاموا إخراجه منه قسراً، وقامت فاطمة عليها السلام إلى باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه، فتفرقوا وعلموا أنه بمفرده لا يضر شيئاً، فتركوه.

---

[٢١٤] – يقول ابن أبي الحديد ان الامام علي كان يردد قائلا: "لم يكن لي معين إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت"، وانه قال أيضا:" لو وجدت أربعين ذوي عزم!". ذكر ذلك نصر بن مزاحم في كتاب صفين، وذكره كثير من أرباب السيرة. شرح نهج البلاغة ، ص ١٠٧ وهذا يخالف الرواية التي ينقلها ابن أبي الحديد، عن أحمد بن عبد العزيز الجوهري، والتي تقول: ان أبا سفيان جاء إلى علي عليه السلام، فقال: وليتم على هذا الأمر أذل بيت في قريش، أما والله لئن شئت لأملأنها على أبي فصيل خيلاً ورجالاً، فقال علي عليه السلام: طالما غششت الإسلام وأهله فما ضررتهم شيئاً! لا حاجة لنا إلى خيلك ورجلك، لولا أنا رأينا أبا بكر لها أهلاً، لما تركناه". المصدر السابق، ص١١٩

[٢١٥] – الدينوري، الامامة والسياسة، ج١ ص ١٩

وقيل: إنهم أخرجوه فيمن أخرج وحمل إلى أبي بكر فبايعه. وقد روى أبو جعفر محمد بن جرير الطبري كثيراً من هذا. [٢١٦]

فأما حديث التحريق وما جرى مجراه من الأمور الفظيعة، وقول من قال إنهم أخذوا علياً عليه السلام يقاد بعمامته والناس حوله؛ **فأمر بعيد والشيعة تنفرد به،** على أن جماعة من أهل الحديث قد رووا نحوه، وسنذكر ذلك. [٢١٧]

الروايات السنية

وما أشار اليه ابن أبي الحديد، ورد في خبرٍ في مصنف ابن أبي شيبة (توفي سنة ٢٣٥) الذي نقله عن محمد بن بشر (بن الفرافصة العبدي، توفي سنة ٢٠٣) حدثنا عبيد الله بن عمر (بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب، المعاصر لمالك بن أنس) حدثنا زيد بن أسلم (العدوي، توفي سنة ١٣٦)[٢١٨] عن أبيه أسلم (مولى عمر بن الخطاب، توفي بين سنة ٦٠ – ٧٠ هـ) : أنه حين بويع لأبي بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان علي والزبير يدخلان على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشاورونها ويرتجعون في أمرهم ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب خرج حتى دخل على فاطمة فقال : " يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ما من أحد أحب إلينا من أبيك، وما من أحد أحب إلينا بعد أبيك منك ، وأيم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك، أن أمرتهم أن يحرق عليهم البيت ". قال : فلما خرج عمر جاءوها فقالت : تعلمون أن عمر قد جاءني وقد حلف بالله لئن عدتم ليحرقن عليكم البيت وأيم الله ليمضين لما حلف عليه، فانصرفوا راشدين، فَروا رأيكم ولا ترجعوا إلي، فانصرفوا عنها فلم يرجعوا إليها حتى بايعوا لأبي بكر".[٢١٩]

---

[٢١٦] – المصدر السابق، ص ١٠٧ يروي الطبري القصة السابقة بسند مقطوع عن ابن حميد (الرازي ، الذي توفي سنة ٢٥٥) قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن زياد بن كليب (أبو معشر الكوفي ، توفي سنة ١١٩) قال : أتى عمر بن الخطاب منزل علي وفيه طلحة والزبير ورجال من المهاجرين ، فقال : والله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعة. فخرج عليه الزبير مصلتاً بالسيف ، فعثر فسقط السيف من يده ، فوثبوا عليه فأخذوه.

[٢١٧] – المصدر السابق، ص ١٠٧

[٢١٨] – قال الساجي حدثنا أحمد بن محمد المعيطي قال قال بن عيينة كان زيد بن أسلم رجلاً صالحاً **وكان في حفظه شيء.**

[٢١٩] – ابن أبي شيبة، المصنف، كتاب المغازي ، ما جاء في خلافة أبي بكر وسيرته، رواية رقم ٤. وهناك رواية أخرى لابن أبي شيبة في نفس الصفحة، تنفي اعتداء الشيخين على الزهراء، حيث يقول: حدثنا ابن نمير عن عبد الملك بن سبع عن عبد خير قال : سمعت عليا يقول : قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم على خير ما قبض عليه نبي من الأنبياء ، قال : ثم استخلف أبو بكر فعمل بعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنته ، ثم قبض أبو بكر على خير

وبغض النظر عن قيمة الرواية والكتاب العلمية، فان هذه الرواية تتحدث فقط عن التهديد بحرق البيت.[220] مع إعراب عمر عن محبته للزهراء، وانصراف علي والزبير ومبايعتهما لأبي بكر، ولكن رواية أخرى ينقلها أحمد بن عبد العزيز الجوهري فيما بعد (في القرن الرابع الهجري)، تتحدث عن مجيء عمر في عصابة وصياح الزهراء ومناشدتها لهم، وإخراج علي والزبير بالقوة من البيت للبيعة.[221] فيما تضيف رواية ثالثة ينقلها الجوهري أيضا:" أنهم اجتمعوا على أن يبايعوا علياً عليه السلام، فأتاهم عمر ليحرق عليهم البيت، فخرج إليه الزبير بالسيف، وخرجت فاطمة عليها السلام تبكي وتصيح" رغم أنها تعود فتناقض نفسها وتقول على لسان الامام علي ومن اجتمع عنده:"ليس عندنا معصية، ولا خلاف في خير اجتمع عليه الناس؛ وإنما اجتمعنا لنؤلف القرآن في مصحف واحد. ثم بايعوا أبا بكر، فاستمر الأمر واطمأن الناس".[222]

ما قبض عليه أحد ، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها ، ثم استخلف عمر فعمل بعملهما وسننهما ثم قبض على خير ما قبض عليه أحد ، وكان خير هذه الأمة بعد نبيها وبعد أبي بكر .

[220] – الرواية عن أسلم العدوي، وهو عبد اشتراه عمر في مكة سنة ١١ للهجرة، أي بعد الحادثة بشهور، وهو لم ينقل الرواية عن أحد، وتتضمن سلسلة الرواية أحد حفدة عمر بن الخطاب، وهو عبيد الله، الذي ينقل عنه محمد بن بشر في منتصف القرن الثاني الهجري. وأما الكتاب (المصنف) فان ابن أبي شيبة يحشد فيه ما يجد من النصوص بغض النظر عن صحة هذه النصوص أو ضعفها، الا اذا كانت ظاهرة الوضع، وبلغت نصوص الكتاب في جملتها ٣٧٢٥١ نصا مسندا، منها ما هو المرفوع ومنها ما هو الموقوف، ومنها ما هو المقطوع . ومن الروايات التي يرويها المؤلف عن محمد بن بشر أيضا، قصة محاولة الامام علي الزواج من ابنة أبي جهل على فاطمة. حيث يقول : حدثنا محمد بن بشر ، عن زكريا ، عن عامر ، قال : خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام ، فاستأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، فقال : عن حسبها تسألني ؟ قال علي: قد أعلم ما حسبها ، ولكن أتأمرني بها ؟ قال : لا ، فاطمة بضعة مني، ولا أحب أن تجزع ، فقال علي: لا آتي شيئاً تكرهه .

[221] – قال أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري: وأخبرنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: حدثنا إبراهيم بن المنذر، عن ابن وهب، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، قال: غضب رجال من المهاجرين في بيعة أبي بكر بغير مشورة، وغضب علي والزبير، فدخلا بيت فاطمة عليها السلام، معهما السلاح، فجاء عمر في عصابة، منهم أسيد بن حضير وسلمة بن سلامة بن وقش – وهما من بني عبد الأشهل – **فصاحت فاطمة** عليها السلام، وناشدتهم الله. فأخذوا سيفي علي والزبير، فضربوا بهما الجدار حتى كسروهما ، ثم أخرجهما **عمر يسوقهما حتى بايعا**.
ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص ١٢١

[222] – المصدر السابق، ص ١٢١

وفي رواية رابعة مقطوعة السند[٢٢٣]، ينقلها الجوهري ، تتحدث عن عزم الزبير على بيعة علي في مواجهة أبي بكر، وذهاب عمر مع خالد بن الوليد الى بيت علي، وأخذ السيف من الزبير وتكسيره بالحجر، ثم الأخذ بيده ودفعه وإخراج علي معه، وقيام فاطمة على باب الحجرة ومخاطبة أبي بكر:" يا أبا بكر، ما أسرع ما أغرتم على أهل بيت رسول الله! والله لا أكلم عمر حتى ألقى الله".[٢٢٤]

وكل هذه الروايات لا نستطيع التأكد من صحتها، لأن ابن أبي الحديد ينقلها في القرن السابع الهجري عن الجوهري، الذي توفي القرن الرابع ، عن كتابه (السقيفة وفدك) المفقود، الذي ينقل الروايات من دون سند متصل، رغم توثيق ابن أبي الحديد له.[٢٢٥] وبالتالي لا يمكن الاعتماد على أية رواية منها. لأن الوجدان في الكتب من أضعف طرق الرواية، خاصة اذا كانت قديمة وعرضة للتلاعب والتزوير.

ونشاهد مثل هذا التخبط لدى مؤرخ آخر هو البلاذري في (أنساب الأشراف) حيث ينقل مجموعة روايات متناقضة، ولكها بلا سند متصل، فيشير في الرواية الأولى التي ينقلها عن (أحمد بن محمد أيوب، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، عن الزهري) الى اعتزال علي وطلحة والزبير في بيت فاطمة، دون أي استخدام للعنف معهم.[٢٢٦] ويؤكد هذا المعنى في الرواية الثانية التي ينقلها عن (هدبة بن

---

[٢٢٣] – (قال أبو بكر: حدثنا أبو زيد عمر بن شبة، قال: أخبرنا أبو بكر الباهلي، قال: حدثنا إسماعيل ابن مجالد، عن الشعبي)

[٢٢٤] – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص ١٢١

[٢٢٥] – يقول ابن ابن الحديد عن الكتاب والمصنف:جميع ما نورده في هذا الفصل من كتاب أبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري المتوفى . ٣٢٣ هـ في السقيفة (وفدك) . وأبو بكر الجوهري هذا عالم محدث ، كثير الأدب، ثقة ورع ، أثنى عليه المحدثون ، ورووا عنه مصنفاته. المصدر السابق ١٦ . ٢١٠، ويقول محقق الكتاب (المطبوع بصورة مستقلة نقلا عن شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد) الدكتور محمد هادي الأميني: يروي أبو بكر الجوهري ، في كتابه عن رجال أجمعت أئمة الجرح والتعديل على توثيقهم وصدقهم ، كما ترجمت لهم أصحاب المعاجم واثنوا عليهم ، وترجموا لهم وذكروهم بالتقدير والاكبار ، وهم من كبار الشيوخ وفطاحل السنة... وان أتى فيه ما يخالفه الحقيقة والواقع في بعض الأحايين ، فذكر أحاديث وأخبار مباينة للحق الصراح ، ولذلك أشرنا إليها في الهوامش ، وترجمنا رجال السند ، وأقوال أئمة الجرح والتعديل فيهم ، لتمتاز الأحاديث الصحيحة من السقيمة، والمعتمدة من المختلفة، ولينتقى التاريخ عن المختلقات والموضوعات ، ويصفى من الشبه والضلالات . ولم تكن لأبي بكر الجوهري في المعاجم ترجمة ضافية ، ولا لمحة عن حياته ، ولا اشارة إلى تاريخه ، لذلك كانت حياته غامضة ، وأحواله مبهمة لم يكشف التاريخ عنها القناع بصورة باتة ، بيد أننا نجد في بعض المعاجم ، اشارة عابرة إليه والاكتفاء بذكر اسمه وتأليفه ، مع اليقين انه كان في الرعيل الأول من الذين احترمتهم الخاصة والعامة ، وأذعنت لحيويته العلمية الشيعة والسنة ، ونقل الرواة عنه الكثير من القضايا ، بحيث ابتنوا على ثقافته ، مؤلفاتهم في الحديث والأدب .

[٢٢٦] – البلاذري، أنساب الأشراف ، ص ٢٥١

خالد،حدثنا حماد بن سلمة، أنبأ الجريري، عن أبي نضرة) والتي يقول فيها ان عليا والزبير فتحا الباب لعمر وخرجا معه طائعين وبايعا أبا بكر.[٢٢٧]

كما يؤكده في الرواية الثالثة التي ينقلها عن المدائني، عن عبد الله بن جعفر، عن أبي عون، ولكنه يذكر أن البيعة تمت بعد ارتداد العرب، وأنها تمت بشكل سلمي وودي، حيث يقول:"لما ارتدت العرب، مشى عثمان إلى عليّ. فقال: يا بن عم، إنه لا يخرج أحد إلى هذا العدو، وأنت لم تبايع. فلم يزل به حتى مشى إلى أبي بكر. فقام أبو بكر إليه، فاعتنقا، وبكى كل واحد إلى صاحبه. فبايعه فسرّ المسلمون، وجدّ الناس في القتال، وقطعت البعوث".[٢٢٨]

ولكن البلاذري يشير في رواية رابعة ينقلها عن (بكر بن الهيثم، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس) الى أمر أبي بكر لعمر بالإتيان بعلي اليه " **بأعنف العنف**" قبل أن يبايع.[٢٢٩]دون أن يذكر تفاصيل عملية الجلب وما حدث خلالها من عنف.

ثم يشير البلاذري في رواية خامسة ينقلها عن (المدائني، عن مسلمة بن محارب، عن سليمان التيمي، وعن ابن عون) الى " أن أبا بكر أرسل إلى عليّ يريد البيعة، فلم يبايع. فجاء عمر، **ومعه قبس** فتلقته فاطمةُ على الباب، فقالت فاطمة: يا بن الخطاب، أتراك محرّقاً عليَّ بابي؟ قال: نعم، وذلك أقوى فيما جاء به أبوك. وجاء علي، فبايع وقال: كنتُ عزمتُ أن لا أخرج من منزلي حتى أجمع القرآن".[٢٣٠]

وبغض النظر عن انقطاع السند في كل روايات البلاذري الآنفة، توجد ملاحظة على شخصيته "الانتهازية" إذ ينقل عنه أنه كان يمدح المأمون ثم كان من ندماء المتوكل، كما يقول ابن عساكر وياقوت الحموي، ويقال أنه وسوس في آخر أيامه ومات في البيمارستان. وأما المؤرخ البصري علي بن محمد أبو الحسن المدائني (توفي سنة ٢٢٤) الذي نقل البلاذري عنه الرواية الأخيرة، فانه ليس بالقوي في الحديث، كما يقول ابن عدي في (الكامل). ولم يذكره ابن حبان في الثقات، إضافة الى أنه قلّما يذكر رواية مسندة.

---

[٢٢٧] – حيث يقول: لما بايع الناس أبا بكر، اعتزل علي والزبير، فبعث إليهما عمر بن الخطاب، وزيد بن ثابت، فأتيا منزل عليّ، فقرعا الباب، فنظر الزبير من فترة ثم رجع إلى عليّ فقال: هذان رجلان من أهل الجنة، وليس لنا أن نقاتلهما. قال: افتح لهما. ثم خرجا معهما حتى أتيا أبا بكر، فقال أبو بكر: يا علي أنت ابن عم رسول الله وصهره، فتقول إني أحق بهذا الأمر، لاها الله لأنه أحق به منك. قال: لا تثريب، يا خليفة رسول الله، ابسط يدك أبايعك. فبسط يده فبايعه. ثم قال للزبير: تقول أنا ابن عمة رسول الله وحواريه وفارسه وأنا أحقّ بالأمر؛ لاها الله لأنا أحق به منك. فقال: لا تثريب يا خليفة رسول الله، ابسط يدك، فبسط يده فبايعه. المصدر السابق، ص ٢٥٢

[٢٢٨] – المصدر السابق، ص ٢٥٣

[٢٢٩] – المصدر السابق، ص ٢٥٣

[٢٣٠] – المصدر السابق، ص ٢٥٢

ومن هنا فان رواية البلاذري في القرن الثالث الهجري، عن استعمال عمر للعنف مع علي، أو تهديده بقبس من نار، رواية ضعيفة لا يمكن الاعتماد عليها في مقابل الروايات الأخرى.

واذا ما انتقلنا الى كتاب آخر صدر في نفس الفترة، وهو كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة الدينوري (٢١٣ – ٢٧٦)، فاننا سوف نشاهد فيلما هنديا مليئا بالبكاء والدموع والخيال اللامحدود، بدل أن نقرأ رواية علمية يعتمد عليها. وفي الحقيقة ان ابن قتيبة يعفينا عن تجشم الرد على روايته الأسطورية بالاعتراف مسبقا في مقدمة الكتاب بأنه يعتمد طريقة الجمع والقص والتأليف دون ذكر دقيق للمصادر.[٢٣١] وهي طريقة غير علمية وتثير كثيرا من الشكوك والريبة في ما يرويه.

ومن هنا فان ابن قتيبة يضيف على الروايات السابقة كثيرا من التفاصيل الجزئية الجديدة من جيبه الخاص، حيث يقول:"ان أبا بكر رضي الله عنه تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند علي كرم الله وجهه، فبعث اليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده، لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها، فقيل له : يا أبا حفص.. ان فيها فاطمة! فقال: وإن، فخرجوا فبايعوا، الا عليا...فأتى عمر أبا بكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلف عنك بالبيعة؟ فقال أبو بكر لقنفذ وهو مولى له: اذهب فادع لي عليا. قال فذهب الى علي فقال له: يدعوك خليفة رسول الله، فقال علي: لسريع ما كذبتم على رسول الله. فرجع فأبلغ الرسالة، قال: **فبكى أبو بكر طويلا**. فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلف عنك بالبيعة، فقال أبو بكر رضي الله عنه لقنفذ: عد اليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ فأدى ما أمر به، فرفع علي صوته فقال: سبحان الله!..".[٢٣٢]

وكثيرا ما يستشهد الشيعة برواية ابن قتيبة، باعتباره "سنيا" دون أن ينظروا الى طبيعة كتابه (الامامة والسياسة) المثير للشك والريبة، والذي يحتوي على قصص وحكايات ضد أئمة أهل البيت وواضحة البطلان.[٢٣٣]

---

[٢٣١] – حيث يقول تحت عنوان: (استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله عنه): "عن ابن مريم، قال: حدثنا العرياني، عن أبي عون بن عمرو بن تيم الأنصاري رضي الله عنه، وحدثنا سعيد بن كثير، عن عفير بن عبد الرحمن قال: حدثنا بقصة استخلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر، وشأن السقيفة، وما جرى فيها من القول والتنازع بين المهاجرين والأنصار، وبعضهم يزيد على بعض في الكلام، فجمعت ذلك كله وألفته على معنى حديثهم ومجاز لغتهم". ابن قتيبة، الامامة والسياسة، ص ١٠ – ١١

[٢٣٢] – المصدر السابق، ص ١٩

[٢٣٣] – فهو مثلا يروي أن الامام الحسن كان ينتقد أباه الامام عليا ويلومه وجها لوجه، وأن الامام كان يستهزيء بابنه فيقول عنه:" أما الحسن فصاحب خوان، وفتى من الفتيان، ولو التقت حلقتا البطان لم يغن عنكم في الحرب حثالة عصفور". المصدر السابق، ص ٤٩ و ١٣٢

ورغم أن مؤرخين "سنة" آخرين ذكروا قصصا مشابهة في القرون التالية، فان مجرد نقل أي كاتب من أية طائفة، لأي خبر، حتى لو كان بلا دليل ولا سند، لا يمنح روايته مصداقية علمية، أو يرفعها الى مصاف الروايات المتواترة المتفق عليها. كما فعل مثلا ابن عبد ربه الأندلسي (٢٤٦ - ٣٢٨) في (العقد الفريد)[٢٣٤] عندما ذكر رواية التهديد بحرق بيت فاطمة ، وأضاف عليها أمر أبي بكر لعمر بمقاتلة علي والعباس والزبير الذين قعدوا في بيت فاطمة "حتى بَعث إليهم أبو بكر عمرَ ابن الخطاب ليُخرِجهم من بيت فاطمة، وقال له: إن أبوا فقاتِلْهم. فأقبل بقَبس من نار على أن يُضرم عليهم الدار، فلقيته فاطمةُ، فقالت: يا بن الخطاب، أجئت لتُحرق دارنا؟ قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلتْ فيه الأمة. فخرج علي حتى دخل على أبي بكر فبايعه، فقال له أبو بكر: أكرهتَ إمارتي؟ فقال: لا، ولكني آليتُ أن لا أرتدي بعد موت رسول اللّه صلى الله عليه وسلم حتى أحفظَ القرآن، فعليه حَبست نفسي". [٢٣٥] ولم يذكر الأندلسي لروايته هذه أي سند، رغم أنه ينقل رواية أخرى لا يوجد فيها سوى ندم أبي بكر في آخر لحظة من حياته، عن كشف بيت فاطمة.[٢٣٦]

---

[٢٣٤] - يقول الباحث حسين بن رشود العفنان :كتاب (العقد الفريد) مخلوط صحيحه بواهيه محذوف الأسانيد والرواة واعتمدَ على مصادر لا يجوز النقل منها إلا بعد تثبت، ولم يعتمد مؤلفه في النقل منها إلا الطرفة والملحة إذ في كتابه ميل إلى الفكاهة والدعابة ونزوع إلى القصص والنوادر والنكات فتراه في كتابه يذكر الكثير من ذلك أو لا يستنكف عن ذكر بذيء اللفظ وسافل المعنى ورغم ذلك فإن المسحة الأدبية تبدو قوية في كتابه بحيث يشعر بها كل من يقرأ (العقد) أو يتصفحه.

وينقل عن المؤرخ ابن كثير في تقييم ابن عبد ربه: انه (كان من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأولين والمتأخرين..ويدل كثير من كلامه على تشيع فيه وميل إلى الحد من بني أمية وهذا عجيب منه لأنه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم) و (كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت). البداية والنهاية ٢٣٠/١١ و١٠/ ٤٣٣ .

ويقول الدكتور الطاهر أحمد مكي في دراسة له عن هذا الكتاب: وهو لا يمحص الأخبار ولا يقف منها موقف الفاحص المدقق وإنما يعرضها كيفما تأتت له ويقول أيضا: ثم يعرض لأشياء هي إلى الخرافات والأساطير أقرب). (٢ /٤٤)

[٢٣٥] - ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص ٥٧٣

[٢٣٦] - "قال أبو صالح: أخبرنا محمد بن وضاح، قال: حدّثني محمد بن رُمْح بن المهاجر التُّجيبي قال: حدّثني الليثُ بن سعد عن عُلوان عن صالح بن كَيسان عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه أنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه في مَرضه الذي تُوفي فيه فأصابه مُفيقا، فقال: أصبحت بحمد اللّه بارئاً. قال أبو بكرٍ: أتراه؟ قال: نعم. قال: أما إني على ذلك لشديدُ الوَجع، ولما لقيتُ منكم يا معشر المهاجرين أشدُّ عليَّ من وَجعي. إني وَليت أمَركم خيركم في نفسي فكلّكم وَرِم من ذلك أنفه، يريد أن يكون له الأمر من دونه، ورأيتم الدنيا مُقبلة...فأما الثلاث التي فعلتهن فوددتُ أني تركتُهن: فوددتُ أني لم أكشف بيتَ فاطمة عن شيء، وإن كانوا أغلقوه على الحرب...". ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص ٥٧٨ ، وهي الرواية التي يذكرها اليعقوبي في تاريخه، والطبراني في المعجم الكبير، وعبد الله بن أحمد بن حنبل في

وإذا صحت هذه الرواية، فانها لا تحمل في طياتها أكثر من كشف البيت أو تفتيشه، دون اعتراف باستعمال العنف أو تهديد بإحراق البيت على فاطمة الزهراء عليها السلام. ولكن الأمور تتطور عادة عبر التاريخ، ومن الأصدقاء الى الأعداء، فتصبح الحبة قبة، والأسطورة حقيقة. ولقد هالني في الحقيقة وأنا أبحث في هذا الموضوع أن أجد كاتبا (كمحمد الشاهرودي) يتحمس لقضية الحرق والضرب، يدعي وجود التواتر والتظافر على دعواه، ويستشهد بكتاب الملل والنحل لأبي الفتح الشهرستاني، الذي ينقل عنه أنه يقول:" انّ عمر ضرب بطن فاطمة (عليها السلام) يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، و كان يصيح أحرقوا دارها بمن فيها". وعندما راجعت الكتاب متعجبا ومستغربا ، وجدت الشهرستاني يقذف إبراهيم بن سيّار النظّام المعتزلي بهذه التهمة الشنيعة، لا أنه هو من يقول بها، بعد أن يتهمه أيضا بالرفض، ويعدد مثالبه فيقول ما نصه:"الحادية عشرة: ميله إلى الرفض، ووقيعته في كبار الصحابة. قال: أولا: لا إمامة إلا بالنص والتعيين ظاهرا مكشوفا. وقد نص النبي صلى الله عليه وسلم على عليّ رضي الله عنه في مواضع، وأظهر إظهارا لم يشتبه على الجماعة، إلا أن عمر كتم ذلك، وهو الذي تولى بيعة أبي بكر يوم السقيفة ... وزاد في الفرية فقال: إن عمر ضرب بطن **فاطمة** يوم البيعة حتى ألقت الجنين من بطنها، وكان يصيح: احرقوا دارها بمن فيها، وما كان في الدار غير عليّ وفاطمة والحسن والحسين".[٢٣٧] وبغض النظر عن صحة التهم التي يوجهها الشهرستاني الى النظّام، أو عدم ذلك، فان مجرد نقل أي كاتب لأي خبر، حتى لو كان عاريا من الدليل، لا يجعله صحيحا وصادقا، ومتواترا.

والعجيب من بعض المؤرخين الذين يأتون بعد قرون ويرددون قصصا أو تهما لا أساس لها من الصحة، مثل الصفدي الذي جاء في القرن السابع الهجري، وردد تلك التهم الغريبة ضد النظّام، في كتابه (الوافي بالوفيات) دون دليل ولا سند، والأعجب منه أن يأتي آخرون فيجعلون أقواله حجة فيما يذهبون، فيصدقون تلك التهم الباطلة التي لا أساس لها من الصحة، ويجعلون منها دليلا لاتهام خيار الصحابة وعظمائهم مثل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه.[٢٣٨]

(السنة) في باب بيعة أبي بكر. ويعترف بها ابن تيمية ولكنه يفسرها تفسيرا بعيدا حيث يقول:"إنه كبس البيت لينظر هل فيه شئ من مال الله الذي يقسمه ليعطيه للمسلمين".

[٢٣٧] – الشهرستاني، الملل والنحل، الجزء الأول، الباب الأول: المسلمون ، الفصل الأول: المعتزلة ، ٣– النظّامِيَّة ، وقد ردد الصفدي في القرن السابع الهجري هذه التهم في كتابه (الوافي بالوفيات).

[٢٣٨] – انظر: السيد محمد الحسيني الشاهرودي

http://www.shahroudi.net/arabic/7monasenat/zahraa.htm
#إنّ%٢٠في%٢٠الدار%٢٠فاطمة

ان حدثاً جزئياً كموضوع كشف بيت فاطمة الزهراء، وإخراج من تحصن فيه من الصحابة، وإجبارهم على البيعة لأبي بكر، لو ثبت ذلك، كان يمكن أن يطوى مع التاريخ، ويذهب مع الزمان، في خضم الأحداث والتطورات الكبرى الإيجابية والسلبية التي أعقبت ذلك، ولم يكن ليستوقف الأجيال اللاحقة على مدار الزمن، لو كان المسلمون ينظرون الى تلك الحقبة ورجالها نظرة شخصية، ولم يضفوا عليها مسحة دينية إيجابية وسلبية، إيجابية من طرف ما عرف بأهل السنة، وسلبية من طرف ما عرف بالشيعة، وذلك بعد أن حاول أهل السنة اعتبار تجربة الصحابة مقدسة ومصدرا من مصادر التشريع في الاسلام، ورووا عن الرسول الأعظم (ص) قوله:"اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر". في الوقت الذي حاول الشيعة إضفاء هالة من القدسية على أئمة أهل البيت واعتبروهم مصدرا ملحقا بمصادر التشريع الى جانب القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وخاصة بعدما قال الإماميون بنظرية النص في الخلافة وكونها امتدادا للنبوة.

ولقد كان الإماميون بحاجة ماسة الى رواية من ذلك القبيل، حتى يبنوا نظريتهم السياسية حول (الإمامة الإلهية لأهل البيت). فبالاضافة الى النصوص التي جاءوا بها من أجل إثبات النص على الامام علي، والتأويلات التي قاموا بها لبعض الآيات القرآنية، كانوا بحاجة الى أدلة تاريخية تؤكد نظريتهم، ولكن التاريخ الاسلامي، وتاريخ الامام علي بالخصوص، كان يكذب نظريتهم ويهدمها من الأساس، فكيف يصح النص على الامام بالخلافة ويقوم هو بالتنازل عن "حقه الشرعي" طواعية ويبايع أبا بكر؟ إذن لا بد أن يكون هناك عنف وإرهاب وقمع واستضعاف له "يثبت" أنه بايع تحت الضغط والإكراه، وان بيعة أبي بكر كانت باطلة، وكذلك مبدأ الشورى والاختيار.

ولكي تتم الصورة، لا بأس بأن تروى قصة التهديد بحرق الدار عن حفيد عمر بن الخطاب عن ابن مولاه زيد بن أسلم. كما في رواية ابن أبي شيبة. وإذا لم تنهض الروايات "السنية" بتشكيل الصورة "التاريخية" فلا بأس أيضا بأن تنسج روايات خاصة "شيعية" حول الموضوع ، ويضاف اليها الكثير الكثير.

ولعل من المثير للسخرية أن تتم هذه العملية في القرن الثالث أو القرن الرابع، بعد غياب أو فقدان أئمة أهل البيت، ووصول النظرية السياسية الإمامية الى طريق مسدود. في دلالة بارزة على غياب العقل الاسلامي وانحدار الحضارة الاسلامية.

واذا ما عدنا الى أواسط القرن الثالث الهجري، فانا سوف نواجه ما يسمى بـ:"الحيرة" التي ضربت الشيعة الإمامية بعد وفاة الامام الحسن العسكري (الإمام الحادي عشر) سنة ٢٦٠ هـ دون خلف ظاهر معروف، وهو ما أدخل شيعته في أزمة حادة أدت الى تفرقهم الى أكثر من أربع عشرة فرقة، وافتراض بعضهم (وهم الأثنا عشرية) وجود ولد مستور له، قالوا انه غائب وسوف يظهر في المستقبل.

ومن ذلك الحين لم يظهر الامام المفترض الغائب "محمد بن الحسن العسكري" مما أدى الى ان تصبح النظرية الإمامية نظرية تاريخية وهمية غير قابلة للتطبيق . ومع ذلك فان أنصار النظرية ظلوا يتحمسون لتأييد نظريتهم ونقد نظرية الشورى والاختيار، ويحاولون قراءة التاريخ بشكل مغاير لسلوك أهل البيت والامام علي، وكتابته من جديد. ومن أجل ذلك تشبثوا بحكاية تهديد عمر بحرق بيت فاطمة الزهراء، وحولوا التهديد المفترض الى واقع تاريخي ثابت، وأضافوا على الحادث كثيرا من الرتوش الأخرى مثل ضرب الزهراء وعصرها وراء الباب وكسر ضلعها وإسقاط جنينها "محسن" ووفاتها على إثر ذلك.

الروايات الشيعية

إن الروايات التي تداولها الشيعة الإمامية عن الموضوع، ارتقت لدى بعضهم الى درجة "التواتر والتظافر والاجماع" وشكلت بذلك شبهة أو عقدة في نظرتهم الى عمر بن الخطاب. ومع انهم لم يستطيعوا عبرها ان يعيدوا الخلافة الى أهل البيت، ولكنهم نجحوا في زرع العداوة والبغضاء ضدهم في قلوب محبي أبي بكر وعمر من بقية المسلمين.

ان السؤال هو هل كانت هذه القصة أو الشبهة معروفة لدى الشيعة في الأجيال الأولى؟ وهل تستند على مصادر موثقة قديمة لدى الشيعة؟ أم انها وليدة الروايات الأسطورية المختلقة في العصور اللاحقة؟

يقول السيد محمد الحسيني الشاهرودي:" ان الأخبار الواردة حول ما لاقته أم الأئمة فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، من ممارسات تعسفية على أيدي الحاكمين، مثل كسر ضلعها وإسقاط جنينها المسمى بمحسن بن علي، ولطمها على خدها ومنعها من البكاء وما الى ذلك، أخبار كثيرة متظافرة متواترة إجمالا".[٢٣٩] ويقول السيد علي الميلاني:" إنّ إحراق بيت الزهراء من الأُمور المسلّمة القطعيّة في أحاديثنا وكتبنا، وعليه إجماع علمائنا ورواتنا ومؤلّفينا".[٢٤٠]

فما هي تلك الروايات "المتواترة" و "المتظافرة"؟

---

239 _

http://www.shahroudi.net/arabic/7monasenat/zahraa.htm
#إنّ%٢٠في%٢٠الدار%٢٠فاطمة

٢٤٠ – في محاضرة له عن (مظلومية الزهراء) نشرها مركز الأبحاث العقائدية، التابع لمكتب السيد السيستاني.

بعد أن اطلعنا على روايات المؤرخين "السنة" يجدر بنا أن نطلع على حقيقة روايات الشيعة، لننظر مدى قيمتها العلمية، وفيما اذا كانت حقا متواترة؟ أم ليست سوى إشاعات وأساطير وروايات غير مسندة؟

١- رواية إبراهيم الثقفي

ان أول رواية شيعية تصلنا عبر التاريخ هي رواية إبراهيم بن محمد الثقفي، المتوفى سنة ٢٨٠ هـ في كتابه (أخبار السقيفة أو الغارات)، يرويها عن أحمد بن عمرو البجلي، عن أحمد ابن حبيب العامري، عن حمران بن أعين، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليهما السلام) قال:" **والله ما بايع علي حتى رأى الدخان قد دخل بيته**". و كتاب السقيفة هذا لم يصلنا ولم نعرف له أثرا، وانما نقل هذه الرواية عنه الشريف المرتضى في كتاب (الشافي في الإمامة) في القرن الخامس ، أي بعد فاصلة زمنية تقدر بأكثر من مائة عام، وبلا أي سند.

ولعل هذه الرواية هي نفسها التي رواها الشيخ المفيد (استاذ المرتضى) في أماليه ص ٣٨، عن الثقفي، ولكن عن كتاب (الغارات). وكان هذا الكتاب يتضمن شرحا للوضوء يختلف عن رأي الشيعة المعروف، وهذا ما دفع مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب المرجع الديني السيد علي السيستاني، للتعليق عليه بالقول:"إن الرواية المذكورة في كتاب الغارات لا يمكن الاعتماد عليها ، وذلك لمعارضتها لروايات متواترةٍ صحيحة تصف الوضوء على طريقة الإمامية المتعارفة المتبعة ، لذا فهي ساقطة عن الاعتبار ، وقد روى هذه الرواية الشيخ المفيد في أماليه بنفس السند إلاّ أن نصها يؤكد طريقة وضوء الإمامية خلاف النص الوارد في كتاب الغارات مما جعل المحقق النوري صاحب المستدرك على الوسائل أن يعتبر ما ورد في نص كتاب الغارات هو من تصحيف العامة . أي من تحريفهم ...".

وهذا ما يؤكد تعرض الكتاب المذكور غير المسند الى تلاعب وتحريف وتصحيف، ومع ذلك فانه لم يصلنا ولا نعرف عنه شيئا. فكيف يمكن أن نثق بأية رواية فيه يرويها رجال جاءوا بعده بسنين طويلة؟ وكيف يمكن ان نصدق رواية الثقفي عن الامام الصادق حول عدم بيعة الامام علي لأبي بكر الا بعد رؤيته للدخان في بيته؟ وهل يمكن اعتبار هذه الرواية مسندة وصحيحة؟ واذا كان يمكن للعامة أن يحرفوا الكتاب فلماذا لا يمكن للخاصة أن يفعلوا ذلك؟ ويضيفوا عليه ما يشاؤون؟

٢- رواية سليم بن قيس الهلالي

الرواية الثانية الأشهر، والأكثر تفصيلا ، هي رواية سُليم بن قيس الهلالي، في كتابه المعروف والمنسوب اليه، والذي انتشر في القرن الرابع الهجري، واحتوى على أمور أسطورية غريبة وعجيبة، في نفس الوقت الذي انتشرت فيه كتب وتفاسير أخبارية حشوية مليئة بالخرافات والأساطير والأحاديث الموضوعة والمنكرة كتحريف القرآن الكريم، مثل تفسير القمي وتفسير العياشي وتفسير ابن فرات ، فيما عرف بالمرحلة الأخبارية الأولى، قبل أن يقوم علماء الشيعة الأصوليون بتهذيب تلك الأخبار والتأكد منها وتصفيتها ورفض الدخيل منها.

وكما نعرف فان الكتب في السابق كانت عرضة للتحريف والتصحيف والزيادة والنقصان، ولذلك كان علماء الحديث يتوقفون في النقل عن الكتب الا برواية الثقة، ويرفضون "الوجادة" فيها، وربما كان هذا هو سبب امتناع أئمة أهل البيت عليهم السلام من تأليف الكتب ونشرها بين الناس، وتحذيرهم من التلاعب والتزوير والكذب في الرواية عنهم.

في هذا الجو انتشر (كتاب سليم بن قيس الهلالي) الذي يَزعم أو يُزعم أنه جاء من نجد وهو شاب صغير، وعاصر خمسة من الأئمة هم علي بن أبي طالب والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر (عليهم السلام) وأنه كان يدور حاملا قلمه وقراطيسه ليسجل أدق التفاصيل التي حدثت يوم السقيفة وعند استخلاف أبي بكر، وخاض حروب الامام علي كلها، وعاش الى زمن الحجاج الى أن هرب منه الى مدينة فارسية هي (نوبندجان) ثم أودع كتابه قبيل وفاته حوالي سنة ٧٦ عند راو صغير هو أبان بن أبي عياش الذي كان قد ولد في حدود سنة ٦٢ هـ ليحتفظ هذا الطفل بكتابه سراً سبعين عاما، الى يوم وفاته سنة ١٣٨ ، ويسلمه الى راوٍ آخر هو عمر بن أذينة، الذي سينقله من واحد الى آخر حتى ينتشر الكتاب في القرن الرابع.

ماذا تقول رواية سليم؟

انها تقول إن الامام علي رفض بيعة أبي بكر، وحمل زوجته فاطمة الزهراء على حمار وأخذ بيدي ابنيه الحسن والحسين ، وراح يدور على بيوت المهاجرين والأنصار، ويذكرهم بحقه ويدعوهم الى نصرته، ولكنهم لم يستجيبوا له الا أربعة وأربعون رجلا، فأمرهم أن يصبحوا بكرة محلقين رؤوسهم ومعهم سلاحهم ليبايعوا على الموت، فأصبحوا، فلم يواف منهم أحد الا أربعة هم سلمان وأبو ذر والمقداد والزبير، فلما رأى غدرهم وقلة وفائهم لزم بيته، وأقبل على القرآن يجمعه... وأرسل أبو بكر اليه :"أجب خليفة رسول الله" فأتاه الرسول فقال له ذلك، فقال له:" سبحان الله ما أسرع ما كذبتم على رسول الله، إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلفا غيري.. سبحان الله ما والله طال العهد فينسى. فوالله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لي، ولقد أمره رسول الله وهو سابع سبعة فسلموا علي بإمرة المؤمنين"..

وتقول الرواية إن أبا بكر أرسل شخصا اسمه قنفذ فانطلق فاستأذن على علي، فأبى أن يأذن له، فقال عمر: اذهبوا فان أذن لكم والا فادخلوا عليه بغير إذن! ..فقالت فاطمة: "أحرج عليكم أن تدخلوا على بيتي بغير إذن". فغضب عمر وقال: ما لنا وللنساء! ثم أمر أناسا حوله أن يحملوا الحطب، فجعلوه حول منزل علي، ثم نادى :"والله لتخرجن يا علي ولتبايعن خليفة رسول الله وإلا أضرمت عليك بيتك النار"! ودعا عمر بالنار فأضرمها في الباب ثم دفعه فدخل فاستقبلته فاطمة عليها السلام وصاحت:"يا أبتاه يا رسول الله" فرفع عمر السيف وهو في غمده فوجأ به جنبها، ثم رفع السوط فضرب به ذراعها فنادت:"يا رسول الله، لبئس ما خلفك أبو بكر وعمر". فوثب علي عليه السلام فأخذ بتلابيبه ثم نتره فصرعه ووجأ أنفه ورقبته وهم بقتله، فذكر قول رسول الله صلى الله عليه وآله وما أوصاه به. فتناول بعضهم سيوفهم فكاثروه وضبطوه فألقوا في عنقه حبلا! وحالت بينهم وبينه فاطمة عند باب البيت، فضربها قنفذ بالسوط ، فماتت حين ماتت وإن في عضدها كمثل الدملج من ضربته، ثم انطلق بعلي عليه السلام يعتل عتلا حتى انتهي به إلى أبي بكر، وعمر قائم بالسيف على رأسه.

وتضيف الرواية: أن قنفذ ضرب فاطمة بالسوط وألجأها إلى عضادة باب بيتها ودفعها فكسر ضلعا من جنبها فألقت جنينا من بطنها. فلم تزل صاحبة فراش حتى ماتت من ذلك شهيدة.

وتقول أيضا: ان الامام علي رفض أن يبايع تحت تهديد السيف، وقال: فإن لم أفعل فما أنتم صانعون؟ قالوا: نقتلك ذلا وصغارا فقال عليه السلام: إذا تقتلون عبد الله وأخا رسوله. فقال أبو بكر: أما عبد الله فنعم، وأما أخو رسول الله فما نقر بهذا.

ثم قال عمر: قم يا بن أبي طالب فبايع. فقال: فإن لم أفعل؟ قال: إذا والله نضرب عنقك، ثم مد يده من غير أن يفتح كفه، فضرب عليها أبو بكر ورضي بذلك منه.فنادى علي عليه السلام قبل أن يبايع – والحبل في عنقه –:"يا بن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني".

وتقول الرواية أيضا: إن أبا بكر وعمر سألا عليا عن فاطمة في مرضها، وطلبا عيادتها ودخلا عليها وسلما ثم قالا: ارضِ عنا رضي الله عنك، ولكنها رفضت الصفح عنهما.[٢٤١]

وبناء على هذه الرواية، أو بالتزامن معها، قال في القرن الرابع، كل من المؤرخ الشيعي علي بن الحسين المسعودي (–٣٤٦) في (إثبات الوصية):"انهم هجموا عليه واستخرجوه من منزله كرها، وضغطوا سيدة النساء بالباب حتى أسقطوا محسنا". وقال المؤرخ الشيعي الأخر محمد بن جرير بن رستم الطبري (–٣٥٨) في رواية عن أبي عبد الله عليه السلام :"كان **سبب وفاتها أن قنفداً مولى الرجل لكزها بنعل**

[٢٤١] – المجلسي، بحار الأنوار ج ٤٣ ص ١٧٩ و ج ٢٨ ص ٢٩٧ ح ٤٨

السيف بأمره فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً ".[٢٤٢] وقال محمد بن علي الصدوق (-٣٨٠)، في رواية استباقية ينقلها عن النبي الأكرم (ص) يتنبأ بما سيقع على ابنته في المستقبل:" و أمّا ابنتي فاطمة كأني بها و قد دخل الذل بيتها و انتهكت حرمتها ، وغُصِب حقّها ومنعت ، وكسرت جنبها ، و أُسقطت جنينها".[٢٤٣] وروى ابن قولويه في (كامل الزيارات) عن جبرئيل (ع) أنه خاطب النبي يخبره بما سيقع على الزهراء قائلا:"وأمّا ابنتك فتظلم ، و تُضرب و هى حامل ، و يُدخل حريمها و منزلها بغير إذن و تطرح ما في بطنها من ذلك الضرب ".[٢٤٤] وروى العياشي في (تفسيره):" أن فاطمة أغلقت الباب في وجوههم، فضرب عمر الباب برجله فكسره".[٢٤٥] وقال الشيخ المفيد في (أماليه):"أن

---

[٢٤٢] – قال الطبري: حدثني ابو الحسين محمد بن هارون بن موسى التلعكبري ، عن أبيه ، قال حدثني محمد بن همام بن سهيل، قال روى أحمد بن محمد البرقي ، عن أحمد بن محمد الاشعري القمي ، عن عبد الرحمن بن بحر ، عن عبد الله ابن سنان ، عن ابن مسكان ، عن أبي بصير ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قبضت فاطمة عليها السلام في جمادى الآخرة يوم الثلاثاء خلون منه سنة احدى عشر من الهجرة ، **وكان سبب وفاتها أن قنفداً مولى الرجل لكزها بنعل السيف بأمره فأسقطت محسناً ومرضت من ذلك مرضاً شديداً** ، ولم تدع أحداً ممن آذاها يدخل عليها".

الطبري محمد بن جرير (– ٣٥٨) دلائل الامامة ، ص ٤٥

وهذا الكتاب لم يصلنا مسندا، ولم يذكره الطوسي في الفهرست ولا النجاشي في كتب الطبري، وانما ذكرا كتابا آخر تحت اسم (المسترشد في الإمامة) وقالا أيضا عن (أحمد بن محمد بن خالد البرقي): إنه أكثر الرواية عن الضعفاء واعتمد المراسيل. ولا يوجد ذكر لعبد الرحمن بن بحر، وانما (عبد الرحمن بن أبي نجران) وقال النجاشي عن (عبد الله بن سنان (١٨٣) انه ليس بثبت ، وكان خازنا للمنصور والمهدي والهادي والرشيد. وربما كان هناك تقديم وتأخير في ذكر اسم عبد الله بن سنان الأكبر من ابن مسكان (-٢٠٣) والمتوفي قبله بحوالي عشرين عاما. أما أبو بصير فهو عدة أشخاص لم يتضح المقصود منه، فهناك الأزدي الواقفي، وهناك الأسدي المخلط، وهناك غيرهما. مما يضعف الرواية من ناحية السند، وحتى لو صح السند فهناك شبهة الوضع أو الانحياز والتسرع تحوم حول كل روايات الإمامية الذين كانوا ينطلقون في اتهام عمر بضرب الزهراء من منطلق أيديولوجي مسبق. ولذلك رفض ابن أبي الحديد رواياتهم كلها.

[٢٤٣] – أمالي الصدوق ، ص ٦٨ الى ٨٢

[٢٤٤] – ابن قولويه،**كامل الزيارات**، ص ٢٣٢ الى ٢٣٥

[٢٤٥] – العياشي ، التفسير، ج ٢ ص ٦٦ الى ٦٧

عمر أضرم عليهم الباب نارا".[٢٤٦] وفي القرن السادس نسب ابن شهر آشوب (المتوفى سنة ٥٨٨ هـ) قصة إسقاط الجنين محسن، الى ضربة قنفذ.[٢٤٧]

ونتيجة لذلك انتشرت في القرن الرابع "زيارات" منسوبة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) تتضمن اللعن الصريح لأعداء أهل البيت، مثل زيارة عاشوراء والجامعة.

ومع أن هؤلاء المؤرخين والمفسرين والكتاب يروون بدون اسناد متصل أو صحيح، وينسبون روايات الى مؤلفين لم يروهم ماتوا قبلهم منذ مئات السنين، وبالتالي فان رواياتهم لا يمكن أن ترقى الى درجة (خبر الآحاد) فان السيد محمد الشاهرودي ، يقول اعتباطاً:" ان تلك الروايات فوق التواتر".[٢٤٨] وذلك في محاولة واضحة لاستغلال مصطلح: "التواتر" واستخدامه استخداما دعائيا.

ولكن السيد علي الميلاني يعترف بأن روايات القوم في هذا الموضع (إسقاط الجنين محسن) مشوشة جدّاً، وان كلّ من يراجع رواياتهم وأقوالهم وكلماتهم يعرف ذلك. ولكنه يفترض فيقول:"من الطبيعي أنْ لا يصلنا كلّ ما وقع، وأنْ لا تصلنا تفاصيل الحوادث، مع الحصار الشديد المضروب على الروايات والاحاديث، ومع ملاحقة المحدثين والرواة، ومع منعهم من نقل الاحاديث المهمة، وحتى مع حرق تلك الكتب التي اشتملت على مثل هذه القضايا أو تمزيقها وإعدامها بأيّ شكل من الاشكال...فإذن، من بعد هذه القرون المتطاولة، ومن بعد هذه الحواجز والموانع، لا نتوقّع أنْ يصل إلينا كلّ ما وقع، وإنّما يمكننا العثور على قليل من ذلك القليل الذي رواه بعض المحدّثين وبعض المؤرخين... ولكنّنا لا نتوقّع أنْ نعثر على كلّ تفاصيل تلك القضايا، وحتّى لو عثرنا على الخمسين بالمائة من القضايا يمكننا فهم الخمسين

---

[٢٤٦] – المفيد في أماليه ص ٣٨ ، وروى المفيد في كتابه (الاختصاص): ان فاطمة استنزعت كتابا من أبي بكر برد فدك اليها ، فخرجت والكتاب معها ، فلقيها عمر فقال : يا بنت محمد ! ما هذا الكتاب الذي معك ؟ فقالت : كتاب كتب لي أبو بكر بردّ فدك ، فقال : هلميّه إليّ ، فأبت أن تدفعه إليه ، فرفسها برجله . وكانت عليها السلام حاملة بابن اسمه : المحسن . فأسقطت المحسن من بطنها ، ثم لطمها ، فكأني به أخذ الكتاب فخرقه. فمضت ومكثت خمسة وسبعين يوماً مريضة من ضربة عمر ثم قبضت.

http://www.rafed.net/research/05/03.html

[٢٤٧] – وذلك نقلا عن كتاب (المعارف) لابن قتيبة. وهو غير صحيح لأن ما يوجد في الكتاب المحقق الذي بين أيدينا اليوم، ما لفظه: "أما محسن بن علي فهلك وهو صغير". دون إشارة الى عملية الضرب والإسقاط. وفي محاولة لتصحيح عمل ابن شهر آشوب، يفترض السيد علي الميلاني: أنّ اليد الآثمة العابثة هي التي حرفت كتاب (المعارف) لابن قتيبة وأسقطت هذه الكلمة، التي نقلها ابن شهر آشوب عنه، دون أن يفترض الكذب في نسبة ابن شهر آشوب اليه.

[248]-http://www.shahroudi.net/arabic/5etegadat/aghyed30.htm

البقيّة". ويضيف:"أنّ القوم قد منعوا من نقل القضايا والحوادث، وجزئيّات الأُمور، وتفاصيل الوقائع، أتتوقّعون أن ينقل لكم البخاري أنّ فلاناً وفلاناً وفلاناً أحرقوا دار الزهراء بأيديهما ؟! بهذا اللفظ تريدون ؟! لقد وجدتم البخاري ومسلماً وغيرهما يحرّفون الاحاديث التي ليس لها من الحسّاسيّة والاهميّة ولا عشر معشار ما لهذه المسألة.

لقد نصّت رواياتهم على أنّه كان لعلي (عليه السلام) من الذكور ثلاثة أولاد: حسن، وحسين، ومحسن ، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قد سمّى هؤلاء بهذه الأسامي تشبيهاً بأسماء أولاد هارون: شَبَر شُبير ومشبّر، وهذا موجود في: مسند أحمد ، وموجود في المستدرك وقد صحّحه الحاكم ، والذهبي أيضاً صحّحه، وموجود في مصادر أُخرى. فيبقى السؤال: هل كان لعلي ولد بهذا الاسم أو لا ؟ قالوا: كان له ولد بهذا الاسم... فأين صار ؟ وما صار حاله ؟".[٢٤٩]

وهكذا ، وبواسطة الافتراض والتخمين، يحاول الميلاني أن يكمل الصورة، وأن ينسب الى أفضل الصحابة أبشع الاتهامات.

وقبل ان نتوقف عند الرواية الرئيسية الأهم، وهي رواية سليم بن قيس الهلالي، يجدر بنا أن نشير الى رواية أخرى مناقضة يرويها الطبرسي صاحب (الاحتجاج)، حيث يقول: ان عمر هدد المعتصمين في بيت فاطمة قائلا:"و الذي نفس عمر بيده ليخرجن أو لأحرقنه على ما فيه". فقيل له: إن فاطمة بنت رسول الله وولد رسول الله و آثار رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، و أنكر الناس ذلك من قوله، فلما عرف إنكارهم قال: "ما بالكم! أتروني فعلت ذلك؟ إنما أردت التهويل".[٢٥٠]

---

[٢٤٩] – السيد علي الحسيني الميلاني، مظلومية الزهراء، مركز الأبحاث العقائدية . سلسلة الندوات العقائدية (٢١) و (٢٢) http://www.14masom.com/14masom/02/mktba2/book06/

[٢٥٠] – في الاحتجاج ، ج ١ ص ٥١ فقال عمر أرسل اليه قنفذاً و كان فظّاً غليظاً ، ثم أمر أُناساً حوله ، فحملوا حطباً ، و حمل معهم عمر و جعلوه حول منزله و فيه عليّ و فاطمة وابناهما (عليهم السلام) ، ثم نادى عمر والله لتخرجنَّ أو لأضرمنّ عليك بيتك ناراً ، ثم قال أبو بكر لقنفذ ان خرج و الاّ فاقتحم عليه ، فإن امتنع فاضرم عليهم بيتهم ناراً ، وحالت فاطمة (عليها السلام) بين زوجها و بينهم عند باب البيت ، فضربها قنفذ بالسوط على عضدها و انّ بعضدها مثل الدملج من ضرب قنفذ إيّاها . والمصدر : ج ١ / ص ٢٠١ . ٢٠٣ وفي هذه الرواية أيضا لا يوجد دليل على حرق البيت، وانما تدعي ضرب قنفذ للزهراء بالسوط. وكما هو معروف فان كتاب (الاحتجاج) من أضعف الكتب الحشوية غير الموثقة، والمليئة بالخرافات والأساطير. وهو ينقل الرواية عن الكتب الضعيفة السابقة من غير سند.

وهذا ما يؤكده ابن أبي الحديد في (شرح نهج البلاغة) حيث يقول:"..فأما الأمور الشنيعة المستهجنة التي تذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة عليها السلام، وأنه ضربها بالسوط فصار في عضدها كالدملج وبقي أثره إلى أن ماتت، وأن عمر أضغطها بين الباب والجدار، فصاحت: يا أبتاه يا رسول الله! وألقت جنيناً ميتاً، وجعل في عنق علي عليه السلام حبل يقاد به وهو يعتل، وفاطمة خلفه تصرخ وتنادي بالويل والثبور، وابناه حسن وحسين معهما يبكيان، وأن علياً لما أحضر سألوه البيعة فامتنع، فتهدد بالقتل ... فكله لا أصل له عند أصحابنا، ولا يثبته أحد منهم، ولا رواه أهل الحديث ولا يعرفونه، وإنما هو شيء تنفرد الشيعة بنقله".[٢٥١]

موقف الشيخ المفيد من كتاب سليم

والآن نعود الى كتاب سليم بن قيس الهلالي، الذي انتشر في القرن الرابع الهجري، وكما قلنا فقد كان ذلك القرن بالنسبة الى الشيعة، قرنا أخباريا حشويا موبوءا بالخرافات والأساطير والغلو، بسبب انقطاع الصلة مع أئمة أهل البيت الذين كانوا في حياتهم يرشدون حركة التشيع، ولما توفي الامام الحسن العسكري سنة ٢٦٠ دون ولد ظاهر يستلم زمام القيادة والتوجيه، وخيم ما يسمى بعصر الحيرة والغيبة، وقع الشيعة، وخاصة الإمامية، ضحية الرواة الكذَبة والدجالين، وصدق بعضهم كل ما ينشر باسم الأئمة، قبل ان يتطور لديهم (علم الرجال) ويميزوا بين الرجال الصادقين والكذابين، والروايات الحقيقية والأسطورية. ومن هنا وصف محمد بن أبي زينب النعماني ، في مرحلة سابقة،كتاب سليم :" بأنه من الأصول التي يرجع اليها الشيعة ويعولون عليها"، ولكن عامة الشيعة فيما بعد أخذوا يشكون في وضع واختلاق كتاب سليم ، وذلك لروايته عن طريق (محمد بن علي الصيرفي ابو سمينة) الكذاب المشهور ، و (احمد بن هلال العبرتائي) الغالي الملعون ، وقد قال ابن الغضائري :" ينسب هذا الكتاب المشهور الى سليم بن قيس، وكان أصحابنا يقولون : ان سليما لا يُعرف ولا ذكر له... والكتاب موضوع لا مرية فيه

---

[٢٥١] – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ، ص ١٢٣ ويقول ابن أبي الحديد في شرح النهج : ١٤ /١٩٣ في قصة خروج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله الى المدينة ومتابعة الكفار لطلبها ، فأدركها هبار بن الاسود فروّعها وكانت حاملاً فطرحت ما في بطنها ، فلذلك أباح رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة دم هبار ، يقول ابن أبي الحديد قرأت هذا الخبر على النقيب أبو جعفر ، فقال : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دم هبار لأنه روّع زينب فألقت ما في بطنها ، فظهر الحال انه لو كان حياً لأباح دم من روّع فاطمة حتى ألقت ذا بطنها . فقلت : اروي عنك ان فاطمة رُوّعت فألقت المحسن ، فقال :" لا تروه عني ولا تروي بطلانه ". وليس في قوله هذا أي دليل على صحة الدعوى، لأنها ليست رواية، ولم يقل بها أبو جعفر بقوة.

وعلى ذلك علامات تدل على ما ذكرنا ، منها ما ذكر أن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت، ومنها أن الأئمة ثلاثة عشر، وغير ذلك، وأسانيد هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن أذينة عن ابراهيم عمر الصنعاني عن أبان بن أبي عياش عن سليم، وتارة يروى عن عمر عن أبان بلا واسطة..." [٢٥٢].

وعندما استلم الشيخ المفيد قيادة الشيعة في القرن الخامس الهجري، وأسس المدرسة الأصولية (الاجتهادية) قام بتضعيف (كتاب سليم) وحذَّر منه قائلاً:" انه غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره ، وقد حصل فيه تخليط وتدليس ، فينبغي للمتدين ان يتجنب العمل بكل ما فيه ولا يعوّل على جملته والتقليد لروايته ، وليفزع الى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث ليوقفوه على الصحيح منها والفاسد". وانتقد الشيخ المفيدُ الشيخَ الصدوقَ على نقله الكتاب واعتماده عليه، وعزى ذلك الى منهج الصدوق الاخباري ، وقال عنه: " انه على مذهب أصحاب الحديث في العمل على ظواهر الالفاظ والعدول عن طرق الاعتبار ، وهذا رأي يضر صاحبه في دينه ويمنعه المقام عليه عن الاستبصار" .[٢٥٣]

لقد انتبهت وأنا أكتب هذه السطور الى عدم ذكر الكليني (-٣٢٩) في (الكافي) لرواية سليم، ولأية رواية أخرى حول الهجوم على بيت الزهراء، وكذلك للتفاصيل الأخرى التي ستشيع من بعده في القرن الرابع الهجري، رغم أن الكافي يعتبر من أول وأصح الكتب عند الشيعة الإمامية الإثني عشرية، ولكنه مع ذلك لم يذكر شيئا عن حكاية التهديد بالإحراق أو الإحراق الفعلي بالنار أو ضرب الزهراء أو إسقاط جنينها وما الى ذلك من الروايات المختلقة التي رويت على لسان (سليم بن قيس الهلالي) في كتابه المزعوم، رغم أن الكليني ، كما يبدو، كان يعرف كتاب سليم، ونقل عنه بعض الأحاديث ، ويقال انه يشكل أحد الأصول الأربعمائة التي اعتمد عليها ، وذلك إما لتضعيف الكليني للكتاب المذكور، أو لعدم وجود هذه الحكايات فيه في ذلك الوقت، وانما أضيفت اليه فيما بعد، وهو الأرجح.

وربما كان هذا هو السبب في عدم وجود نسخة واحدة موثقة ومتفق عليها من (كتاب سليم)، لأنه كان كتابا مفتوحا يكتب فيه من هب ودب وينسبه الى سليم، ومن هنا فقد أفرد المجلسي في (بحار الأنوار) بابا خاصا عن الأحاديث التي نسبت الى (كتاب سليم) ولا توجد فيه.

---

[٢٥٢] – القهبائي، مجمع الرجال، ج٣ ص ١٥٧

[٢٥٣] – المفيد: اوائل المقالات، وشرح اعتقادات الصدوق

ولذا يعتقد أن بعض الإمامية كتبوه في وقت متأخر، في القرن الرابع، وذلك في محاولة منهم لإعادة كتابة التاريخ وصياغة أقوالهم على لسان الامام علي، وتفسير البيعة المعروفة التي قدمها الامام لأبي بكر طواعية، وكانت منافية لنظرية الإمامة، بأنها تمت بالقهر والعنف والإرهاب.

ورغم أن الكتاب يعتبر "أصل القول في حصر عدد الأئمة باثني عشر إماما" كما يقول المؤرخ الشيعي المسعودي في (التنبيه والإشراف) الا انه تضمن أيضا رواية تشير الى أن عددهم (ثلاثة عشر) وهي الرواية التي تقول: إن النبي (ص) قال لأمير المؤمنين عليه السلام:"أنت واثنا عشر من ولدك أئمة الحق". وقد نقلها الكليني في الكافي. وهذا ما دفع هبة الله بن احمد بن محمد الكاتب ، حفيد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري ، الذي كان يتعاطى (الكلام) لأن يؤلف كتابا في الامامة ، ويقول فيه: ان الأئمة ثلاثة عشر. ويضيف الى القائمة المعروفة (الإمام زيد بن علي) كما يقول النجاشي في (رجاله). وربما كان اختلاف روايات (كتاب سليم) حول عدد الأئمة يعكس التذبذب والاختلاف الذي كان يعاني منه الشيعة الإمامية في (عصر الحيرة) قبل أن يستقر رأيهم على اثني عشر إماما، ثم يعرفوا ب:"الاثني عشرية" في نهاية القرن الرابع الهجري.

ورغم وضوح ضعف الكتاب، وغموض اسناده، وكونه خبر آحاد، بل أقل من ذلك، فان بعض رجال الدين الشيعة المتأخرين، يصرون على التمسك به والدفاع عنه، من أجل "إثبات" التهم التي يوجهونها الى الخليفتين الراشدين أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، وإسقاط عدالتهما، تمهيدا لتفنيد نظرية الشورى، وإثبات نظرية النص والتعيين في الإمامة.

يقول السيد علي الميلاني:"هناك في تاريخ الإسلام قضايا هي في ظواهرها قضايا تاريخية لكنّها في الحقيقة تعود إلى صميم العقيدة وتتعلّق بأصل الدين وأساس الإسلام . فهذه من جهة . ومن جهة ثانية ، فإن خلافة الرّسول صلى الله عليه وآله من أهم المسائل الإسلاميّة عند جميع المسلمين ، وإن كان الحق أنّها من أصول الدين ، فإذا لم تثبت شرعيّتها لم يجب . بل لم يجز . الاعتقاد بها والانقياد لها ، كما لم يجز القول بعدالة المتولّين لها ، بل يحرم اتّخاذهم قدوةً وقادةً في طاعة الله والوصول إلى رضاه والعمل بأحكامه . وعلى هذا ، فإن كانت أخبار مأساة الزهراء سلام الله عليها صادقةً ، وكان ما جرى عليها ظلماً لها تحقّق القدح في شرعيّة الخلافة وفي عدالة المتصدّين لها ، وإذا بطلت الخلافة الأولى بطل ما تفرّع عليها ، وإذا سقطت عدالة القوم سقطت أقوالهم وأفعالهم ورواياتهم . في مختلف الشؤون الدينية . عن الاعتبار ... وحينئذٍ يحكم بضلال الفرقة التابعة لهم والآخذة معالم الدين منهم".[٢٥٤]

---

254 -http://www.rafed.net/research/05/03.html

ويقول الشيخ فارس الحسون، مدير مركز الأبحاث العقائدية التابع لمكتب السيد علي السيستاني: "الحقيقة أنّ قضية الزهراء سلام الله عليها أساس مذهبنا، وجميع القضايا التي لحقت تلك القضية وتأخّرت عنها كلّها مترتبة على تلك القضية، ومذهب الطائفة الامامية الاثني عشرية بلا قضية الزهراء سلام الله عليها وبلا تلك الاثار المترتبة على تلك القضية . هذا المذهب . يذهب ولا يبقى، ولا يكون فرقٌ بينه وبين المذهب المقابل".[٢٥٥]

وبغض النظر عن صحة هذا التبرير، أو الدافع لاتهام الشيخين أبي بكر وعمر، وهما من أفاضل الصحابة الكرام، ومن المهاجرين الأولين الذين مدحهم الله تعالى في كتابه الكريم، فان تلك التهم تخالف الواقع والتاريخ الثابت المتواتر، وأحاديث أهل البيت عليهم السلام،وبالخصوص أحاديث الإمام علي بن أبي طالب، التي تزخر بالمودة والحب والاحترام لهما، تلك الأحاديث الموجودة في تراث الشيعة قبل السنة، والتي استعرضنا جانبا منها في بداية الفصل. وان كان هؤلاء الحشويين يفسرون تلك الأحاديث بالتقية، أي انهم يعترفون بصحتها، ولكنهم يفسرون صدورها من أهل البيت بالتقية، وهذا منهج تعسفي غير علمي، ولا توجد له أية ضرورة، في الوقت الذي لا يملك الحشويون أي دليل على ادعاءاتهم الجوفاء.

دور الصفويين في تأجيج الفتنة

ومن المؤسف ان بعض الدول كالدولة الصفوية التي سيطرت على بلاد فارس في القرن العاشر الهجري وما بعده، قد استغلت ذلك التراث السلبي الأسطوري، في صراعها مع العثمانيين، لكي تشن حملة شعواء ضد أهل السنة، وتسن بدعة السب واللعن للخلفاء الراشدين، وتقيم دولة ديكتاتورية مستبدة أبعد ما تكون عن سياسة أهل البيت أو عدالة الاسلام، ولكنها تتظاهر بالتشيع القشري الممسوخ، البعيد كل البعد عن روح التشيع الأول. وهذا ما دفع مفتي اسطنبول الشيخ عبد الله لأن يصدر فتوى تدعو لمحاربة "الروافض المرتدين المقيمين في إيران، وتطهير البلاد منهم، لأنهم منذ عهد إسماعيل الصفوي قد عاثوا في الأرض الفساد وأعلنوا سب الصحابة الكرام أبي بكر وعمر وعثمان، وكفروهم باستثناء علي...".[٢٥٦] ثم دفع الأفغان للثورة ضد الدولة الصفوية المتطرفة والقضاء عليها عام ١٧٢٢م

---

[٢٥٥] – المصدر

[٢٥٦] – الدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج١ ، ص ١٠٣

ومع ان الدولة الصفوية ذهبت مع التاريخ الا انها تركت بصماتها المشؤومة على العلاقات الأخوية بين السنة والشيعة، وخلفت وراءها تراثا ثقافيا متعفنا مليئا بالأحقاد.

وقد حاول الإمبراطور الإيراني نادر شاه، الذي ورث الدولة الصفوية، أن يقضي على بدعة اللعن للخلفاء التي انتشرت في فارس في ذلك الزمان، ويوحد بين طوائف مملكته الواسعة التي امتدت من الهند الى العراق، وضمت الشيعة والسنة، فعقد لذلك مؤتمرا علميا في النجف الأشرف، في شوال من عام ١١٥٦هـ الموافق لكانون الأول عام ١٧٤٣م، ضم مجموعة من كبار العلماء الشيعة والسنة من العرب والفرس والترك والأفغان (حوالي سبعين عالما شيعيا وسبعة من علماء تركستان وسبعة من أفغانستان)، وكان على رأسهم مفتي العراق السني الشيخ عبد الله السويدي، ومفتي الأفغان الملا حمزة القلنجاني، ومفتي إيران الملا باشي علي أكبر والمرجع الكربلائي السيد نصر الله الحائري، وطلب منهم ان يبحثوا النقاط الخلافية بينهم، وكان بالطبع موضوع (السب واللعن) على رأس القائمة. وقد انتهى المؤتمر الى إصدار بيان موحد من علماء السنة والشيعة يرفض فيه الموقف السلبي تجاه الخلفاء الراشدين. وجاء فيه:"ان أهل إيران عدلوا عن العقائد السالفة، ونكلوا عن الرفض والسب، وقبلوا المذهب الجعفري الذي هو من المذاهب الحقة، فالمأمول من القضاة والعلماء والأفندية الكرام الإذعان بذلك وجعله خامس المذاهب". وكان من نتيجة ذلك اعتراف علماء أهل السنة بالشيعة حسبما وقعوا:"نحن علماء الاسلام من بخارى وبلخ نشهد أن العقيدة الصحيحة الاسلامية للأمة الإيرانية على نحو ما ذكره العلماء سالفا، وأن هذه الفرقة داخلة في الاسلام ومن أمة سيد الأنام (ص) وكل من أظهر العداوة مع هذه الفرقة فهو خارج عن الدين ومحروم من شفاعة خاتم النبيين... والاختلاف مع أهل هذه العقيدة في بعض الفروع غير مناف ولا مغاير للاسلام، وأصحابها من أهل الاسلام، ويحرم على الفريقين المسلمين من أمة محمد قتل كل واحد منهم الآخر ونهبه وأسره، وهم إخوان في الدين".

وذكر الشيخ عبد الله السويدي، الذي كان لولب المؤتمر:" أنه حين تم توقيع العلماء على المحضر صار لأهل السنة فرح وسرور لم يقع مثله في العصور ولا تشبهه الأعراس والأعياد، فكان يوما مشهودا من عجائب الدنيا، والحمد لله على ذلك.. وصار ذكر الصحابة ومناقبهم في كل خيمة من المعسكر وعلى لسان العجم كلهم بحيث كانوا يذكرون لأبي بكر وعمر وعثمان مناقب وفضائل يستنبطونها من الآيات والأحاديث مما يعجز عنه فحول أهل السنة، وأخذوا يسفهون رأي الشاه إسماعيل (الصفوي) في سبهم".[٢٥٧]

---

٢٥٧ – المصدر السابق، ج١ ، ص ١٣٣، نقلا عن كتاب (الحجج القطعية لاتفاق الفرق الاسلامية) للسويدي، المطبوع في القاهرة سنة ١٣٢٤ ، و (أعيان الشيعة) لمحسن الأمين.

واذا كان مؤتمر النجف قد نجح بصورة رئيسية بطي صفحة البدعة الصفوية السيئة، في زمن نادر شاه، اعتمادا على قوته وإرادته السياسية، فانه لم يستطع اقتلاع الشبهات والأساطير التي كانت تعشعش في الثقافة الشعبية، وعلى رأسها موضوع "الهجوم على بيت فاطمة الزهراء وأحراق باب دارها، وضربها وإسقاط جنينها". وهو ما كان يؤجج نار الفتنة بين آونة وأخرى، ويسخن الموقف الشيعي السلبي من الشيخين.

ورغم ان موضوع الهجوم على بيت الزهراء ، يعتبر موضوعا تاريخيا بحتا، فان بعض رجال الدين الأخباريين الحشويين، يحاولون إضفاء صبغة دينية عليه، وبدلا من تقديم أدلتهم العلمية التاريخية، نرى البعض منهم يلجأ الى سلاح "الفتوى" والتهريج ليكمم أفواه العلماء والمحققين الذين يصرحون بضعف تلك الروايات واختلاقها. رغم ان مجال الإفتاء هو الأحكام الفقهية وليس الأمور العقائدية أو التاريخية، التي يجب فيها الاجتهاد ويحرم التقليد.

ويحاول أولئك الحشويون ، بقايا الصفويين، استدرار الدموع والعواطف باعتبار التباكي على الزهراء ضريبة الولاء لأهل البيت (عليهم السلام) والتبري من "أعدائهم" والتنظير لسبهم ولعنهم واعتبار ذلك من "عقائدهم" وهم لا يعرفون أنهم بترديدهم لتلك الشائعات والشبهات وممارسة السب واللعن، انما يضربون صميم أهل البيت، ويؤلبون عامة الناس ضد الشيعة ، ويمزقون الوحدة الاسلامية ، ويسيئون الى الاسلام والمسلمين بتشويه تاريخ الجيل الأول من المسلمين، خيرة صحابة رسول الله، بتلك الصورة البشعة.[٢٥٨]

ج – واقع الشيعة اليوم..

إن الامام محمد الباقر (عليه السلام) يقول:" لا تسبوا الناس فتكتسبوا العداوة بينهم ".[٢٥٩] ويقول: "إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها ترددت بينهما، فإن وجدت مساغا وإلا رجعت على صاحبها". [٢٦٠]

---

[٢٥٨] – جاء في مباني تكملة المنهاج للسيد الخوئي: "مسألة :214 يجب قتل من سب النبي على سامعه ما لم يخف الضرر على نفسه أو عرضه أو ماله الخطير ونحو ذلك، ويلحق به سب الأئمة وسب فاطمة الزهراء ، ولا يحتاج جواز قتله إلى الأذن من الحاكم الشرعي". وقد رأينا فتاوى علماء السنة الأقدمين والمحدثين كيف يكفرون من يسب أحدا من الصحابة الكرام.

[٢٥٩] – الكليني ،الكافي ج٢ ص٣٦٠ ح٣

[٢٦٠] – المصدر السابق ج٢ ص٣٦٠ ح٧

فكيف بسب الصحابة؟ أو لعنهم؟ والعياذ بالله. بيد ان مما يسرّ المرء هو حدوث تطور إيجابي كبير لدى عامة الشيعة تجاه هذا الموضوع، وإعادة النظر الى أسبابه، فان الشيعة اليوم في الحقيقة، يرفضون تلك الإتهامات الأسطورية الفظيعة، ويستنكرونها أشد استنكار، ويكنون احتراما كبيرا للشيخين، وذلك لأن الشيعة اليوم أقرب الى الشورى والديموقراطية منهم الى الفكر الإمامي التقليدي، وليس لهم من "الإمامية" الا الاسم، ولا يتمسك منهم بتلك الأباطيل الا فئات صغيرة تميل الى "الأخبارية الحشوية" التي ترفض العلم والاجتهاد وترفض تسليط أي ضوء على التاريخ.

وقد قام مؤخرا المرجع الشيعي الكبير السيد محمد حسين فضل الله بتسليط الضوء على بعض مخلفات الفتنة، مثل ما يسمى بزيارة عاشوراء والجامعة، التي تتضمن اللعن الصريح لأعداء أهل البيت، فقال عن زيارة عاشوراء: "**لم يثبت لدينا صحة هذه الزيارة لضعف بعض رواتها**" وأبدى تحفظه على زيارة الجامعة الكبيرة للأسباب التالية:"أولا **ان طريق الصدوق الى الراوي غير نقي ويتصف بالضعف**، كما نص على ذلك سيدنا الاستاذ المرحوم السيد الحوئي (قده) في كتاب معجم رجال الحديث، ولم تردنا هذه الرواية من غير طرق الشيخ الصدوق، حتى يمكن تصحيح ذلك.وثانيا: **ما ورد عن النبي (ص) والأئمة** (ع) **من أنهم صح عنهم أن ما خالف قول ربهم لم يقولوا**، وبعض فقراتها يخالف بوضوح ظاهر بعض الآيات القرآنية، كما في قوله تعالى:"إن إلينا أيابهم، ثم إن علينا حسابهم" فان ما ورد في هذه الزيارة مخالف جدا لهذه الآيات، والمقصود هذه العبارة:" **وإياب الخلق اليكم، وحسابهم عليكم**". والله العالم".[٢٦١] كما شكك العلامة السيد مرتضى العسكري (أحد مؤسسي حزب الدعوة الاسلامية) بصحة زيارة عاشوراء، ودعا الى الكف عن ترديد ما فيها من اللعن. [٢٦٢]

واذا كان للإمامية في القرون الأولى أي مبرر لترويج تلك الأحاديث والاتهامات الموجهة للشيخين، رغم الصبغة الجرمية الكبرى التي تمثلها، فانه لا يوجد للشيعة اليوم أي مبرر للتمسك بتلك الإتهامات الباطلة والأسطورية البشعة، وذلك بعد ذهاب أئمة أهل البيت، وانقراض المذهب الامامي، ووصوله الى طريق مسدود بوفاة الامام الحسن العسكري دون ولد ظاهر تستمر فيه الإمامة، رغم افتراض فريق من الإمامية وجود ولد له في السر، لم يظهر على مدى أكثر من ألف عام، واضطرار الشيعة مؤخرا للتخلي

---

[٢٦١] – مكتب الاستفتاءات لسماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله. ٢٦ جماد الأول ١٤٢٥

[٢٦٢] – وذلك في محاضرة له في مدرسة السيدة المعصومة بقم بتاريخ ٢٩ / ٤ / ٢٠٠٤ حول زيارة عاشوراء التي يرد فيها لعن ظالمي أهل البيت عليهم السلام فقال: "إذا توجهنا إلى سيرة الأئمة فلن تجد عندنا هذا الأمر، وما ورد بشأن زيارة عاشوراء غير صحيح، وأنا متردد في أصل زيارة عاشوراء، وفي هذا العصر وهذه الظروف الحساسة لم يعد للعن موقعا أو محلا".

عن اشتراط العصمة والنص في الإمام (الرئيس)، وتبني نظرية "ولاية الفقيه" ثم النظام الجمهوري الديموقراطي، أي الشورى وانتخاب الأمة للإمام، في خطوة مناقضة تماما للفكر الامامي القديم البائد واللامعقول.

إن الفهم الصحيح لنظرية الإمامة، وكونها نظرية "سياسية قديمة" وبائدة، بدل أن تكون "عقيدة دينية" يشكل المقدمة الضرورية أمام التخلي النهائي والحاسم عن تلك الإتهامات الباطلة، ووضعها على رفوف التاريخ.

وعلى أي حال، فان النقد والسب واللعن والتكفير والاتهام بالردة والنفاق، كان إفرازا من افرازات الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين، مع الأسف الشديد. ولا بد من إغلاق ذلك الملف، إذ لا يعقل أن نلوك ذلك التاريخ السيء وتلك الإفرازات القبيحة، ونظل نلوكها الى يوم القيامة. وحسنا فعل أهل السنة بالدعوة الى طي صفحة الماضي ، وعدم الغوص كثيراً في أحداث التاريخ السحيق.

ولكن إغلاق ملف التاريخ، وتجاوز أحداث الماضي الأليمة وخاصة أحداث الفتنة الكبرى، لا يعني تقديس الصحابة جميعا، أو رفع منزلة المخطئين منهم الى درجة الأولياء والصالحين، واعتبار ذلك جزء من العقيدة الدينية. فان تكفير أو تبديع أو تضليل من ينتقد أحدا منهم، وإعلان الحرب على طوائف اسلامية كبيرة اليوم، أو اتهامها بالكفر والمروق من الدين، يعتبر أسوء من سب الصحابة أنفسهم، واستمراراً للفتنة بشكل آخر. ان فلسفة تجاوز التاريخ وغض النظر عن أعمال الصحابة، تقتضي منا بدرجة أولى التسامح مع المسلمين المعاصرين، الذين قد ينفعل بعضهم لشبهة تحدث له، فينتقد أو يسب بعض الصحابة، وهذا يجب أن ينصح ويقنع بالدليل والبرهان. ولا بد من عدم فتح أية معركة جديدة مع أي فريق تعصبا للدفاع عن معارك التاريخ. يجب أن نعامل أخواننا الذين قد يخطئون اليوم ويواصلون التفاعل بحماس وانفعال مع أحداث التاريخ، ويسيئون الى بعض الصحابة، لا سمح الله، وذلك حفاظا على الوحدة الاسلامية، وملاحظة القواسم المشتركة الكثيرة والرئيسية التي تجمعهم بنا ولا تخرجهم من الدين.

الفصل الثاني: دور الأدعية والزيارات في إضفاء المسحة الدينية على التاريخ

كتاب"مفاتيح الجنان" نموذجا

يحتفظ الشيعة الامامية الإثنا عشرية بتراث ضخم من الأدعية والزيارات المنسوبة الى أئمة أهل البيت، والتي يدأبون على تلاوتها آناء الليل وأثناء النهار وفي عقب كل صلاة، وهناك من الأدعية والزيارات ما يتلونها كل ساعة أو كل يوم أو كل أسبوع أو كل شهر أو في كل موسم أو في المناسبات السنوية. ومن هنا تلعب الأدعية والزيارات دورا كبيرا في صياغة الثقافة الشيعية الشعبية، وترسيخها بين الناس.

ومن يقرأ كثيرا من تلك الأدعية الواردة عن أهل البيت يلمس روح الإيمان والتوحيد والخوف من الله تعالى والتوسل به وإخلاص الدعاء له، كما في دعاء الصباح المنسوب الى الامام علي بن أبي طالب، والدعاء الذي علمه الى كميل بن زياد، أو دعاء الامام الحسين يوم عرفة، أو "الصحيفة السجادية" المنسوبة الى الامام علي بن الحسين، وغيرها من الأدعية الرائعة التي تصقل روح الانسان وتزرع الإيمان في قلبه. ولكن كتب الأدعية والزيارات تعاني من مشكلة عامة هي مشكلة الوضع في الأحاديث، ولذلك نجد الى جنب تلك الادعية الصادقة كثيرا من الأدعية الموضوعة من قبل الغلاة والمنحرفين والمنسوبة الى أئمة أهل البيت، والتي تعبر عن أفكار واضعيها وتلعب دورا خطيرا في إشاعة المفاهيم السلبية ، وبث العداوة والبغضاء بين المسلمين.

وقد بدأ محدثو الشيعة في تجميع تلك الأدعية والزيارات في كتبهم، منذ القرن الرابع الهجري، عندما قام الكليني بتضمين كتابه "الكافي" بابا خاصا للزيارات، ثم قام تلميذه جعفر بن محمد ابن قولويه بتأليف كتاب خاص بالأدعية والزيارات تحت عنوان "كامل الزيارات" وجاء من بعده الشيخ محمد بن علي الصدوق الذي نقل عنهما في كتابه "من لا يحضره الفقيه" قسما من تلك الزيارات، وجاء الشيخ أبو جعفر الطوسي فجمع ما تيسر له من الأدعية والزيارات في كتاب خاص اسمه "مصباح المتهجد". الى أن جاء الشيخ محمد بن المشهدي في القرن السادس الهجري، فألف كتاب "المزار الكبير". ثم جاء من في القرن السابع الهجري بعده السيد علي بن موسى بن ابن طاووس فألف عدة كتب هي: "إقبال الأعمال" و "جمال الأسبوع" و "أمان الأخطار" و "مهمّات في صلاح المتعبد وتتمّات لمصباح المتهجد" وجمع فيها ما توافر في زمانه من أدعية وزيارات. وفي القرن التاسع الهجري ألف الشيخ إبراهيم الكفعمي كتابين في الأدعية هما:" جنة الأمان الواقية و الجنة الباقية" المعروف ب"المصباح" و "البلد الأمين و الدرع الحصين". وألف الشيخ محمد باقر المجلسي في القرن الثاني عشر الهجري كتابا بعنوان "زاد المعاد ومفتاح الجنان".

ومعظم هذه الكتب غير متداول بين الناس، ما عدا كتاب "مفاتيح الجنان" الذي ألفه في القرن الرابع عشر الهجري، الشيخ عباس بن محمد رضا القمي، واشتهر اشتهارا واسعا، حتى دخل كل بيت شيعي تقريبا. وقد قال في مقدمته إنه ألفه استجابة لطلب بعض المؤمنين الذين سألوه أن يراجع كتاب "مفتاح

الجنان" المتداول بين الناس ليألف كتابا على غراره خلوا مما احتواه مما لم يعثر على سنده، فأجابهم الى ذلك وأضاف اليه أدعية وزيارات لم ترد في ذلك الكتاب.

وقد أعرب الشيخ عباس القمي في كتابه عن امتعاضه من التلاعب بالأدعية والزيارات عبر التاريخ واعتبر ذلك نوعا من البدعة والدس في الحديث والخروج عن المأثور، فنقل عن شيخه النوري تعليقا على إحدى الزيادات المتعلقة بزيارة الامام الحسين، جاء فيه:" ان هذه الكلمات التي ذيلت بها هذه الرواية، انما هي بدعة في الدين وتجاسر على الامام (ع) بالزيادة فيما صدر منه، وفوق ذلك فهي تحتوي على أباطيل وأكاذيب بينة الكذب. والغريب المدهش أنها تبث بين الناس وتذوع حتى تهتف بها في كل يوم وليلة عدة آلاف مرة في مرقد الحسين (ع) .. ولا منكر ينكرها، أو رادع يردع عن الكذب والعصيان. فآل الأمر الى أن تدون هذه الأباطيل وتطبع في مجاميع من الأدعية والزيارات يجمعها الحمقاء من عوام الناس فتزعمها كتابا فتجعل لها إسما من الأسماء، ثم تتلاقفها المجاميع فتسري من مجموعة أحمق الى مجموعة أحمق آخر. وتتفاقم المشكلة، فيلتبس الأمر على بعض طلبة العلم والدين. وإني صادفت طالبا من طلبة العلم والدين، وهو يزور الشهداء بتلك الأباطيل القبيحة، فمسست كتفه، فالتفت إلي، فخاطبته قائلا: ألا يشنع من الطالب أن ينطق بمثل هذه الأباطيل في مثل هذا المحضر المقدس؟ قال: أليست هي مروية عن الامام عليه السلام؟ فتعجبت لسؤاله وأجبته بالنفي، قال: فإني قد وجدتها مدونة في بعض الكتب، فسألته عن الكتاب فأجاب: كتاب مفتاح الجنان. فسكت عنه، فانه لا يليق أن يكالم المرء رجلا أدى به الغفلة والجهل الى أن يعد المجموعة التي جمعها بعض العوام من الناس كتابا من الكتب، ويستند اليه مصدراً لما يقول. ثم بسط الشيخ (رحمه الله) كلامه في هذا المقام، وقال: ان عدم ردع العوام عن نظائر هذه الأمور غير الهامة، والبدع الصغيرة، كغسل أويس القرني، وهو التابع المخلص لمعاوية، وصوم الصمت بأن يتمالك المرء عن التكلم بشيء في اليوم كله، وغير ذلك من البدع، التي لم يردع عنه رادع، ولم ينكره منكر، قد أورثت الجرأة والتطاول، ففي كل شهر من الشهور، وفي كل سنة من السنين، يظهر للناس نبي أو إمام جديد، فترى الناس يخرجون من دين الله أفواجا".

وأضاف الشيخ عباس القمي:"مع ما بلغتنا من الأدعية المأثورة ذات المضامين السامية، والكلمات الفصيحة البليغة، يصاغ دعاء سخيف غاية السخف، فيسمى بدعاء الحبي، فينزل من شرفات العرش، فيفتري له من الفضل ما يدهش المرء ويبهته، من ذلك، والعياذ بالله، أن جبرئيل بلغ النبي محمدا (ص) أن الله تعالى يقول: إني لا أعذب عبدا يجعل معه هذا الدعاء، وان استوجب النار وأنفق العمر كله في المعاصي، ولم يسجد لي فيه سجدة واحدة، انني أمنحه أجر سبعين ألف نبي، وأجر سبعين ألف زاهد، وأجر سبعين ألف شهيد، وأجر سبعين ألف من المصلين، وأجر من كسا سبعين ألف عريان وأجر من أشبع سبعين ألف جائع، ووهبته من الحسنات عدد حصى الصحاري، وأعطيته أجر سبعين ألف بقعة من الأرض، وأجر خاتم النبوة لنبينا (ص) وأجر عيسى روح الله، وابراهيم خليل الله وأجر اسماعيل ذبيح

الله وموسى كليم الله... يا محمد من دعا بهذا الدعاء العظيم دعاء الحبي، أو جعله معه غفرت له واستحييت أن أعذبه – الى آخره– وجدير بالمرء أن يستبدل الضحك على هذه المفتريات الغريبة بالبكاء على كتب الشيعة ومؤلفاتهم، الكتب القيمة التي بلغت الرتبة السامية ضبطا وصحة واتقانا، فكانت لا يستنسخها في الغالب الا رجال من أهل العلم والدين، فيقابلونها بنسخ نسختها أيدي أهل العلم ، وصححها العلماء... وهذا مبلغ ما بذلوه من الجهد في مداقتها وتصحيحها، والآن نجدها قد عيفت وتركت، فاستخلفها كتاب "مفتاح الجنان" الذي وقفت على نزر من صفته، فيكون هو الكتاب الوحيد الذي تتداوله الأيدي، ويرجع اليه العوام والخواص، والعرب والعجم، وما ذلك الا لأن أهل العلم والدين لا يبالون بالأحاديث والروايات، ولا يراجعون كتب علماء أهل البيت الطاهرين وفقهائهم، ولا ينكرون على أشباه هذه البدع والزوائد، وعلى دس الدساسين والوضاعين ، وتحريف الجاهلين، ولا يصدون من لا يرونه أهلا، ولا يردعون الحمقاء فيبلغ الأمر حيث يلفق الأدعية بما تقتضيه الأذواق، ويصاغ زيارات ومفجعات وصلوات، ويطبع مجاميع عديدة من الأدعية المدسوسة، وينتج أفراخ الكتاب المفتاح وتعم المشكلة، فيروج الدس والتحريف ونراهما يسريان من كتب الأدعية الى سائر الكتب والمؤلفات".

وقد بذل الشيخ عباس القمي جهدا كبيرا في كتابه "مفاتيح الجنان" لتنقية الأدعية والزيارات ومحاولة التأكد من نسبتها الى أئمة أهل البيت وانتقائها من الكتب الشيعية القديمة المعتبرة. ومع ذلك فقد عانى مما عانت منه كتب الأدعية السابقة حيث تسرب اليه الكثير من الأدعية المزورة والزيارات الموضوعة والمختلقة. وهذا ما أثار لدى المحققين أسئلة كثيرة عن صحة عدد كبير من الأدعية والزيارات الواردة فيه والتي ينقلها القمي عن كتب قديمة بلا تمحيص أو ذكر للسند، وانما اعتمادا على ورودها في كتب "مشايخ الطائفة" الأقدمين.

وهذا نهج أخباري حشوي قديم ابتلي به المسلمون عموما والشيعة خصوصا، تحت شعار "التسامح في أدلة السنن". إذ كان الكثير من المحدثين من السنة والشيعة يقبل خبر الآحاد، وربما الضعيف، حتى في أمور العقيدة فضلا عن الفقه والحلال والحرام. ولكن تطور حركة الفقه عند الشيعة دفعت العلماء الى تصنيف الأحاديث وتنقيتها وتشذيبها وتهذيبها، فنشأت المدرسة الأصولية التي بذلت جهودا كبيرة في هذا المجال، وقد نجحت في جوانب وعجزت أو فشلت في جوانب، ومن الجوانب التي فشلت فيها أو أهملتها هي الأدعية والزيارات باعتبارها لا تمس دائرة الحلال والحرام، وانها من السنن. واذا كانت قراءة الأدعية والزيارات من السنن، فان ما تحتويه كان يمس دائرة العقيدة والأصول، ولذا لم يكن يجوز تركها بلا تحقيق أو تمحيص.

أدعية موضوعة تحتوي على أباطيل

وإذا ألقينا نظرة على كتاب "مفاتيح الجنان" لوجدناه يزخر بكثير من الأحاديث والأدعية والزيارات الموضوعة التي تحتوي على أباطيل.

يقول الشيخ عباس القمي في الفصل الثاني من كتابه (في التعقيبات الخاصة):"حكى شيخنا ثقة الاسلام النوري نور الله مرقده في كتاب دار السلام عن شيخه المرحوم العالم الرباني الحاج المولى فتح علي السلطان آبادي : ان الآخوند المولى محمد الصادق العراقي كان في غاية الضيق والعسرة والضراء، ومضى عليه كذلك زمان فلم يجد من كربه فرجا ولا من ضيقه مخرجا، الى أن **رأى ليلة في المنام** كأنه في واد يتراءى فيه خيمة عظيمة عليها قبة، فسأل عن صاحبها فقيل فيها الكهف الحصين وغياث المضطر المستكين الحجة القائم المهدي المنتظر (عجل الله تعالى فرجه) فأسرع الذهاب اليها، فلما وافاه صلوات الله عليه شكا عنده سوء حاله وسأل عنه دعاء يفرج به همه ويدفع به غمه، فأحاله عليه السلام الى **سيد من ولده** والى خيمته، فخرج من حضرته ودخل في تلك الخيمة فرأى السيد السند والحبر المعتمد العالم الأمجد المؤيد جناب السيد محمد السلطان آبادي قاعدا على سجادته مشغولا بدعائه وقراءته، فذكر له بعد السلام ما أحال عليه حجة الملك العلام، فعلمه دعاء يستكفي به ضيقه ويستجلب به رزقه، فانتبه من نومه والدعاء محفوظ في خاطره، فقصد بيت جناب السيد، وكان قبل ذلك نافرا لرؤيته لوجه لا يذكره، فلما أتاه ودخل عليه رآه كما في النوم على مصلاه ذاكرا ربه مستغفرا ذنبه، فلما سلم عليه أجابه وتبسم في وجهه كأنه عرف القضية، فسأل عنه ما سأل عنه في الرؤيا فعلمه من حينه عين ذاك الدعاء فدعا به في قليل من الزمان فصبت عليه الدنيا من كل ناحية ومكان، وكان المرحوم الحاج المولى فتح علي (رحمه الله) يثني على السيد ثناء بليغا وقد أدركه في أواخر عمره وتلمذ عليه شطرا من الزمان".

ولا يستطيع المرء أن يتأكد من أساس هذه القصة، ولكنه يستطيع التنبه بسهولة الى طبيعتها الاسطورية، فهي تتحدث عن رؤية الامام المهدي في المنام وكأنها في اليقظة، في حين أن شخص الامام المهدي (المقصود: الامام الثاني عشر محمد بن الحسن العسكري) مشكوك في وجوده، وتتحدث أيضا عن معرفة السيد السلطان آبادي بما أوحى به المهدي لذلك الرجل في المنام. وتبسمه وتعليمه له نفس الدعاء، وهذا من علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله. أو كأن روح الامام المهدي قد طافت على الرجلين في ليلة واحدة. وتقول الرواية أن المهدي أحال النائم الى سيد من ولده وهو السلطان آبادي، وهذا يخالف الرواية الشيعية بعدم وجود أو معرفة أولاد للامام المهدي.

وهناك مثل آخر على الوضع والتحريف هو (دعاء العديلة) الذي يُقرأ لضمان عدم انحراف الانسان عند الموت، والذي يتضمن أفكارا مغالية ومنحرفة، كالفقرة التي تقول بأن الدنيا والأرض والسماء تثبت بوجود "المهدي المنتظر". ومع ان الشيخ عباس القمي يروي هذا الدعاء في "مفاتيح الجنان" الا انه

يتساءل:"هل هذا الدعاء من المعصوم عليه السلام؟ أم هو من إنشاء بعض العلماء؟ ثم يجيب:يقول في ذلك خريت صناعة الحديث وجامع أخبار الأئمة عليهم السلام العالم المتبحر والمحدث الناقد البصير مولانا الحاج ميرزا حسين النوري (نور الله مرقده): وأما دعاء العديلة المعروفة فهو من مؤلفات بعض أهل العلم ليس بمأثور، ولا موجود في كتب حملة الأحاديث ونقادها".

ولا يوضح الشيخ القمي بعد ذلك لماذا إذن يذكر هذا الدعاء الموضوع في كتابه، في جملة الأدعية التي يتعهد برواياتها فقط عن أئمة أهل البيت؟ رغم ما يوجد فيه من غلو وأباطيل.

وبعد صفحات من ذلك ينقل الشيخ عباس القمي دعاء باسم (السيفي الصغير المعروف بدعاء القاموس) ويقول:"ذكره الشيخ الأجل ثقة الاسلام النوري (عطر الله مرقده) في الصحيفة الثانية العلوية، وقال: ان لهذا الدعاء في كلمات أرباب الطلسمات والتسخيرات شرح غريب، وقد ذكروا له آثارا عجيبة، ولم أرو ما ذكروه لعدم اعتمادي عليه، ولكن أورد أصل الدعاء **تسامحا في أدلة السنن**، وتأسيا بالعلماء الأعلام".

ومن أبرز الأمور التي يذكرها الشيخ عباس القمي، وتنطوي على قدر كبير من الخرافة والأباطيل، حديث عجيب غريب، ينقله عن كتاب (زاد المعاد) لعلي ابن طاووس، يقول فيه:ان قوما من الأصحاب كانوا جلوسا، إذ دخل عليهم رسول الله (ص) فسلم عليهم فردوا عليه السلام، فقال: ألا أعلمكم دواء علمني جبرئيل (ع) حيث لا أحتاج الى دواء الأطباء؟ وقال علي وسلمان وغيرهم: وما ذاك الدواء؟ فقال النبي (ص) لعلي: تأخذ من ماء المطر بنيسان، وتقرأ عليه كلا من فاتحة الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، وقل يا أيها الكافرون، سبعين مرة، وزادت رواية أخرى: سورة انا أنزلناه، أيضا سبعين مرة، والله أكبر سبعين مرة، ولا إله الا الله سبعين مرة، وتصلي على محمد وآل محمد سبعين مرة وتشرب من ذلك الماء غدوة وعشية سبعة أيام متواليات، والذي بعثني بالحق نبيا ان جبرئيل (ع) قال: ان الله يرفع عن الذي يشرب هذا الماء كل داء من جسده، ويعافيه، ويخرج من جسده وعظمه وجميع أعضائه، ويمحو ذلك من اللوح المحفوظ، والذي بعثني بالحق نبيا ان لم يكن له ولد بعد، فشرب من ذلك الماء كان له ولد، وان كانت المرأة عقيما وشربت من ذلك الماء رزقها الله ولدا، وان أحبت أن تحمل بذكر أو أنثى حملت، وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى :" يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا، ويجعل من يشاء عقيما".

ثم قال عليه السلام: وان كان به صداع فشرب من ذلك يسكن عنه الصداع بإذن الله ، وان كان به وجع العين يقطر من ذلك الماء في عينيه، ويشرب منه، ويغسل به عينه، ويشتد أصول الأسنان، ويطيب الفم، ولا يسيل من أصول الأسنان اللعاب، ويقطع البلغم، ولا يتخم اذا أكل وشرب، ولا يتأذى بالريح

– من القولنج وغيره – ولا يشتكي ظهره، ولا ييخع بطنه، ولا يخاف من الزكام، ووجع الضرس، ولا يشتكي المعدة، ولا الدود، ولا يحتاج الى الحجامة، ولا يصيبه البواسير، ولا يصيبه الحكة، ولا الجدري، ولا الجنون، ولا الجذام، ولا البرص ، ولا الرعاف ، ولا القيء، ولا يصيبه عمى، ولا بكم، ولا خرس، ولا صمم، ولا مقعد، ولا يصيبه الماء الأسود في عينيه، ولا يصيبه داء يفسد عليه صومه وصلاته، ولا يتأذى بوسوسة الجن ولا الشياطين.

وقال النبي (ص) قال جبرئيل: انه من شرب من ذلك، ثم كان به جميع الأوجاع التي تصيب الناس، فانه شفاء له من جميع الأوجاع، فقال جبرئيل (ع) : والذي بعثك بالحق، من يقرأ هذه الآيات على هذا الماء، فيشرب منه ملأ الله قلبه نورا وضياء، ويلقى الالهام في قلبه، ويجري الحكمة على لسانه، ويحشو لبه من الفهم والبصيرة، وأعطاه من الكرامات ما لم يعط أحدا من العالمين، ويرسل عليه ألف مغفرة، وألف رحمة، ويخرج الغش والخيانة والغيبة والحسد والبغي والكبر والبخل والحرص والغضب، من قلبه، والعداوة والبغضاء، والنميمة والوقيعة في الناس، وهو الشفاء من كل داء.

ومع ان الشيخ عباس القمي يضعف سند هذه الرواية "لوجود عبد الله بن عمر في سندها" كما يقول، الا انه يعود فيقويها برواية أخرى يقول ان سندها ينتهي الى الامام الصادق، وتوجد فيها اضافات، وتذكر آثارا أخرى، منها: انه اذا كان مسجونا فشرب من ذلك الماء نجا من السجن، وانه لم يغلب على طبعه البرودة.

ولسنا بحاجة الى مناقشة هذه الرواية التي تنضح بحقيقة وضعها واختلاقها وأسطوريتها، والتي تحاول تقديم "ماء نيسان" كحل سحري لجميع مشاكل الانسان الجسدية والمالية والروحية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية.

يقدم الشيخ عباس القمي في كتابه "الباقيات الصالحات"، الملحق ب"مفاتيح الجنان"، مجموعة من الأدعية والرقي والتعاويذ لمعالجة مختلف الأمراض بحيث لاتعود هناك حاجة لمراجعة أي طبيب وأية صيدلية، فلديه تعاويذ لوجع الرأس ووجع الإذن والشقيقة والصمم والحمى ووجع الفم والأسنان والصدر والسعال والبطن وقرقرة البطن والقولنج ، وضعف البصر ووجع العين، وضعف الركب، ووجع السرة والخاصرة، ومختلف الأورام والثآليل. ولديه تعاويذ خاصة للعقارب والبراغيث، والأمن من السراق واللصوص. ولرجوع العبد الآبق. كما يقدم رقية لحفظ زرع الخيار والبطيخ من أضرار الدود وغيره مما يفسدها من الحيوان.

وربما كانت هذه "الأدعية" والرقي والتعاويذ، الموضوعة في عصور التخلف، سراً من أسرار انحطاط المسلمين، الذين استبدلوا بها طريق العقل والعلم. صحيح ان الدعاء الخالص لله تعالى يؤثر في حياة الإنسان، ولكن ليس بهذه الصورة الأسطورية والاعتماد الكلي على "الأدعية والتعاويذ" السحرية.

ويكفي في ذكر الشيخ عباس القمي لهذه الروايات واعتقاده بصحتها لاكتشاف منهجه الحشوي في الحديث ، وعدم معرفته للصحيح من السقيم، واختلال الموازين العلمية لديه، والذي أدى به وبمن شابهه من المحدثين الحشويين، الى قبول كثير من الأدعية والزيارات الموضوعة والتي تمتليء غلوا وتطرفا وشركا وكفرا بالله تعالى. وتقديمها للعوام على أنها جزء أساس من الدين.

وبالإضافة الى ما يوجد في "مفاتيح الجنان" من أدعية موضوعة وخرافات وأساطير، فقد تعرض كتابه الى دس أحاديث أخرى لم يذكرها هو في كتابه، مثل "حديث الكساء". وهذا ما كان يخشاه الشيخ عباس القمي، ويحرص على تجنبه، حيث كان يعمل على صيانة كتابه من الزيادة والنقصان، ولعن من يقوم بذلك، حتى انه تجنب إضافة أدعية أخرى الى كتابه بعد الفراغ منه خشية فتح الباب للأهواء للتلاعب الكتاب – كما يقول - "لقد خطر بالبال بعدما فرغت من تأليف كتاب مفاتيح الجنان وانتشرت نسخه في الأقطار أن أضيف اليه للطبعة الثانية إضافات تشتد الحاجة اليها... ولكن الاضافة الى الكتاب فيما رأيت كانت تفتح الباب للتصرف في كتاب مفاتيح الجنان، وهو باب قد يغتنم فتحه بعض الفضوليين متصرفين في الكتاب إضافة وحذفا فينشرون ما عبثت به الأهواء باسم مفاتيح الجنان، كما هو المشاهد في كتاب مفتاح الجنان، ولأجل ذلك لم أغير من أصل الكتاب شيئا وإنما ذيلته بملحق يحتوي على هذه المطالب الثمانية، وإني أدع الى لعنة الله القهار ولعنة رسوله (ص) والأئمة الأطهار (ع) من عبث في كتاب مفاتيح الجنان بشيء".

ورغم ذلك فقد أضاف ناشر مجهول في بعض الطبعات ملحقا يتضمن أدعية مطولة يقول ان المؤلف القمي قد أشار اليها فذكر فواتحها ثم تركها لطولها، ثم يورد الناشر "حديث الكساء" ويقول:" استجابة لطلبات كثير من المؤمنين وإتماما للكتاب ارتأينا بذكر حديث الكساء الشريف نقلا عن كتاب (عوالم العلوم) للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني بسند صحيح عن جابر بن عبد الله الانصاري عن فاطمة الزهراء (عليها السلام)" ويذكر الحديث. وهو ما أثار الشك بصحة رواية القمي لهذا الحديث ودفع مؤخرا المحدث الايراني الشيخ محمدي الري شهري، سادن مقام الشاه عبد العظيم في طهران، الى حذف الحديث المذكور من الطبعات الجديدة لـ"مفاتيح الجنان" وتمزيقه من الطبعات القديمة.

"حديث الكساء"

ولا بأس بالتعرف على "حديث الكساء" من أجل التعرف على طبيعة الأدعية الموضوعة التي تبث الغلو والتطرف في الثقافة الشيعية الشعبية.

يقول الحديث – الأسطورة: ان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) ذهب يوما الى بيت فاطمة الزهراء واشتكى من ضعف في بدنه فتدثر بكساء، ثم جاء الحسن فدخل تحت الكساء، ثم جاء الحسين فدخل تحت الكساء وجاء الامام علي فدخل تحت الكساء ثم دخلت فاطمة، فقال عندها النبي:"اللهم ان هؤلاء أهل بيتي وخاصتي لحمهم لحمي ودمهم دمي يؤلمني ما يؤلمهم ويحزنني ما يحزنهم أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم ومحب لمن أحبهم انهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك وغفرانك ورضوانك علي وعليهم واذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا" فقال الله عز وجل:"يا ملائكتي ويا سكان سماواتي إني ما خلقت سماء مبنية ولا أرضا مدحية ولا قمرا منيرا ولا شمسا مضيئة ولا فلكا يدور ولا بحرا يجري ولا فلكا يسري الا في محبة هؤلاء الخمسة الذين هم تحت الكساء" فنزل جبرئيل وأبلغهم بحديث الله ودخل معهم تحت الكساء. وقال رسول الله (ص):"يا علي والذي بعثني بالحق نبيا واصطفاني بالرسالة نجيا ما ذكر خبرنا هذا في محفل من محافل أهل الأرض وفيه جمع من شيعتنا ومحبينا وفيهم مهموم الا وفرج الله همه، ولا مغموم الا وكشف الله غمه، ولا طالب حاجة الا وقضى الله حاجته".

وهذا الحديث غير معروف لدى المحدثين الشيعة القدماء، لأنه لم يكن موجودا، أو كان ضعيفا الى درجة يرفض أي محدث يحترم نفسه الاشارة اليه، ولا يوجد له أي سند، وقد تركه الشيخ عباس القمي، ولكن الناشر المجهول أضافه الى "مفاتيح الجنان" نقلا عن كتاب "عوالم العلوم" للشيخ عبد الله بن نور الله البحراني، المتأخر، وليس عن كتب الأدعية والزيارات القديمة المعروفة، وهذا ما يدل على اختلاقه في وقت متأخر.

وسواء صحت هذه الرواية أو لم تصح، فان "حديث الكساء" ينطوي على فكرة متطرفة ومغالية هي خلق العالم من أجل الخمسة (النبي وأهل بيته) وهي فكرة لم ترد في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية، وتتعارض مع نظرية الاثني عشرية، ويحتمل بعض المحققين أنها من بنات الفرقة "المخمسة" التي ولدت في القرن الثاني الهجري ، وكانت تغالي بالخمسة (أصحاب الكساء) ثم انقرضت قبل ولادة الفرقة الاثني عشرية.

ان أخطر ما في كتاب "مفاتيح الجنان" هي "الزيارات" التي يخاطب بها الشيعة الأئمة من أهل البيت عند زيارتهم لقبورهم، والتي ينقلها الشيخ عباس القمي عن عدد من كتب الزيارة المؤلفة في القرون الماضية، وخاصة في القرن الرابع الهجري، عند تأسيس النظرية الاثني عشرية، تلك الزيارات التي تتضمن معاني الغلو والتعظيم المبالغ فيه تجاه الأئمة من أهل البيت، والحط من درجة خصومهم أو أعدائهم أو منافسيهم، وأشياعهم وأتباعهم الى يوم القيامة، وهو ما يؤدي الى حدوث شرخ عظيم بين المسلمين، وبناء جدران عالية حول الشيعة وعزلهم عن التفاعل الإيجابي مع إخوانهم من أبناء المذاهب الأخرى،

وإشاعة روح الحقد والكراهية والبغضاء، وما يسبب ذلك من ردود فعل عدائية من قبل الآخرين ضد الشيعة.

وتتكثف الخطورة من أن تلك الزيارات تشكل المنبع الرئيسي للثقافة الشيعية الشعبية التي لا تعرف كتب الفلسفة أو الكلام، وانما تواضب على قراءة تلك الزيارات بنية الحصول على الأجر والثواب، فاذا بها تقع فريسة الغلاة والمتطرفين الذين يبثون نظرياتهم وأساطيرهم وأحقادهم في عقول الناس باسم أهل البيت.

واذا سألت أي عالم محقق أو مجتهد خبير في علم الحديث عن تلك الزيارات، لأكد لك ضعف أسنادها، وتهافت مضامينها، ولكن رأيه يبقى محصورا في دائرة ضيقة في مقابل الانتشار الواسع لكتب الادعية والزيارات، وخاصة "مفاتيح الجنان" في المراقد والبيوت والمساجد والحسينيات. ومن الأمثلة على تلك الأدعية والزيارات السلبية المغالية والمشحونة حقدا وعداء:

دعاء "يوم الغدير"

يقدم الشيخ عباس القمي دعاء يوم الغدير ضمن مجموعة مفاهيم وأفكار ونظريات، تستند الى أحاديث ضعيفة أو مختلقة، حيث يسمي في البداية يوم الغدير بعيد الغدير، الذي يصفه بأنه: "عيد الله الاكبر" و "عيد آل محمد (عليهم السلام)"، ويقول عنه: "انه أعظم الأعياد، وما بعث الله تعالى نبيا الا وهو يعيد هذا اليوم، ويحفظ حرمته، واسم هذا اليوم في السماء يوم العهد المعهود، واسمه في الأرض يوم الميثاق المأخوذ، والجمع المشهود". ويضيف: "روي أنه سئل الصادق عليه السلام: هل للمسلمين عيد غير يوم الجمعة والأضحى والفطر؟ قال: نعم، أعظمها حرمة. قال الراوي: وأي عيد هو؟ قال: اليوم الذي نصب فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أميرَ المؤمنين (عليه السلام) وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه، وهو يوم ثماني عشر من ذي الحجة. قال الراوي: وما ينبغي لنا أن نعمل في ذلك اليوم؟ قال: الصيام والعبادة والذكر لمحمد وآل محمد (عليه السلام) والصلاة عليهم، وأوصى رسول الله (ص) أمير المؤمنين (ع) أن يتخذ ذلك اليوم عيدا، وكذلك كانت الأنبياء تفعل، كانوا يوصون أوصياءهم بذلك فيتخذونه عيدا".

وبالرغم من تحدث هذه الرواية عن معرفة الأنبياء السابقين واحتفالهم بـ"عيد الغدير" — وهو أمر غريب لم يشر اليه أحد من الأولين والآخرين، من قريب أو بعيد– فانها تكشف أيضا عن عدم معرفة السائل في زمان الامام الصادق لهذا العيد؟ مما يؤكد اختلاق هذا الحديث وضعفه، خاصة وان الشيعة لم يعرفوا هذه التسمية ولم يقوموا بالاحتفال بـ"عيد الغدير" الا في القرن الرابع الهجري في ظل الدولة

البويهية. وقد أراح الشيخ عباس القمي نفسه من عناء ذكر السند أو التحقيق فيه، واعتمد على إرسال الحديث، وأضاف اليه حديثا آخر بنفس الطريقة فقال:" في حديث أبي نصر البزنطي عن الرضا (صلوات الله وسلامه عليه) أنه قال:يا بن أبي نصر أينما كنت، فاحضر يوم الغدير عند أمير المؤمنين عليه السلام فان الله تبارك وتعالى يغفر لكل مؤمن ومؤمنة ومسلم ومسلمة ذنوب ستين سنة، ويعتق من النار ضعف ما أعتق في شهر رمضان، وليلة القدر، وليلة الفطر. ولَدرهم فيه بألف درهم لإخوانك العارفين، وأفضل على إخوانك في هذا اليوم، وسُرَّ فيه كل مؤمن ومؤمنة، والله لو عرف الناس فضل هذا اليوم بحقيقته لصافحتهم الملائكة في كل يوم عشر مرات".

وأضاف:"الخلاصة: ان تعظيم هذا اليوم الشريف لازم، وأعماله عديدة، الأول: الصوم، وهو كفارة ذنوب ستين سنة، وقد روي أن صيامه بعدل صيام الدهر، ويعدل مائة حجة وعمرة. الثاني: الغسل. الثالث: زيارة أمير المؤمنين".

وذكر القمي عدة "زيارات" وأدعية، جاء في أحدها ما يلي:"...إنا يا ربنا بمنك ولطفك أجبنا داعيك واتبعنا الرسول، وصدقناه وصدقنا مولى المؤمنين، وكفرنا بالجبت والطاغوت، فولنا ما تولينا واحشرنا مع أئمتنا فانا بهم مؤمنون موقنون ولهم مسلمون، آمنا بسرهم وعلانيتهم وشاهدهم وغائبهم وحيهم وميتهم ، ورضينا بهم أئمة وقادة وسادة وحسبنا بهم بيننا وبين الله دون خلقه لا نبتغي بهم بدلا، ولا نتخذ من دونهم وليجة، وبرئنا الى الله من كل من نصب لهم حربا من الجن والإنس من الأولين والآخرين وكفرنا بالجبت والطاغوت والأوثان الأربعة، وأشياعهم وأتباعهم وكل من والاهم من الجن والإنس من أول الدهر الى آخره.

اللهم إنا نشهد أنا ندين بما دان به محمد وآل محمد صلى الله عليه وعليهم، وقولنا ما قالوا، وديننا ما دانوا به، ما قالوا به قلنا، وما دانوا به دنا، وما أنكروا أنكرنا، ومن والوا والينا، ومن عادوا عادينا، ومن لعنوا لعنا، ومن تبرؤوا منه تبرأنا، ومن ترحموا عليه ترحمنا، آمنا وسلمنا ورضينا واتبعنا موالينا صلوات الله عليهم".

ومن الواضح ان هذا الدعاء يتضمن التبري مما يسميه بالجبت والطاغوت ، ويقصد بهما الشيخين، وأشياعهم وأتباعهم ومن والاهم من الجن والإنس من أول الدهر الى آخره، وهو ما يؤدي الى القطيعة والانفصال النفسي عن عامة المسلمين، ويحدث شرخا بينهم وبين الشيعة.

وفي دعاء آخر، يرويه القمي عن ابن طاووس، في القرن السابع الهجري، الذي يرويه بدوره عن الشيخ المفيد، في القرن الخامس الهجري، دون أن يذكر السند والمصدر، جاء ما يلي:"اللهم إني أسألك بحق

محمد وآل محمد أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تلعن من جحد حق هذا اليوم، وأنكر حرمته فصد عن سبيلك لإطفاء نورك". وكأن الإيمان بهذا اليوم من ضروريات الاسلام التي لا ينكرها الا كافر، وانه لم يكن الموضوع محل جهل ونفي من قبل الشيعة في القرون الأولى.

ولكي يكرس القمي يوم الغدير عيدا تاريخيا، منذ أعماق التاريخ، ويضفي عليه هالة قدسية، ذكر أن هذا هو اليوم الذي جعل الله تعالى فيه النار على إبراهيم الخليل بردا وسلاما، واليوم الذي انتصر فيه موسى على السحرة، ونصب فيه وصيه يوشع بن نون، وجعل فيه عيسى شمعون الصفا وصيا له، واستخلف سليمان آصف بن برخيا على قومه، وآخى فيه رسول الله بين أصحابه.

زيارات الأئمة

الزيارة المطلقة الأولى: رواها الكليني في الكافي بسنده عن الحسين بن ثوير، عن أبي عبد الله. ورواها الشيخ الطوسي في التهذيب، والصدوق في كتاب من لا يحضره الفقيه، قال الصدوق: اني قد ذكرت في كتابي المزار والمقتل أنواعا من الزيارات، وانتخبت هذه الزيارة لهذا الكتاب، فإنها **أصح الزيارات عندي رواية**، وهي تكفينا وتفي بالمقصود.

ويوجد في هذه الزيارة ما يلي:" بكم فتح الله وبكم يختم وبكم يمحو ما يشاء ويثبت، وبكم يفك الذل من رقابنا وبكم يدرك الله ترة كل مؤمن يطلب بها، **وبكم تنبت الأرض أشجارها وبكم تخرج الأرض ثمارها، وبكم تنزل السماء قطرها ورزقها وبكم يكشف الله الكرب وبكم ينزل الله الغيث وبكم تسبح الأرض التي تحمل أبدانكم وتستقر جبالها على مراسيها، إرادة الله في مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر من بيوتكم**، والصادر عما فصل من أحكام العباد. لعنت أمة قتلتكم، **وأمة خالفتكم، وأمة جحدت ولايتكم**، وأمة ظاهرت عليكم وأمة شهدت ولم تستشهد، الحمد لله الذي جعل النار مأواهم وبئس الورد المورود". حيث لا تكتفي هذه الزيارة بلعن من قاتل الحسين وانما تلعن من يخالف الأئمة أو يجحد ولايتهم، ولا تفرق بين من يمتلك دليلا على وجوب الولاية لهم أو لا يجد أي دليل. فضلا عن ان الزيارة تتحدث عن هبوط إرادة الله الى الأئمة وصدورها من بيوتهم، وهذه فكرة في منتهى الغلو والانحراف.

الزيارة الثالثة: هي ما رواها ابن طاووس في المزار، وروى لها فضلا كثيرا، بحذف الأسناد عن جابر الجعفي، قال قال الصادق لجابر:... ان الرجل منكم ليأخذ في جهازه ويتهيأ لزيارته، فيتباشر به أهل السماء، فاذا خرج من باب منزله راكبا أو ماشيا وكل الله به أربعة آلاف ملك من الملائكة، يصلون عليه

حتى يوافي الحسين (ع)... الزيارة... ثم تمضي الى صلاتك ولك بكل ركعة ركعتها عنده كثواب من حج ألف حجة، واعتمر ألف عمرة، وأعتق ألف رقبة، وكأنما وقف في سبيل الله ألف مرة مع نبي مرسل.

وجاء في مقدمة الزيارة السابعة ما يلي، نقلا عن "مصباح المتهجد" للشيخ الطوسي، نقلا عن كتاب "المزار" لابن قولويه عن الصادق أنه قال: إن أبي حدثني عن آبائه عن رسول الله أنه قال:"ان ابني هذا الحسين يقتل بعدي على شاطيء الفرات، ومن اغتسل من الفرات تساقطت خطاياه كهيئة يوم ولدته أمه".

وأما ما جاء في نفس الزيارة فهو بعد السلام، ولعن قتلة الحسين:"أشهد أنك الامام البر التقي الرضي الزكي الهادي المهدي، وأشهد أن الأئمة من ولدك كلمة التقوى وأعلام الهدى والعروة الوثقى والحجة على أهل الدنيا، وأشهد الله وملائكته وأنبياءه ورسله أني بكم مؤمن وبإيابكم موقن...". وهذه الفقرة تتضمن نظرية الامامة ونظرية الرجعة التي قال بها بعض الشيعة القدماء.

وكما يلاحظ فان الشيخ عباس القمي لا يذكر سند الرواية من ابن قولويه الى الصادق، ولسنا نعرف فيما اذا كان ابن قولويه قد ذكر السند؟ أم لا؟ وما هو وفيما اذا كان صحيحا عند الشيعة؟ أم لا؟

وجاء في مقدمة زيارة النصف من شعبان ما يلي، نقلا عن الامام الصادق:" من أحب أن يصافحه مائة ألف نبي وأربعة وعشرون ألف نبي، فليزر قبر أبي عبد الله الحسين بن علي في النصف من شعبان، فان أرواح النبيين (ص) يستأذنون الله في زيارته فيؤذن لهم، فطوبى لمن صافح هؤلاء وصافحوه، ومن خمسة أولو العزم من الرسل، هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد (ص)".

وكذلك ورد عن الامام التقي في زيارة ليالي القدر:"أن من زار الحسين ليلة ثلاثة وعشرين صافحه روح أربعة وعشرين ألف نبي، كلهم يستأذن الله في زيارة الحسين في تلك الليلة".

وقد سقطت في هذه الرواية (مائة ألف)

وروى ابن قولويه عن الصادق:"ان من زار قبر الحسين بن علي في شهر رمضان، ومات في الطريق لم يعرض ولم يحاسب، وقيل له: ادخل الجنة آمنا".

ويروي القمي عن الصادق أنه قال:" من زار الحسين بن علي ليلة النصف من شعبان، وليلة الفطر، وليلة عرفة في سنة واحدة، كتب الله له ألف حجة مبرورة، وألف عمرة متقبلة، وقضيت له ألف حاجة من حوائج الدنيا والآخرة". وهذا ما لم يرد عن رسول الله (ص) حول أي عمل صالح آخر.

ويوجد في زيارة العيد ما يلي:"يا مولاي أنا موال لوليكم ومعاد لعدوكم، وأنا بكم مؤمن وبإيابكم موقن بشرائه ديني وخواتيم عملي وقلبي لقلبكم سلم، وأمري لأمركم متبع، يا مولاي أتيتك خائفا فآمني، وأتيتك مستجيرا فأجرني وأتيتك فقيرا فأغنني".

وهذه فقرة لم ترد في الزيارات الأخرى، وتتضمن نوعا من التوسل والدعاء والاستغاثة المباشرة بالامام الحسين، بما يخالف عقيدة التوحيد والدعاء الى الله تعالى.

ويشابه ذلك ما يرويه الشيخ عباس القمي في كتابه الآخر الملحق بمفاتيح الجنان "الباقيات الصالحات" تحت عنوان "صلاة خاصة بالاستغاثة بفاطمة الزهراء" فيقول:"اذا كانت لك حاجة الى الله تعالى، وضاق صدرك منها، فصل ركعتين، فاذا سلمت كبر ثلاثا، وسبح بتسبيح فاطمة (سلام الله عليها) ثم اسجد وقل مائة مرة: **يا مولاتي يا فاطمة أغيثيني**. ثم ضع خدك الأيمن على الأرض وقلها مائة مرة. ثم ضع خدك الأيسر وقلها مائة مرة، ثم عد الى السجود وقلها مائة وعشر مرات، واذكر حاجتك، فان الله تعالى يقضيها ان شاء الله".

ومن الواضح انحراف هذا الدعاء البدعي الموضوع، الذي يتضمن الاستغاثة بالسيدة الزهراء، وتناقضه مع عقيدة التوحيد، وإخلاص الدعاء له، والاستغاثة به. ويقدم القمي "دعاء" بدعيا آخر، ينطوي على الخلط بين دعاء الخالق ودعاء المخلوقين، وهو: (**الاستغاثة بالأئمة**) حيث يقول:" من أراد منكم أن يستغيث الى الله (عز وجل) فليصل ركعتين، ثم يسجد ويقول: يا محمد يا رسول الله، يا علي يا سيدَي المؤمنين والمؤمنات، **بكما أستغيث الى الله تعالى**، يا محمد يا علي أستغيث بكما، يا غوثاه بالله وبمحمد وعلي وفاطمة. وتسمي كلا من أئمتك ثم تقول: **بكم أتوسل الى الله تعالى، فانهم يغيثوك لساعتك** ان شاء الله تعالى".

زيارة عرفة:

يقول الشيخ عباس القمي في "مفاتيح الجنان":"اعلم ان ما روي عن أهل البيت الطاهرين المعصومين (صلوات الله عليهم أجمعين) في زيارة عرفة مما لا يحصى فضلا وعددا، ونحن تشويقا للزائرين نورد منها البعض اليسير بسند معتبر عن بشير الدهان، قال قلت للصادق (ع): ربما فاتني الحج فأعرف عند قبر الحسين (ع) قال:"أحسنت يا بشير أيما مؤمن أتى قبر الحسين عارفا بحقه في غير يوم عيد، كتب له عشرون حجة، وعشرون عمرة، مبرورات متقبلات، وعشرون غزوة مع نبي مرسل، أو إمام عادل، ومن أتاه في يوم عرفة عارفا بحقه، كتب له ألف حجة وألف عمرة مبرورات متقبلات، وألف غزوة مع نبي مرسل أو إمام عادل"... وفي أحاديث كثيرة معتبرة:"ان الله تعالى ينظر الى زوار قبر الحسين نظر الرحمة في يوم عرفة قبل أن ينظر الى أهل عرفات". وفي حديث معتبر عن رفاعة، قال : قال لي الصادق:" يا رفاعة أحججت هذا العام؟ قلت: جعلت فداك ما كان عندي ما أحج به ، ولكني عرّفت عند قبر الحسين،

فقال لي: يا رفاعة ما قصرت .. لولا أني أكره أن يدع الناس الحج، لحدثتك بحديث لا تدع زيارة قبر الحسين أبدا. ثم سكت طويلا، ثم قال : أخبرني أبي قال: من خرج الى قبر الحسين عارفا بحقه، غير مستكبر. صحبه ألف ملك عن يمينه، وألف ملك عن شماله، وكتب له ألف حجة وألف عمرة، مع نبي أو وصي نبي".

وكل هذه أمور غيبية لا يعلمها الا الله أو نبي من أنبياء الله، فمن أين جاء بها الامام الصادق أو الامام الباقر، ولم يروها عن رسول الله ولم تعرف عن الأئمة السابقين، وهو ما يؤكد اختلاقها من قبل الرواة على لسان أهل البيت، حيث يستبعد عنهم التحدث عن الغيب أو نسبة أمور الى الله من عند أنفسهم، بدون دليل أو ادعاء نزول الوحي عليهم، كما كان يقول الغلاة من الشيعة في تلك الأيام.

زيارة عاشوراء

وينقل الشيخ عباس القمي عن "مصباح" الشيخ الطوسي عن الامام الباقر ما يلي:أن "من زار الحسين بن علي في يوم عاشوراء من المحرم، يظل عنده باكيا لقي الله عز وجل يوم يلقاه بثواب ألفي حجة، وألفي عمرة، وألفي غزوة، كثواب من حج واعتمر وغزا مع رسول الله (ص) ومع الأئمة الراشدين". وأنه قال للراوي:" يا علقمة اذا انك اذا قلت ذلك – الزيارة- فقد دعوت بما يدعو به زواره من الملائكة، وكتب الله لك مائة ألف درجة، وكنت كمن استشهدوا معه، تشاركهم في درجاتهم، وما عرفت الا في زمرة الشهداء الذين استشهدوا معه، وكتب لك ثواب زيارة كل نبي وكل رسول، وكل من زار الحسين منذ قتل".

وينقل القمي نسختين لزيارة عاشوراء يقول إن إحداهما مشهورة والأخرى غير مشهورة، ولكنه لا يقيمهما من ناحية الصحة والضعف، أو يناقش في سندهما،أو في متنهما ومدى تطابقه مع القرآن الكريم والثابت من السنة النبوية، أو أحاديث أهل البيت الصحيحة، وبالرغم من تضمن الزيارة "المشهورة" الأولى لموضوع "اللعن" فانه يتلقاها بالقبول، وينقلها بكل ما فيها من غث و غلو وعنف، مع ان الزيارة الأخرى تخلو من ذلك، مما يرجح إضافة اللعن من قبل الرواة على الرواية الأولى "المشهورة".

وقد ورد في هذه الزيارة ما لم يرد في أية زيارة أخرى من اللعن على الصحابة الكرام كما يلي:" اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وابدأ به أولا، ثم العن الثاني والثالث والرابع، اللهم العن يزيد خامسا، والعن عبيد الله بن زياد وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرا وآل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان الى يوم القيامة".

ولكي يرسخ المبتدعون أفكارهم الشيطانية، ويعمقون الجراح بين الأمة الاسلامية، ينقلون عن الامام الباقر أنه قال:" ان استطعت أن تزوره في كل يوم بهذه الزيارة في دارك فافعل، فلك ثواب جميع ذلك". ويروي القمي عن صفوان بن مهران عن الصادق أنه قال:"تعاهد هذه الزيارة، وادع بهذا الدعاء وزر به،

فاني ضامن على الله لكل من زار بهذه الزيارة، ودعا بهذا الدعاء، من قرب أو بعد، أن زيارته مقبولة، وسعيه مشكور، وسلامه واصل غير محجوب، وحاجته مقضية من الله تعالى، بالغة ما بلغت ، ولا يخيبه.
يا صفوان وجدت هذه الزيارة مضمونة بهذا الضمان، عن أبي وأبي عن أبيه علي بن الحسين مضمونا بهذا الضمان، عن الحسين، والحسين عن أخيه الحسن مضمونا بهذا الضمان، والحسن عن أبيه أمير المؤمنين مضمونا بهذا الضمان، عن رسول الله مضمونا بهذا الضمان، ورسوله الله (ص) عن جبرائيل مضمونا بهذا الضمان، وجبرائيل عن الله تعالى مضمونا بهذا الضمان، وقد آلى الله على نفسه أن من زار الحسين بهذه الزيارة من قرب أو بعد ، ودعا بهذا الدعاء، قبلت منه زيارته وشفعته في مسألته بالغة ما بلغت، وأعطيته سؤله، ثم لا ينقلب عني خائبا، وأقلبه مسرورا قريرا عينه بقضاء حاجته، والفوز بالجنة، والعتق من النار، وشفعته في كل من شفع، خلا ناصب لنا أهل البيت آلى الله تعالى بذلك على نفسه، وأشهدنا بما شهدت ملائكته ملكوته، ثم قال جبرائيل: يا رسول الله أرسلني الله اليك سرورا، وبشرى لك، ولعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولدك، وشيعتكم الى يوم البعث، لا زلت مسرورا، ولا زال علي وفاطمة والحسن والحسين وشيعتكم مسرورين الى يوم البعث".
ولكي يشجع القمي على تلاوة الزيارة ينقل قصة أسطورية عن كتاب "النجم الثاقب" للشيخ النوري، دون أن يذكر اسم الراوي، او تاريخه ، يقول فيها أن الحاج السيد أحمد الرشتي تشرف بالحضور عند إمام العصر (الامام المهدي الغائب) (أرواحنا فداه) في سفر الحج، وقوله له: لماذا لا تقرأ زيارة عاشوراء، عاشوراء، عاشوراء، عاشوراء؟

كما ينقل الشيخ عباس القمي في كتابه "مفاتيح الجنان" عن "جنة المأوى" و "النجم الثاقب" لشيخه النوري ، قصة رجل بغدادي اسمه الحاج علي، يقول فيها انه التقى بالامام المهدي وهو في طريقه من الكاظمية الى بغداد، ومحادثته بشؤون خاصة لا يعلمها الا الحاج علي البغدادي، وتأكيده له على صحة عدد من الزيارات المعروفة الواردة في كتاب "مفاتيح الجنان" ووصيته له بتلاوتها، ونفيه أن تكون زيارة الحسين بدعة، وقوله :"انها أمان لزوار الحسين من النار يوم القيامة".

وبغض النظر عن صحة وجود الامام المهدي، وجواز ادعاء رؤيته أو نقل الأحاديث عنه، وبغض النظر عن صحة القصة من أساسها، فان الشيخ عباس القمي ينقل عن الراوي (الحاج علي البغدادي) نهي الشيخ محمد حسن آل ياسين له عن إفشاء هذه القصة، وكتمان البغدادي لها، بل وانكاره لها أشد الانكار، ومع ذلك يحاول القمي تبعا لاستاذه الشيخ النوري الإيحاء بصحة هذه الاسطورة ونشرها بين العوام من الشيعة، من أجل تكريس عدد من الزيارات المبتدعة والمختلقة والتي لا سند صحيح لها.

ان معظم الزيارات منقولة عن كتاب "الكافي" للكليني، و"من لا يحضره الفقيه" للصدوق، الذي ينقلها عن الكليني، وكذلك عن "التهذيب" للطوسي، وهؤلاء الرواة عاشوا في القرن الرابع والخامس الهجريين،

ولا توجد أية رواية في أي كتاب صحيح قبل هذا التاريخ، وان النظر الى مضامين تلك الزيارات، واشتمالها على أسماء الأئمة الاثني عشر، يؤكد اختلاقها من قبل أقطاب النظرية الإثني عشرية، التي تألفت في القرن الرابع الهجري، بعد أن كان الشيعة الامامية يؤمنون بامتداد الامامة الى يوم القيامة، وعدم اقتصارها على عدد محدد. وهذا ما نجده في بعض الأدعية التي تسربت الى التراث الشيعي ووردت حتى في "مفاتيح الجنان" كما في "الدعاء لصاحب الأمر" الذي جاء فيه:"اللهم صل على ولاة عهده والأئمة من بعده، وبلغهم آمالهم وزد في آجالهم وأعز نصرهم وتمم لهم ما أسندت اليهم من أمرك وثبت دعائمهم".

وبالرغم من وقوع الحيرة لدى الشيعة الامامية، بعد وفاة الامام العسكري في منتصف القرن الثالث الهجري، دون أن يشير الى وجود ولد له لكي تستمر فيه الامامة، ونفي أهل البيت وجود ولد له في السر، وتفتيش الشيعة عنه الى حد اليأس وعدم العثور على أي أثر له، فان بعض الدجالين ادعوا وجود ولد للامام العسكري وغيبته في سرداب داخل البيت، ولم يكتفوا بذلك حتى ألفوا زيارات خاصة للامام الغائب في السرداب، ونقلوها عنه، كما ينقل عن محمد الحميري أنه خرج اليه من "الناحية المقدسة". ولكن الملفت في بعض تلك الزيارات هو أنها تحتوي على شكوى بطول الغيبة واختلاف الناس وشكهم بوجود الامام الغائب، مما يرجح الظن باختلاق تلك الزيارات في قرون متأخرة.

يقول الشيخ عباس القمي في باب "زيارة صاحب الزمان":" ثم انزل السرداب وزره (عليه السلام) بما روي عنه نفسه الشريفة، كما عن الشيخ الجليل أحمد بن أبي طالب الطبرسي في كتاب الاحتجاج، أنه خرج من الناحية المقدسة الى محمد الحميري، بعد الجواب عن المسائل التي سألها... إذا أردتم التوجه بنا الى الله (تعالى) والينا فقولوا كما قال الله تعالى...".

والمعروف ان الطبرسي عاش في القرن الخامس الهجري، فكيف نقل عن الحميري الذي كان يعيش في القرن الثالث الهجري، ما لم ينقله السابقون عنه؟

وينقل القمي زيارة أخرى عن "الكتب المعتبرة" (...) وقد جاء فيها:" السلام عليك يا حافظ أسرار رب العالمين (؟)... السلام عليك يا معدن العلوم النبوية (؟) السلام عليكم يا باب الله الذي لا يؤتى الا منه، السلام عليك يا سبيل الله الذي من سلك غيره هلك، السلام عليك يا ناظر شجرة طوبى وسدرة المنتهى، السلام عليك يا نور الله الذي لا يطفأ، السلام عليك يا حجة الله التي لا تخفى، السلام عليك يا حجة الله على من في الأرض والسماء...أشهد أنك الحجة على من مضى ومن بقي... رضيت بك يامولاي إماما وهاديا ووليا ومرشدا لا أبتغي بك بدلا، ولا أتخذ من دونك وليا، أشهد.. أن وعد الله فيك حق لا أرتاب لطول الغيبة وبعد الأمد، ولا أتحير مع من جهلك وجهل بك...أشهد أن بولايتك تقبل الأعمال وتزكى الأفعال وتمحى السيئات، فمن جاء بولايتك واعترف بإمامتك قبلت أعماله،وصدقت اقواله، وتضاعفت حسناته،ومن عدل عن ولايتك وجهل معرفتك واستبدل بك غيرك

أكبه الله على منخره في النار ولم يقبل الله له عملا ولم يقم له يوم القيامة وزنا... فلو **تطاولت الدهور** وتمادت الأعمار لم أزدد فيك الا يقينا، ولك الا حبا، وعليك الا متكلاً ومعتمدا، ولظهورك الا متوقعا ومنتظرا...".

ويضيف القمي بعد ذلك:"ثم ائت سرداب الغيبة، وقف بين الباب ماسكا جانب الباب بيدك، ثم تنحنح كالمستأذن.. وانزل بسكينة وحضور قلب، وصل ركعتين في عرصة السرداب، وقل:"...الحمد لله الذي هدانا لهذا وعرفنا أولياءه وأعداءه ووفقنا الله لزيارة أئمتنا ولم يجعلنا من المعاندين الناصبين، ولا من الغلاة المفوضين، ولا من المرتابين المقصرين...أشهد أن الله اصطفاك صغيرا وأكمل لك علومه كبيرا، وأنك حي لا تموت حتى تبطل الجبت والطاغوت...اللهم طال الانتظار وشمت بنا الفجار، وصعب علينا الانتظار...".

ومن الواضح اختلاق هذا الدعاء أو هذه الزيارة في وقت متأخر، بعد "طول الانتظار وشماتة الفجار" وانه ليس دعاء مرويا عن أئمة أهل البيت، ومما يؤكد ذلك رواية القمي لكثير من زيارات السرداب عن كتاب "مصباح الزائر" لابن طاووس، الذي كان يعيش في القرن السابع الهجري. ورغم ان الزيارة السابقة تشير الى وجود الشك والارتياب في وجود الامام الغائب، الا انها لم تحاول إثبات الأمر، وانما تقفز عليه بحمد الله الذي "لم يجعلنا من المرتابين المقصرين".

وفي هذا الإطار من النقل الحشوي البدعي ، يضيف القمي في كشكوله "الباقيات الصالحات" الملحق بكتاب "مفاتيح الجنان" ما يلي:" وقد حكى الشيخ (رحمه الله) في كتاب النجم الثاقب حديث بناء جامع جمكران (بالقرب من مدينة قم الإيرانية) بأمر صاحب العصر عليه السلام، وقد أتى ذلك الحديث: أنه قال للحسن المثلة الجمكراني: قل للناس ليرغبوا في هذا الموضع، وليعزوه، وليصلوا فيه ... وهذه الكلمة مروية بنصها عنه عليه السلام: فمن صلاهما فكأنما صلى في البيت العتيق، أي الكعبة".!

الزيارة الجامعة

تقدم الزيارة الجامعة لجميع أئمة أهل البيت في البداية موقفا خاصا منهم حيث تبدأ بالسلام عليهم ثم تصفهم بأنهم :" معدن الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي، ومعدن الرحمة، وخزان العلم، وامناء الرحمن، وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى، وحفظة سر الله، وأوصياء نبي الله". وتؤكد على أنهم "الأئمة المعصومون المصطفون" و"ان الله اصطفاهم بعلمه، وارتضاهم لغيبه، واختارهم لسره، واجتباهم بقدرته، ورضيهم خلفاء في أرضه. وجعلهم حججا على بريته".

وترتفع الزيارة بالأئمة الى درجة غالية جدا بحيث تعطيهم بعض أدوار الله تعالى، فتخاطب الأئمة هكذا :" إن إياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم". وذلك خلافا لقول الله تعالى الصريح في القرآن الكريم:"إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم".

واذا كانت الزيارة قد ارتفعت بالأئمة الى هذه الدرجة المغالية، فليس من الصعب بعد ذلك أن تخاطبهم وكأنهم في منزلة الأنبياء أو أعلى من الأنبياء، حيث تقول:"بلغ الله بكم اشرف محل المكرمين، واعلى منازل المقربين وارفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في ادراكه طامع، حتى لا يبقى ملك مقرب، ولا نبي مرسل ولا صديق ولا شهيد. إلا عرفهم جلالة أمركم، وعظم خطركم، وكبر شأنكم ، وقرب منزلتكم منه".

ولكن ما فائدة هذا الولاء والتعظيم؟ وكيف يمكن تقديم فروض الطاعة لهم؟ وقد مضى الزمان وذهب أهل البيت؟ ان الجواب يأتي في فقرة لاحقة تتحدث عن المستقبل، وتقول:"أنا مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لامركم، مرتقب لدولتكم، آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم".

وعندما تخاطب الزيارة الأئمة قائلة:" ان آيات الله لديكم، وعزائمه فيكم، ونوره وبرهانه عندكم، وامره اليكم" فمن الطبيعي أن يصبح الأئمة المحور الفاصل بين الحق والباطل، ولذلك تقول:" من والاكم فقد والى الله، ومن عاداكم فقد عاد الله، ومن احبكم فقد احب الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله، ومن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله". وتضيف:" من اتاكم نجا ومن لم يأتكم هلك". أو "سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، وخاب من جحدكم، وضل من فارقكم، وفاز من تمسك بكم، وأمن من لجأ اليكم، وسلم من صدقكم، وهدي من اعتصم بكم، من اتبعكم فالجنة مأواه، ومن خالفكم فالنار مثواه، ومن جحدكم كافر، ومن حاربكم مشرك ومن رد عليكم، فهو في اسفل درك الجحيم".

وتقوم الزيارة بتكريس مفهوم التبري، فتقول:"برأت إلى الله عز وجل من أعدائكم ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم، الظالمين لكم الجاحدين لحقكم، والمارقين من ولايتكم والغاصبين لإرثكم، الشاكين فيكم، المنحرفين عنكم، ومن كل وليجة دونكم وكل مطاع سواكم، ومن الائمة الذين يدعون إلى النار" . وفي هذا السياق تنتقل الزيارة لتتخذ موقفا عنيفا من الآخرين، فتقول في مخاطبة الأئمة:"ان الراغب عنكم مارق، والمقصر في حقكم زاهق".

إذن فان هذه الزيارة والزيارات الأخرى، وخاصة زيارة عاشوراء، تقوم ببناء نظرية الامامة، في نفوس من يقرأها، فتعطي لأئمة أهل البيت موقعا يشابه النبوة، يوجب الطاعة والتسليم ويحرم المخالفة أو التخلف والمروق والخروج عليهم، وبالرغم من كونهم عاشوا في فترة ماضية قبل أكثر من ألف عام، فان

الزيارات تبني حولهم موقفا عقديا، ينعكس سلبا على خصومهم المفترضين الذين عاشوا في زمانهم، ثم يمتد الموقف ليشمل أتباع الفريقين، وبما أن الزيارات تشكل حزبا تاريخيا تابعا الى الأئمة عبر الزمان، فانها تفترض استمرار المعركة المزعومة بين أهل البيت وخصومهم، وانتقالها الى الأجيال اللاحقة الى يوم القيامة، باعتبار كل من لا يؤمن بأهل البيت أو يواليهم معاديا لهم ومخالفا ومارقا ومقصرا.

ان الولاء لأئمة أهل البيت في زمانهم يمكن أن يكون مفهوما ومعقولا وذا معنى، باعتبار وجود أشخاصهم ، والالتفاف حولهم واتباعهم ومشايعتهم في مقابل خصومهم السياسيين من الأمويين والعباسيين، ولكن الولاء لهم يفتقد أي معنى حيوي في الزمن التالي، حيث يستحيل الالتفاف حولهم سياسيا، أو تنصيبهم في منصب الخلافة والامامة، ولا يمكن الا التعبير عن الحب لهم، وهذا أمر لا يختلف عليه المسلمون من جميع الطوائف. الا اذا حولنا معنى الولاء الى "مفهوم اعتقادي" ورفعنا أئمة أهل البيت الى درجة تشبه النبوة أو الالوهية، وهو ما يقول به الغلاة الغلاة من الشيعة. وهذا ما لا يقبله أي مسلم أو شيعي ينهل من ثقافة أهل البيت.

وتكمن خطورة ذلك الموقف المتطرف من الآخرين، في قيامه على أساس قاعدة دينية موهومة، باعتبار أن الزيارات واردة عن أئمة أهل البيت . ولا يشك أي شيعي عادة بصحة هذه الروايات أو الزيارات، ولا يسأل عن سندها، بل يعتمد على وجودها ضمن كتاب "مفاتيح الجنان" وكتب الادعية الأخرى. وكيف يعرف عامة الناس أو يقدرون على التمييز بين الروايات والزيارات اذا كان الشيخ عباس القمي نفسه، يغض النظر عن المناقشة في سندها، لمجرد روايتها في كتب الأقدمين، ويعتبر ذلك ضمانة للصحة.

وذلك رغم كل الضعف والقطع والإرسال والإهمال الموجود في سند تلك الزيارات، فضلا عن مخالفة بعضها للقرآن الكريم وللسنة النبوية ولأحاديث أهل البيت الصحيحة، التي تضعهم في موضع طبيعي، مما يؤكد وضع تلك الزيارات واختلاقها ونسبتها الى أئمة أهل البيت كذبا وزورا.

ومن هنا لا بد من تصفية تراث أهل البيت من هذه الأدعية والزيارات الموضوعة والمختلقة والمتطرفة. ولا بد من النظر الى أسنادها بصورة محايدة، بدلا من تقليد العلماء السابقين مهما كان فضلهم، فان الأقدمين رووا كثيرا من الروايات ثم جاء من بعدهم من محصها فوجد أكثرها ضعيفا أو بلا سند صحيح. ولا يجوز الاحتجاج بالتزام العلماء السابقين بها، فان كثيرا منهم أخباريون وحشويون، يجمعون في كتبهم الغث والسمين، ولا يفرقون بين الصحيح والضعيف.

واذا أخذنا بنظر الاعتبار ان الفرقة الاثني عشرية التي ولدت في القرن الرابع الهجري، هي واحدة من عشرات الفرق الشيعية التي كانت كل فرقة منها تضع من الأحاديث على لسان أهل البيت، ما يعجبها

وما يؤيد نظريتها، فسوف نعلم عدم حجية أية رواية يرويها "مشايخ الطائفة" المتهمين بالوضع والتزوير. ولذلك لا بد من النظر الى "مشايخ الطائفة" الذين يروون تلك الأدعية والزيارات، نظرية علمية محايدة غير متأثرة بأجواء التعظيم وهالات التقديس التي يحيطهم بها أتباعهم المقلدون لهم عبر التاريخ.

الفصل الثالث: السياسة

- **الخلاف في النظرية السياسية الدستورية**
- **تضاؤل الأهمية العملية لهذا الخلاف اليوم**

في البدء كانت الأمة الاسلامية الواحدة، ولم تكن الطوائف. وكانت الشورى كدستور للمسلمين، ولم تكن النظريات الوراثية المختلفة. وعندما انهار نظام الشورى في الفتنة الكبرى التي عصفت بالمسلمين، وقام على أنقاضه النظام الوراثي الأموي ، كان من الطبيعي أن يولد رد فعل عند بني هاشم الذين اعتبروا أنفسهم أولى من الأمويين بوراثة الرسول الأعظم (ص)، فولدت النظرية الشيعية حول أحقية أهل البيت بتوارث السلطة. وما أن سيطر العباسيون على الحكم حتى اختلفوا مع أبناء عمهم العلويين الذين قالوا بأحقيتهم من العباسيين بتوارث السلطة، مما دفعهم للثورة عليهم عدة مرات طوال القرنين الثاني والثالث، الى أن نجح فريق منهم من أبناء اسماعيل بن جعفر الصادق، بإقامة حكم لهم في شمال افريقيا، وكادوا يقضون على العباسيين في عقر دارهم بغداد في القرن الخامس الهجري. وهو ما أجج صراعا سياسيا بين الأطراف الهاشمية استمر عدة قرون، وشهد أيضا ولادة أحزاب وتيارات وقوى مختلفة كالبويهيين والغزنويين والسلاجقة والأيوبيين والحمدانيين وغيرهم من الذين دخلوا ساحة الصراع بين الفاطميين والعباسيين. وفي حين كانت التيارات الشيعية الهاشمية أو العلوية أو الحسنية أو الحسينية تتصارع فيما بينها ، كان الفكر السياسي السني يعيش بعيدا عن السياسة، أي "غير سياسي" بمعنى انه يقبل بكل من يتولى السلطة ويسيطر عليها سواء كان عباسيا أو فاطميا أو بويهيا أو سلجوقيا. وهذا يثبت أن الصراع الحقيقي لم يكن بين الطوائف (السنة والشيعة) بقدر ما كان بين الأطراف السياسية التي كانت تستغل المذاهب الفكرية والفقهية أحيانا لتحشيد القوى الاجتماعية وراءها. فإذا لا حظنا مثلا تجربة الخليفة العباسي القادر بالله (٣٨١- ٤٢٢) الذي يعتبر مؤسس "الحالة السياسية السنية" فانا نجد انه كان يخوض معركة وجود مع الفاطميين الذين هددوا عاصمة خلافته بغداد سنة ٤٠١، في حين انه كان يتآلف مع البويهيين الزيدية والشيعة الامامية الاثني عشرية.

ورغم تبني "أهل السنة" عبر التاريخ للفكر الواقعي بالاعتراف بأية حكومة قوية تسيطر على الأمور، الا ان بعض أوائل السنة (أهل الحديث) كان يتبنى نظرية النص على أبي بكر، وهو ما عرف بالبكرية، ثم قال بعض المتكلمين المتأخرين المتأثرين بالمعتزلة، بشرعية نظام الشورى، وان النبي (ص) لم ينص على أحد، وانما ترك الأمر للمسلمين. وهذه كانت في الواقع نظرية عموم المسلمين من السنة والشيعة الأوائل، ولكن أهل السنة بدأوا يطرحون هذه النظرية ويتمسكون بها خصوصا في مقابل الشيعة الإمامية الذين قالوا بنظرية النص على الامام علي وحق ذريته بتوارث الى يوم القيامة.

كان هذا على مستوى النظرية، وأما على مستوى الواقع، فقد كان أهل السنة لا يعبأون كثيرا بالشورى، وانما كانوا يتمسكون أكثر شيء بشرط القرشية في الامام، واذا نظرنا الى هذا الشرط فسوف نجده لا يتناقض مع الفكر الامامي الذي يقول بحق أهل البيت في الخلافة، مما جعله يتعايش مع الفكر الامامي، كما في العهد الفاطمي في مصر. ولذلك عندما حاول الخليفة العباسي القادر بالله محاربة الفاطميين وتجريدهم من شرعيتهم، لم يجد أفضل من استخدام سلاح "القرشية"، وذلك بالتشكيك بنسب الفاطميين، فقال انهم من أصول أخرى غير علوية، وعمل مضبطة خاصة شهد عليها كبار الشيعة والعلويين في بغداد.

ومع ان الفاطميين كانوا يشكلون قطبا منافسا للعباسيين، الا انهم لم يستمروا طويلا ، حيث انهارت دولتهم في أواسط القرن السادس. وكان الجناح العلوي الآخر، وهو الإمامي الاثني عشري، قد فَقَدَ حيويته ومصداقيته، من قبل ، بوفاة الامام الحادي عشر الحسن العسكري سنة ٢٦٠ دون ولد ظاهر يستلم زمام القيادة، ومع قول الشيعة الاثني عشرية بوجود ولد له في السر، الا انهم تحولوا الى مذهب غير سياسي لا يستطيع منافسة العباسيين، الذين سارعوا الى احتضان هذا المذهب، الى حد تبنيه علنا في أيام الناصر لدين الله في أواخر القرن السادس .

ومع سقوط الدولة العباسية على يد المغول في أواسط القرن السابع، سقط العمود الفقري السياسي أو قطب الرحى لأهل السنة، ولم يُجدِ كثيرا تبني الحكام المماليك في مصر لبقايا العباسيين وجعلهم "خلفاء" صوريين.

وفي غياب الأقطاب السياسية السنية والشيعية، اشتدت في القرن السابع والثامن، الصراعات السياسية بين المذاهب السنية نفسها، حين كان أتباع أو شيوخ كل مذهب يحاولون الهيمنة على أي حاكم، وينصرونه لينصرهم، الى ان نجح الأحناف في إقناع الأتراك بتبني مذهبهم لأنهم لا يشترطون "القرشية" في الامام، وهو ما مهد لقيام الخلافة العثمانية التركية التي هيمنت على مصر والشام والحجاز في القرن العاشر.

ومع قيام الخلافة "السنية" الجديدة في تركيا، ولدت دولة "شيعية" في ايران هي الدولة الصفوية، التي أعلنت المذهب الاثني عشري غطاء لها، بعد أن قامت بالالتفاف على عقدة الإمام المعصوم وحرمة تشكيل أية حكومة في عصر الغيبة.

وبينما كانت الخلافات السياسية بين الشيعة والسنة في طريقها الى الزوال، أدى قيام هاتين الدولتين وصراعهما الطويل على العراق، الى تأجيج الخلافات القديمة والميتة. كانت الدولتان الصفوية والعثمانية دولتان مستبدتان أبعد ما تكونان عن روح الشورى أو أخلاق أهل البيت، ولكنهما كانتا ترفعان بيارق الولاء للتشيع والتسنن.

لقد كان واضحا أنه لم يبق في ظل الدولتين الديكتاتوريتين ، من التشيع والتسنن، أي معنى للخلاف السياسي القديم بين أنصار المذهبين، وأن صراعهما لم يكن ينطلق من اي منطلق مذهبي، وانما كان يحاول كل منهما استغلال التراث المذهبي لصالحه في معركته على مواقع النفوذ. ولم يمنع كل ذلك من نشوب الصراعات الدموية في البيوتات الحاكمة نفسها في تركيا وايران.

ان قراءة خاطفة لتاريخ المسلمين السياسي، تؤكد هيمنة الفكر الديكتاتوري على جميع المذاهب الاسلامية، وعدم وجود رحابة ديموقراطية كافية تسمح بالتعددية وقبول الآخر أو الاعتراف به، وخاصة في ظل انتشار واشتهار الحديث الذي يقول" ستفترق أمتي على اثنتين وسبعين فرقة، فرقة منها ناجية والبقية في النار" ، واعتقاد كل فرقة من فرق المسلمين بأنها تلك الفرقة الناجية المقصودة من حديث الرسول، وان بقية الفرق كلها في النار، مما كان يسمح لها باحتكار السلطة والحقوق المدنية ومصادرتها من المنافقين والمرتدين والمشركين والضالين والمبتدعين. وعدم تفسير الحديث ، على فرض صحته، بأن المقصود هو ما أجمع عليه المسلمون من التوحيد والإيمان بالنبوة والمعاد في الآخرة، بحيث يسمح لهم بتقبل الآخر والتعايش معه بمحبة وسلام.

وعلى أي حال فان انقراض العباسيين والعثمانيين والفاطميين والعلويين، وقيام الأنظمة الجديدة الملكية والديموقراطية، وضع المسلمين من كل المذاهب أمام مرحلة جديدة من الوحدة على أساس إسلامي أو اقليمي أو قطري أو قومي، وبناء مجتمعاتهم السياسية الموحدة على أساس التعايش والمساواة والعدالة بغض النظر عن هوياتهم الطائفية. وقد مضت فترة من الزمن خيل للكثيرين بأن التقسيمات الطائفية قد ولت الى غير راجعة وان الأمة الاسلامية مقبلة على مرحلة من الوحدة والاندماج، ولكن لجوء عدد من الأنظمة السياسية الديكتاتورية الى استغلال الخلافات الطائفية لتكريس هيمنتها على السلطة في بلدانها، ساعد على إحياء الروح الطائفية من جديد، ودفع الطوائف الى اللجوء الى قياداتها الدينية والالتفاف حولها.

وربما كان نظام صدام حسين ، البعثي العلماني، قد لعب دورا كبيرا في تأجيج الطائفية الحديثة، وذلك من منطلقين، الأول: المحافظة على نظامه الديكتاتوري العسكري، من رفض غالبية الشعب العراقي

الشيعية، بالاحتماء بالقبائل السنية العربية، وتصوير ثورة الشيعة على أنها تهديد لسيطرتها على العراق. أما المنطلق الثاني، فهو تحشيد الرأي العام العربي ضد الثورة الاسلامية في ايران، وخصوصا أثناء الحرب التي شنها ضد طهران، واستمرت ثمانية أعوام، من ١٩٨٠ وحتى ١٩٨٨

ومن المعلوم أن دولا إقليمية وغربية شاركت في الحملة الطائفية ضد الشيعة، في الثمانينات، في محاولة منها لتحجيم الثورة الإيرانية ومنعها من الامتداد الى دول الخليج. وفي هذه الحملة تم استعادة كل التراث الطائفي التاريخي الموجه ضد الشيعة "الروافض" وتضخيم نقاط الخلاف، وتكفير الشيعة من أجل تبرير الحرب العدوانية على إيران.

وترجمت هذه الحملة موقفا سلبيا خليجيا وعربيا من انتفاضة الشيعة في العراق في آذار سنة ١٩٩١ رغم العداء المستجد بين دول الخليج وأمريكا وصدام، بعد غزوه للكويت. وظهر الانقسام الطائفي جليا في داخل العراق أيضا، حيث انتفضت أربعة عشر محافظة ما عدا بغداد والمحافظات الغربية الشمالية (الموصل والرمادي وصلاح الدين)، ذات الغالبية "السنية".

ولكي يعزز صدام نفوذه بين الطائفة السنية، قام خلال التسعينات بإطلاق ما عرف بالحملة الإيمانية، التي اشتملت على دعم المدارس والمعاهد والكليات والمساجد السنية، في الوقت الذي كان يضيق أشد التضييق على الشيعة ويقتل علماءهم ويطارد شبابهم وينتقم من مدنهم.

وانعكس الشحن الطائفي موقفا سلبيا من غالبية العرب السنة في المنطقة، تجاه حركة المقاومة اللبنانية ضد اسرائيل، والتي كان يقودها "حزب الله" الشيعي المدعوم من إيران، فبالاضافة الى أنه لم يشارك أحد من السنة من خارج لبنان في تلك المقاومة، كان بعض "السلفيين" يشكك في حقيقة المقاومة ويستهين بجهادها وتحقيقها لأول انتصار عربي على اسرائيل.

ورغم أن السنة في الكويت والسعودية سارعوا الى استدعاء أمريكا لمقاومة غزو صدام عام ١٩٩٠ للكويت، وإصدار خمسمائة رجل دين سعودي بزعامة المفتي الشيخ عبد العزيز بن باز، لفتوى تجوّز الاستعانة بالكفار في مواجهة "الكافر الملحد" صدام حسين. ورغم أن الشيعة في العراق ، الذين عانوا من بطش صدام وإرهابه وحروبه طوال ثلاثة عقود، لم يستعينوا بأمريكا، وقاوموها في بلادهم، وأصدروا بيانات التنديد بالاحتلال، فاتهم اتهموا من قبل بعض السنة ، بأنهم تعاونوا مع الاحتلال، لأنهم لم يعلنوا المقاومة المسلحة الشاملة ، وفضلوا الحل السلمي، وبناء بلدهم قبل ان يطالبوا القوات الغازية بالرحيل. وفي الحقيقة لم يكونوا وحدهم في انتهاج هذا الخيار، بل ان كثيرا من قادة السنة عربا وأكرادا وتركمان، كانوا يتفقون معهم في هذا الاسلوب، ولكن اللوم وقع عليهم وحدهم، باعتبارهم الأكثرية في العراق.

وعندما اختار الشيعة والسنة الأكراد انتهاج الطريق الديموقراطي والمشاركة في الانتخابات الأولى لاختيار مجلس نيابي يرسم الدستور، قاطع غالبية السنة الانتخابات، وقام بعض الانتحاريين بمهاجمة صناديق الاقتراع، قبل ان يلتحق مجموعة من قادة السنة بأعضاء المجلس للمشاركة في كتابة الدستور،

واتخاذ قرار مغاير في المشاركة في الانتخابات التالية، من أجل تشكيل حكومة ديموقراطية منتخبة في العراق.

من ناحية أخرى شهدت الساحة الشيعية ولادة ونشوء "المرجعية الدينية" التي اختلفت عن المرجعية الدينية السنية، في أنها لم تقتصر على بيان الأحكام الشرعية وفق الرؤية الشيعية، وانما اكتسبت اضافة الى ذلك مسحة روحية وثوبا سياسيا، أما المسحة الروحية فقد اكتسبتها من فرضية انتشرت في عهود غابرة تقول بأن الفقهاء المجتهدين هم نواب عامون للامام الغائب المنتظر (محمد بن الحسن العسكري) وهو ما رفع من مكانتهم الروحية في أذهان العامة الى درجة كبيرة. وقد ازدادت هذه المسحة الروحية قوة بتطور نظرية المرجعية الدينية الى نظرية "ولاية الفقيه" وحق الفقهاء بالحكم نيابة عن الامام الغائب. وهو الأمر الذي أدى الى ولادة نظرية سياسية شيعية جديدة في مقابل السنة الذين لم يكونوا يملكون هكذا نظرية خاصة بهم، كما كان الحال في أيام الدولة العباسية.

واذا كانت نظرية ولاية الفقيه قد طبقت في ايران، التي حاولت وتحاول ان تشكل "قطب الشيعة" في العالم، الا ان معظم علماء الشيعة في العراق لم يؤمنوا بهذه النظرية ، وانما مالوا الى الفكر الديموقراطي، أو الشورى، وهو الفكر السياسي الاسلامي القديم الذي كان يجمع المسلمين في الزمن الأول، والفكر الذي عُرف "السنة" بالتمسك به نظريا على الأقل في كل العصور.

واذا استطعنا اليوم، تجاوز الفكر السياسي الشيعي الخاص، المتمثل في (ولاية الفقيه) والتمسك بالفكر الديموقراطي، وضمنا تقبل السنة له بقوة، فانه يمكننا التوصل الى فكر سياسي مشترك يستطيع توحيد المسلمين، ويذيب ما بينهما من خلافات سياسية قديمة وميتة. وفي الحقيقة يمكننا الانتقال بالشيعة والسنة الى مرحلة وحدوية جديدة تصبح فيها المسميات القديمة "سنة" و "شيعة" من مخلفات التاريخ.

ويلاحظ في هذه المرحلة ان الشيعة في العراق، الذين ينطوون على أحزاب وتيارات مختلفة علمانية ودينية وقومية وعشائرية، ورغم تصاعد النبرة الطائفية، أعربوا بصراحة وعلى لسان قياداتهم المرجعية الدينية والسياسية، تبنيهم للخيار الديموقراطي، والاصرار على مشاركة اخوانهم من السنة في بناء البلاد، ولم يقدموا أية اشارة على محاولة احتكار السلطة أو الانفراد بها. ويعتبر ذلك تحولا استراتيجيا كبيرا على طريق تذويب الكيانات الطائفية في بوتقة واحدة، والتخلي عن الفكر السياسي الخاص "الإمامي" أو "المرجعي" أو "ولاية الفقيه". وهو تطور يقربهم جدا من فكر السنة السياسي (الشورى) ولا يبقي أي فرق بينهم وبين الآخرين الا بالاسماء الوهمية.

واذا كان الشيعة اليوم قد أصبحوا ديموقراطيين، فان بعض أهل السنة، من السلفيين والبعثيين العلمانيين، قد رفضوا الديموقراطية في العراق، ليس دفاعاً عن مباديء أهل الحديث أو السنة النبوية الشريفة، وانما دفاعا عن مصالحهم الشخصية واستعلاء على قطاعات واسعة من الشعب.

الباب الثالث: الطريق إلى الوحدة

إذن فان الشيعة والسنة متفقون في العقيدة ومختلفون في التاريخ والسياسة، وان الأزمة الطائفية التي نشاهدها أحيانا هنا وهناك هي وليدة الديكتاتورية وثمرة من ثمارها المرة، وليست الخلافات بين الطائفتين بخلافات حيوية معاصرة، أو ذات مضمون اجتماعي راهن، وانما هي خلافات "اسمية" وهمية، تاريخية، قشرية، وليست جوهرية.

ان الطريق الى الوحدة الاسلامية يبدأ من الديموقراطية، والديموقراطية تبدأ من العقل والنفس. انها تبدأ من الزهد في الدنيا، والتواضع للآخرين، وعدم التكبر عليهم والاستئثار بأموالهم وحقوقهم ومصالحهم. وتنتهي بالالتزام بالنظام الديموقراطي الذي يحترم التعددية ويقبل بالآخر، ويعترف بحق الاختلاف للآخرين ، ويحترم مشاعرهم. ولقد أخطأ كثير من السلف حين اعتقد كل منهم أنه فقط يشكل الفرقة الناجية أو الشخص الناجي من الأمة، وذهب الى تكفير الفرق الأخرى أو تبديعها أو تضليلها، في أمور خلافية جزئية بسيطة لا تصل الى درجة الكفر بالله تعالى.

وغني عن القول هنا انه لا بد من اعتبار كل من يؤمن بالله واليوم الآخر وبنبوة الرسول الأعظم محمد (صلى الله عليه وآله) هو أخ مسلم بغض النظر عن هويته الطائفية، أو الاختلاف معه حول بعض التفاصيل الجزئية، ولا بد من وضع الأمور في نصابها بعدم تضخيم السلبيات الجزئية، أو توهين المشتركات الأساسية الجامعة، انسياقا وراء حملة إعلامية مضادة أو تمهيدا لحرب سياسية أو عسكرية شيطانية.

ومن أجل تعزيز هذا الموقف لا بد من الاستعانة بالقرآن الكريم والعودة اليه، حيث يقول:"وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون" الأنبياء ٩٢ وفي آية أخرى "...فاتقون" المؤمنون ٥٢. وفي نفس الوقت لا بد من التحرر من أسر التراث وفتاوى العلماء السابقين حتى لو كانوا رؤساء مذاهب، اذا كانت فتاواهم متطرفة وتتعارض مع روح القرآن الكريم والوحدة الاسلامية. ولكي نتحرر من ذلك التراث الثقيل الذي يفرض نفسه على العقل المعاصر، لا بد من القيام بحركة نقد قرآنية للأحاديث المنسوبة الى الرسول الأعظم، ودراسة الظروف السياسية التي ساهمت بتكوين المذاهب، والاجتهاد في

أمور العقيدة والفقه والتاريخ. وبالطبع فان ذلك لن يمكن الا بنبذ التعصب الأعمى والتقليد للآخرين. والتحرر من أسر المصطلحات الموروثة (كالسنة والشيعة) لأنها غير دقيقة ولا معبرة عن الحقيقة، خاصة عندما يتم إلصاقها بالوراثة على كل مولود يولد في العالم الاسلامي وهو لا يفقه من تلك الأسماء شيئا.

لقد نشأت تلك الأسماء والمسميات في ظروف تاريخية معينة ، وكانت تحمل دلالاتها الواضحة، ثم تطورت وانتشرت، ودخل في كل طائفة أو مذهب، أشخاص جدد، وجماعات مختلفة، حاولوا صبغ المذاهب السابقة بهوياتهم وأفكارهم، وطرد أصحاب المذاهب الأصليين من العناوين التي "تنتمي" اليهم، ثم تشعبت المذاهب والطوائف، عبر التاريخ، واحتوى كل واحد منها على مجموعة تيارات وأحزاب ومذاهب، حتى لقد أصبحت كل طائفة تضم مجموعة طوائف، وربما تقاتل هؤلاء مع اخوانهم، وتحالف فريق منهم مع أعداء الأمس أو اقتربوا من فكرهم، حتى صعب في الواقع تعريف أي مذهب او التفريق بينه وبين المذاهب الأخرى.

ومن هنا لا بد من الحذر من الانخداع بتضليل الأسماء، وضرورة النظر الى واقع كل انسان على حدة، وتقييمه بصورة خاصة، وعدم الخلط أو التعميم أو النظر الى الجميع نظرة واحدة. وأن من الخطأ الكبير التقاط صورة فتوغرافية جامدة وثابتة لفئة معينة في حقبة معينة، والاعتقاد باستمرار تلك الصورة عبر التاريخ، أو انتماء جميع الناس اليها الى يوم القيامة، فان المجتمعات الانسانية ، والطوائف جزء منها، متحركة ومتغيرة كأمواج البحر، وكل يوم هي في شأن. وهذا يحتم علينا قراءة كل طائفة أو مذهب، كل يوم، وعدم الاعتماد على قراءة السلف لهم في القرون الأولى. وهكذا يصح القول: ان أسماء الطوائف "السنية" و"الشيعية" هي أقرب الى الوهم منها الى الحقيقة. وان التقسيم الحقيقي الذي يقسم الأمة الاسلامية اليوم هو الذي يضع غالبية الأمة في جانب، ويضع الطغاة والمستبدين (المنافقين) في جانب آخر.

لقد قسم القرآن الكريم المجتمعات الانسانية ، في أول سورة البقرة، الى ثلاثة أقسام هي: المؤمنون، والمنافقون والكفار، وأوضح صفات المؤمنين المفلحين وهي الإيمان بالله والغيب والملائكة والنبيين واليوم الآخر وإقامة الصلاة والزكاة، تلك الصفات التي نجدها لدى عامة أتباع المذاهب الاسلامية. وحذر من صفات المنافقين ، التي قد نجدها بين فئات تندس بين صفوف مختلف الطوائف، ولم يقسم المسلمين الى "سنة" و "شيعة". فلماذا لا نبحث عن الخارطة الحقيقية التي يرسمها الله تعالى، ونتحد في مواجهة المنافقين، الذين يعتبر الظلم والاستبداد والاعتداء على حقوق الآخرين وحرياتهم ومصالحهم، أهم صفاتهم، وهم الذين يعاني منهم جميع المسلمين من مختلف الطوائف.

الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الاسلامية:

واذا كان ما وصلنا اليه صحيحا، ونعتقد انه صحيح، فعلينا ان نقوم بخطوات عملية من أجل تذويب الرواسب التاريخية وهدم الجدران الطائفية الوهمية، وتوحيد القواعد الشعبية، وذلك من خلال ما يلي:

١- دمج المعاهد الدينية والحوزات العلمية، من ناحية البرامج والطلاب والأساتذة، وخلق بيئة وحدوية للحوار والمقارنة والتفكير الحر.
٢- توحيد زي رجال الدين، أو نزع الصبغة الطائفية عنه، وذلك لما لأزياء رجال الدين من دور في تكريس الانقسام الطائفي في ذهن الرأي العام.
٣- الانفتاح الثقافي على الآخر وتوفير الحرية الاعلامية للجميع، وعدم فرض الرقابة على اي منتج ثقافي مغاير.
٤- الدراسة في الجامعات المختلطة، وتبادل الزمالات الدراسية بني المدن والدول المختلفة طائفيا
٥- رفع الصبغة الطائفية عن مساجد الله، وجعلها لجميع المسلمين، وذلك بأداء الصلاة المشتركة وراء علماء من السنة والشيعة، واتخاذ قرار شعبي بالصلاة في جميع المساجد دون استثناء، ورفض الفتاوى الطائفية الضيقة التي تحرم الصلاة خلف المذاهب الأخرى.
٦- تجنب السكن في المناطق المنعزلة طائفيا ، والاصرار على التعايش المشترك في المناطق العامة، والانفتاح على أبناء الطوائف الأخرى اجتماعيا، بإقامة علاقات حسن جوار وصداقة وتعارف.
٧- الزواج المختلط، ونبذ الفتاوى الضيقة المتعصبة الانعزالية التي تحرم ذلك الزواج.
٨- الاشتراك في النوادي الرياضية المختلطة، وعدم تشجيع النوادي ذات الصبغة الطائفية.
٩- الاشتراك في الجمعيات والاتحادات الطلابية والعملية والنقابات والمنتديات الثقافية الوطنية، فوق الطائفية
١٠- السياحة والسفر الى البلاد المحتلفة طائفيا، والاختلاط بالناس والتعرف على الثقافات الأخرى.
١١- الانتماء الى الأحزاب الوطنية، وفي الأطر الوطنية، بعيدا عن الطائفية.
١٢- التعاون الاقتصادي، وتشكيل شركات مساهمة وطنية، ونزع الصبغة الطائفية عنها، وتجنب المقاطعة الاقتصادية الطائفية، أو التحقيق عن الهوية الطائفية لأصحابها.

تم بحمد الله الانتهاء من تسجيل وجهة نظري حول مشروع كتاب (السنة والشيعة.. وحدة الدين والأصل، وخلاف التاريخ والسياسة) وذلك بتاريخ ١٨ تموز ٢٠٠٥ في لندن

محتويات كتاب

السنة والشيعة

وحدة الدين وخلاف التاريخ والسياسة

الفصل الثالث: الفقه

المبحث الأول:القضايا الخلافية الفقهية

الزواج المؤقت ، أدلة الشيعة على تحليله ، أدلة السنة على تحريمه، نوعية التحريم ، الإباحة عند الضرورة

الباب الثاني: خلاف التاريخ والسياسة

الفصل الأول: التاريخ

المبحث الأول: **الموقف من الصحابة:**

١ – **النظرية الاسلامية الأولى**

ميزان العمل الصالح / عدم التكفير

٢– النظرية السنية حول الصحابة

الاطلاق والتعميم في الفضل

نظرية عدالة الصحابة

تكفير من يسب الصحابة

تقييم النظرية السنية حول الصحابة

٣– موقف الشيعة من الصحابة

أ– الموقف الإيجابي الأول

ب– الموقف الثاني، بعد القول بنظرية الإمامة

محاولة إعادة كتابة التاريخ

أسطورة الهجوم على بيت فاطمة الزهراء

الروايات السنية

الروايات الشيعية:

١– رواية إبراهيم الثقفي

٢- رواية سليم بن قيس الهلالي

ج – واقع الشيعة اليوم..

الفصل الثاني:**دور الأدعية والزيارات في إضفاء المسحة الدينية على التاريخ**

(مفاتيح الجنان نموذجاً)

أدعية موضوعة تحتوي على أباطيل

"حديث الكساء" /دعاء يوم الغدير/زيارات الأئمة/الاستغاثة بالأئمة

زيارة عرفة/زيارة عاشوراء/ الزيارة الجامعة

الفصل الثالث: السياسة

- **الخلاف في النظرية السياسية الدستورية**
- **تضاؤل الأهمية العملية لهذا الخلاف اليوم**

الباب الثالث: الطريق إلى الوحدة

الخطوات العملية لتحقيق الوحدة الاسلامية

المصادر

١- اللالكائي، شرح اصول اعتقاد أهل السنة،

٢- الأشعري، الإبانة عن اصول الديانة،

٣- الخلال، السنة ،

٤- عبد الله بن أحمد بن حنبل، السنة، تحقيق الدكتور محمد بن سعيد القحطاني
٥- الندوة العلمية الدولية حول الشيعة والتشيع عبر التاريخ وفي الوقت الحاضر
٦- البربهاري، شرح السنة،

٧- المجلسي، بحار الأنوار

٨- الأشعري القمي، المقالات والفرق،
٩- رجال الكشي :
١٠- الكليني، أُصول الكافي
١١- الصدوق، الاعتقادات في دين الامامية
١٢- الصدوق ، الأمالي،
١٣- الصدوق ، من لا يحضره الفقيه
١٤- المفيد، الفصول المختارة
١٥- المفيد، الارشاد،

١٦- المفيد، تصحيح الاعتقاد ،

١٧- المفيد: اوائل المقالات، وشرح اعتقادات الصدوق

http://www.rafed.net/research/05/03.html

١٨- المفيد ، الأمالي، http://www.rafed.net/research/05/03.html

١٩- الوحيد الخراساني، مقتطفات ولائية،

الشيرازي ، محمد: من فقه الزهراء

[1] - http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef1.htm#imam

٢٠- الخميني، مصباح الهداية الى الخلافة والولاية

٢١- الخميني، الحكومة الاسلامية

٢٢- الخميني، الأربعون حديثا، طبعة مؤسسة دار الكتاب الاسلامي تعريب محمد الغروي

٢٣- المطهري، الامامة،

http://www.al-kawthar.com/maktaba/moallef2.htm#motahari

٢٤- المدرسي، الامام المهدي قدوة الصديقين،

٢٥- العاملي، مرتضى، دراسة في علامات الظهور، ط ١ بيروت دار البلاغة ١٩٩٢م

٢٦- المجلسي، محمد باقر ،مرآة العقول ط ٢ طهران دار الكتب الإسلامية ١٣٦٣هـ

٢٧- الكاظمي، مصطفى آل السيد حيدر،بشارة الإسلام في علامات ظهور صاحب الزمان، بيروت دار الكتب إلاسلامي 1991 م

٢٨- القزويني، علاء الدين، مسائل عقائدية، موقع : الامام علي.نت

٢٩- الخوئي، التفسير

٣٠- الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن

٣١- الشيرازي، مكارم، تفسير نمونه

٣٢- نهج البلاغة

٣٣- الطوسي ، التهذيب

٣٤- الطبرسي، الاحتجاج ،

٣٤- الشنقيطي، محمد بن المختار ، الخلافات السياسية بين الصحابة

٣٥- الحكيم، محسن، مستمسك العروة الوثقى،

٣٦- موقع الاسلام اون لاين

٣٧- الحميدي، الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة.**مقدمة الشيخ عبد الله السعد،**

٣٨- تاريخ الطبري ، الجزء الرابع، السنة الخامسة والثلاثين،
http://www.alwaraq.com/index2.htm?i=49&page=1

٣٩- ابن كثير،كتاب البداية والنهاية،

٤٠- ابن الأثير، الكامل في التاريخ

٤١- الدينوري، ابن قتيبة، الامامة والسياسة

٤٢- الامام علي بن الحسين، الصحيفة السجادية

٤٣- محب الدين الخطيب، الخطوط العريضة، ويليها مؤتمر النجف
http://www.fnoor.com/books.htm

٤٤- النوبختي، فرق الشيعة،

٤٥- الجندي، الامام جعفر الصادق،

٤٦- الماوردي: الأحكام السلطانية،

٤٧- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ،

٤٨- البلاذري، أنساب الأشراف ،

٤٩- ابن عبد ربه، العقد الفريد،

٥٠- الشهرستاني، الملل والنحل

٥١- الشاهرودي، السيد محمد الحسيني، في محاضرة له عن (مظلومية الزهراء) نشرها مركز الأبحاث العقائدية، التابع لمكتب السيد السيستاني.

http://www.shahroudi.net/arabic/7monasenat/zahraa.htm
#إنّ%٢٠في%٢٠الدار%٢٠فاطمة

٥٢- الطبري محمد بن جرير، دلائل الامامة ،

٥٣- ابن قولويه، **كامل الزيارات**،

٥٤- العياشي ، التفسير،

٥٥- القهبائي، مجمع الرجال،

٥٦- الوردي، علي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث،

٥٧- مكتب الاستفتاءات لسماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله. ٢٦ جماد الأول ١٤٢٥

صدر للمؤلف:

١- **تطور الفكر السياسي الشيعي .. من الشورى الى ولاية الفقيه**

٢- **الفكر السياسي الوهابي.. قراءة تحليلية**

٣- **المرجعية الدينية الشيعية وآفاق التطور .. الامام الشيرازي نموذجا**

٤- تطور الفكر السياسي السني.. نحو خلافة ديموقراطية

٥- التشيع السياسي والتشيع الديني

٦- هذا الكتاب: السنة والشيعة.. وحدة الدين ، خلاف السياسة والتاريخ